على منبر الجمعة

في رحاب العقيدة والقرآن

الجزء الأول

بقلم
فقيد العلم والتقوى آية الله العظمى
الشيخ محمد أمين زين الدين قدس سره



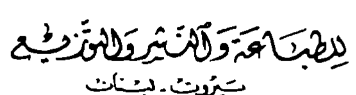
مكتبة نرجس PDF
www.narjes-library.blogspot.com

على منبر الجمعة

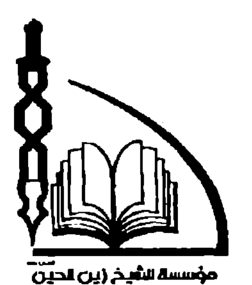
إسم الكتاب	على منبر الجمعة/ الجزء الأول
إسم المؤلف	الشيخ محمد أمين زين الدين (قده)
التنضيد والطباعة	مؤسسة الشيخ محمد أمين زين الدين (قده) للمعارف الإسلامية
نشر وتوزيع	مؤسسة الشيخ محمد أمين زين الدين (قده) للمعارف الإسلامية
سنة الطباعة	٢٠٠٩ م - ١٤٣٠ هـ
عدد النسخ	١٠٠٠ نسخة

الطبعة الأولى

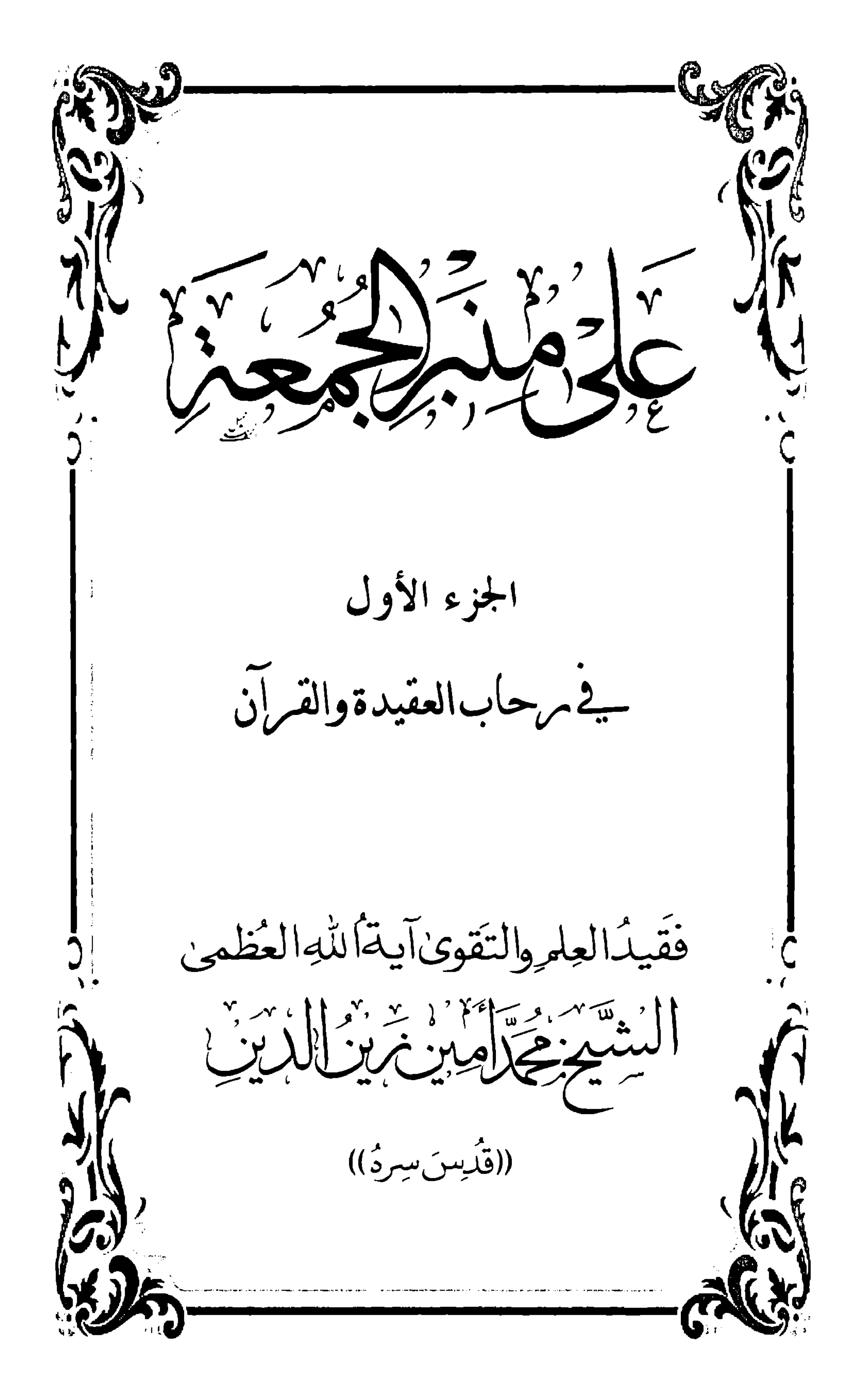




هاتف: ٠٣/٩٤٦١٦١ - ٠٣/١١٥٤٢٥ - تلفاكس: ٠١/٤٧١٥١٠
http://www.Dar-Alamira.com
e-mail:info@dar-alamira.com



مؤسسة الشيخ زين الدين للمعارف الإسلامية
النجف الأشرف - شارع السور
هاتف: ٠٠٩٦٤٧٨٠٦١٨٦٥٠٣
www.zaineldeen.com.net.org



على منبر الجمعة

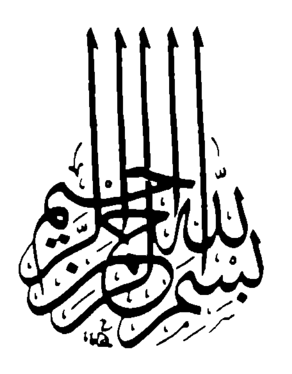
الجزء الأول

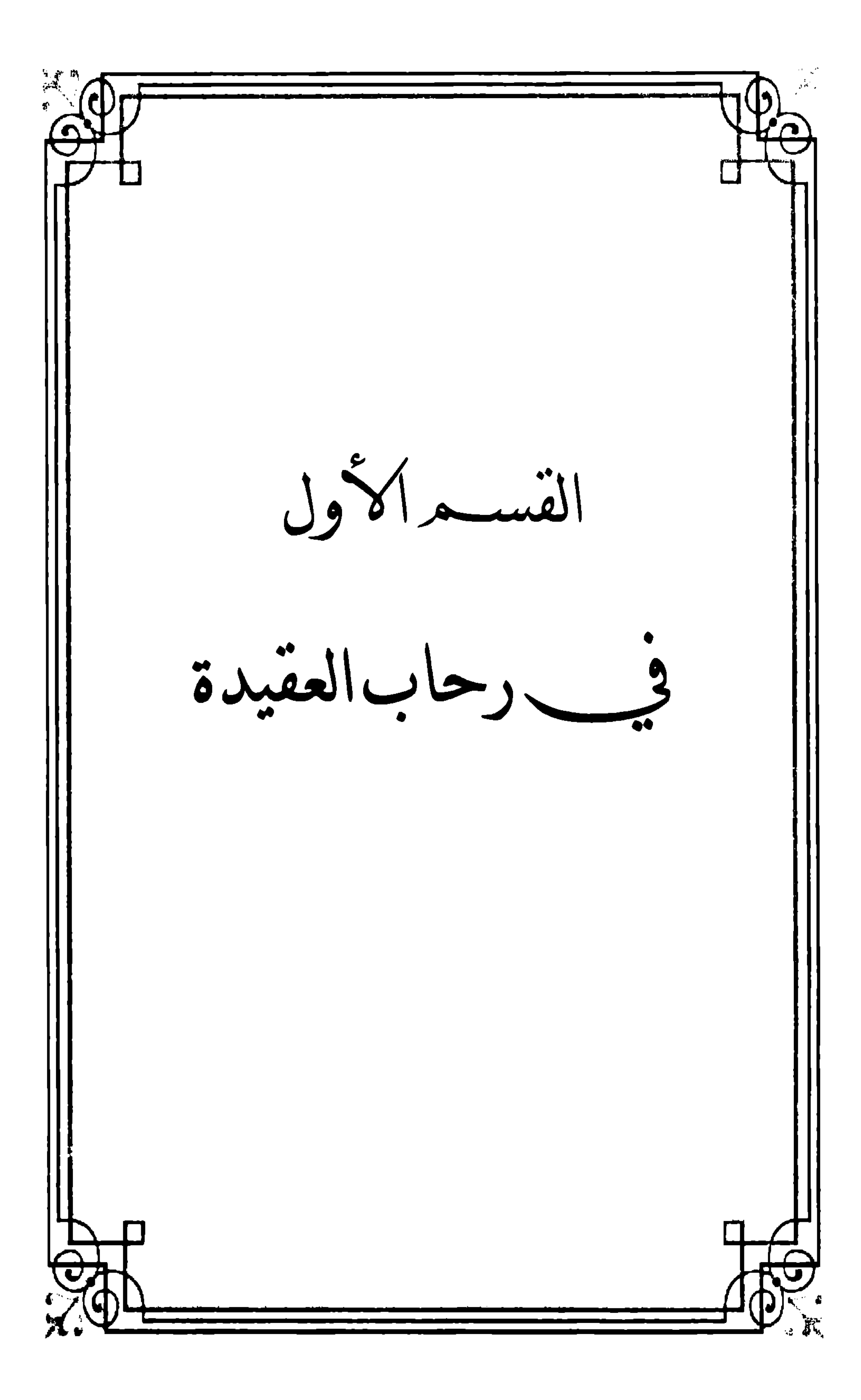
في رحاب العقيدة والقرآن

فقيدُ العِلمِ والتقوى آيةُ اللهِ العُظمى

الشَّيخ محمّد أمين زين الدين

((قُدِسَ سِرهُ))


بسم الله الرحمن الرحيم



القسم الأول

في رحاب العقيدة

١

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

أثر العقيدة في الإنسان

الحمد لله أول الوجود وآخره ، وباعث الكون ووارثه ، ومبدئ الخلق ومعيده ، ومحيي كل حي ومميته ، ومنشئ كل شيء ومقيته ، ومؤقت كل أجل ومبلّغه ، ومحصي كل رطب ويابس ، وعالم كل صغير وكبير ، وفالق الحب والنوى ، وبارئ كل سبب ومسبب ، وفاطر كل بسيط ومركب ، وخالق الأزواج كلها ﴿مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ﴾ .

أحمده حمداً يحقق لي من رضاه سؤلي ، ويبسط من توفيقه مددي ، ويوفر لي من هداه قسطي ، ويتم لي من الإيمان به نوري ، وينجح لي في كلتا النشأتين أملي ، وأسأله لي ولكم نوراً يضيء لنا ظلم الحوالك ، ويبصّرنا خفي المسالك ، وقوة تعصمنا من المهالك .

وأشهد أنّ لا اله الا الله وحده لاشريك له ، ﴿الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1] .

---

١ – الجاثية : ١٢ – ١٣ .

وأشهد أن محمّداً ﷺ عبده الذي رفع درجته، ورسوله الذي أنار للعالمين حجته ، صلى الله عليه وعلى آله المنتجبين ، والأمناء على الوحي المبين .

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ . تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ . يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ .[1]﴾ .

عباد الله ؛ هذا أحد الفوارق بين إنسان ذي عقيدة ، يؤمن بها ويستمسك ، وإنسان لا عقيدة له ولا إيمان .

إن العقيدة القوية هي النواة الحية التي تعطي الحياة للإنسان وتهبها، وتقوّم الشخصية وتهذبها ، وتنفخ الحياة والقوة في أجزائها ، وتوجد الثبات والتماسك في بنائها .

والعقيدة القوية السوية هي التي توجه صاحبها في العمل ، وتهديه أقوم السبل ، وتحدّد له كيف يعيش ، وكيف يعامل ، ومن يقطع ومن يواصل ، وبأي الأخلاق يجب أن يتصف ، وعن أي الصّفات يجب أن يتنزه وينحرف .

وهي التي ترشده في كل حال تجدّ ، أو مهمة ترد ، كيف يجب عليه في تلك الحال أن يكون ، وماذا يلتزم به في تلك الحال من تحرك أو سكون ، وما هي وظيفته تجاه أعمال الناس الآخرين من نبذ أو ركون .

---

١ - إبراهيم : ٢٤ - ٢٧ .

والعقيدة القويّة الفعّالة ، هي التي تحمل صاحبها حملاً أن يحيا ويعيش في ظلّها ، وأن يتفانى فيها ويضحّي من أجلها .

فصاحب العقيدة إنسان قوي سويّ ، متماسك الشخصية حي الضمير ، طيب النفس رضيّ الصّفات والأفعال ، لا يصدر إلا عن وحي عقيدته ، ولا يأتمر إلا بأمرها ، ولا يسير إلا على رشدها ، ولا يتحرك ولا يسكن إلا وفق مناهجها ، ولا يأخذ ولا يذر إلا طبق برامجها .

فهو نيّر القلب بنور عقيدته ، مشرق النفس بإشراقها ، قوي الإرادة بقوّتها ، حي الضمير بحياتها ، لا يتسرب إليه في شخصيته وهن ولا خلل ، ولا يسري إلى إرادته خور ولا فشل ، ولا ينفذ إلى أعماله شذوذ ولا زلل .

وصاحب العقيدة واضح المقاصد ، نيّر الأهداف ، رفيع الغايات ، لا يلتوي ، ولا يخادع ، ولا يخاتل ، ولا يحايل ضميره ، ولا يتناقض في علانية ولا سريرة .

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.[1]﴾ .

يثبتهم في أفكارهم ونفوسهم وقلوبهم ، فلا يبصرون إلا النور ، ولا يؤمّون إلا الحق ، ولا يقصدون إلا الخير .

ويثبتهم في مشاعرهم وأقوالهم وأفعالهم ، فلا يخشون إلا الله ، ولا يسيرون إلا على منهجه ، ولا يبتغون إلا رضاه .

يثبتهم «بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ»، فهم يحيون في

---

١ - إبراهيم : ٢٧ .

سلام ، ويعيشون في سلام ، ويعايشون في سلام ، ثم يموتون في سلام ، ويبعثون في سلام ، وتتلقاهم ملائكة ربهم بالسلام ، ويحشرون إلى دار السّلام ، ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ . . .[1]﴾ .

عباد الله ؛ هذه هي العقيدة اليقظة الواعية ، الحيّة النامية ، التي توقظ في صاحبها مشاعر الخير ، وتوجهه إلى أكرم الغايات ، وأرفع المنازل وأحسن الأعمال ، وفي مقابل هذه العقيدة العاملة ، أصناف أخرى من العقائد ، قد أصيبت بالشلل ، ومنيت بالفشل ، وقعدت عن العمل .

وهذه الأصناف توجد-مع الأسف- عند الكثير من الناس ، وهي مختلفة في القوة والضعف بمقدار ما بقي لها على نفس الفرد من أثر ، وما تنتج في توجيهه من ثمر .

فمن هذه الأصناف : عقيدة قد أصيبت بالشّلل في نصفها ، وعطلت عن العمل في شطر هدفها ، فهي تهيمن على جانب واحدٍ من جوانب السلوك العملي ، ولا سلطان لها على الجانب الآخر منه ، وهذه هي حال كثير من الناس .

فترى البعض منهم يواظبون على العبادات أشد المواظبة ، ويراقبون أنواعها أتم المراقبة ، يحرص أحدهم أن لا تفوته منها صغيرة ، ولا تنقص من صلاته تسبيحه أو تكبيرة ، وأن لا يطرأ عليه فيها سهو ولا خلل ، ولا يعرض له في أدائها فتور ولا ملل ، ولكنهم لا يبالون في معاملاتهم بما أصابوا ، ولا يتورعون في أحكامهم على الناس ، واتهامهم إياهم أخطؤوا أم أصابوا، يغتابون ويبهتون ، وينفون ويثبتون،

---

١ – يونس : ١٠ .

ويكذبون في القول ، ويأثمون في العمل ، وينطوون على الغل ، ولا يأنفون من الحسد .

وترى البعض منهم يرتفعون عن الدنايا في معاملاتهم ، ويوفون أتم الوفاء بلوازم صِلاتهم ، ولكنهم لا يعرفون لله حرمة ، ولا يقومون له في طاعة ، قد قطعوا صلتهم به ، وصرفوا وجوههم إلى سواه .

إنها عقيدة مشلولة معلولة ، يوشك أن يأتي الشّلل عليها ، وأن تسري العلة إلى جميع أجزائها .

ومن هذه الأصناف : عقيدة هزيلة ذاوية ، قد أقعدتها الأهواء عن الحركة، وعطلتها عن العمل ، وجفّفتها عن النمو ، فلا عناء بها ولا جدوى ، بل ولا حركة ولا حياة .

وفي مقابل كلّ أولئك إنسان يعيش بلا عقيدة ، إنه لا يساوي شيئاً في موازين الحقائق ، وما قيمة امرئ لا حدّ لأهوائه ، ولا قرار لبنائه :

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ . يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ .[1]﴾ .

فاتقوا الله -أيها المؤمنون-؛ حافظوا على عقائدكم ولا تشلّوها ، والتزموا مناهج دينكم ولا تهملوها .

ارتقوا إلى الغايات فقد نصبت لكم السلالم ، وأوضحت المعالم .

اتقوا الله ؛ فتقوى الله عدة المؤمن لدنياه ، وذخيرته لآخرته ، ومأمنه من المخاوف ، وملجؤه في جميع المواقف .

---

١ - إبراهيم : ٢٦- ٢٧ .

وإن خير الكلم ، وأبلغ الحديث ، وأنفع العظات ، قول الله في كتابه الكريم :

﴿بسم الله الرحمن الرحيم . قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ . وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ .﴾ .



الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

العوامل الداعية للإلحاد

الحمد لله الذي إليه انقطعت كلّ علة ، وله انتهت كل قدرة ، ولإرادته خضعت كل إرادة ، وبه تعلق كل سبب ، واليه توجّه كل طلب ، ورجع كل أمر ، فهو الله رب العالمين ، ومالك أزمّتهم أجمعين .

اكتملت الأشياء بعبوديتها له ، وعظمت بتصاغرها إليه ، وعزّت بتذلّلها بين يديه ، وسعدت بتوكلّها عليه ، وأمنت بلجوئها إلى حصنه ، وإيوائها إلى ركنه ، فهو قوة كل ذي قوة ، ومدد كل ذي مدد ، وبه حول كل ذي حول ، ومنه طول كل ذي طول .

أحمده وأسأله أن يذيقني حلاوة حمده ، وأوحده وأضرع إليه أن يدرك به مقام الفائزين بتوحيده ، وأعبده وأدعوه أن يسعدني بكرامة المخلصين في عبادته .

وأشهد أنّ لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، الذي خلقني فهو يهدين ، ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ . وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ . وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ.[1]﴾ .

وأشهد أن محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، بعثه بخير الأديان ، وأيده بمعجزة القرآن ، صلى الله عليه وعلى آله سادات الإنس والجان .

---

١ – الشعراء : ٧٩ – ٨٢ .

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ.(١)﴾ .

هذه هي العاقبة المعلومة ، والنهاية المحتومة ، لمن عطل مواهبه فأظلم مذاهبه ، لم ينتفع بآيات الله التي ملأت الأكوان ، والآفاق والأزمان ، ولم يسمع نداءها ، ولم يبصر ضياءها ، ولم يعتبر بشهادتها ، ولم يهتد بدلالتها .

هذه هي العاقبة المحتومة لمن غشّى حواسّه فحجبها أن تشهد ، وأقفل مداركه فمنعها أن تتبيّن ، وغطى على فطرته فأغفلها أن تحكم .

إنها آيات وجود الله ، ودلائل توحيده ، وبراهين علمه ، وشواهد حكمته ، ملء الأكوان ، وملء الأزمان ، وملء الآفاق، وملء النفوس، وملء العقول والقلوب ، وملء الوجود ، ما ظهر منه وما بطن ، وما استبان وما استكن، ولا تخفى على ذي لب، ولا يحتجب عن ذي قلب.

فالفطرة الموجودة في نفس كل إنسان لا تدع مجالاً لغفلة ، والنظرة المجردة في أسرار هذا الملكوت تقدم له ما شاء من الأدلة ، ولكنه الغرور الذي لا يعرف الحدود ، وسلطان الهوى الذي يمتنع عن القيود ، هذان العاملان هما الأساس للالتواء في العقيدة ، لإنكار وجود الله ، وجحد قوانينه ، ونبذ موازينه .

إنه الغرور الشديد بنوع من العلم ، يظنه المغتر أنه العلم كلّه ، فيجحد ما وراءه ، ثم يحمل على العلم غروره وأخطاءه .

---

١ - الأعراف : ١٧٩ .

لقد كشف العلم الجديد عن أسرار المادة ثم وقف ، فأنكر المغتر به وجود ما وراء المادة وما اعترف ، والعلم بريء مما يقولون ، وسيعترف بما ينكرون .

أو هو الغرور الشديد بنحو من القدرة ، يظنه المغتر به أنه القدرة كلها ، فيجحد وجود القادر المحيط : ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ . [1]﴾ .

والعامل الثاني : هو سلطان الهوى إذا غلب ، وحكم الشهوات إذا استتب ، فإن هذا العامل لا يتسع له مجاله إلا إذا أنكر الله ، وجحد رقابته ، وكذّب شريعته ، وسخر من دينه ، وهزأ بقوانينه ، إنه يصنع ذلك لينطلق ، ويأمن من وخز الضمير حين ينزلق ، فهو ينكر الإله ، ليتخذ إلهه هواه .

هذه هي العوامل التي تدعو إلى الإلحاد ، ونشر الفساد ، فاتقوا الله -أيها المؤمنون- ، وانتبهوا لهذه المخاطر قبل أن يستتب أمرها ، ويتعاظم شرّها .

استنقذوا منها أبناءكم ، والجيل الذي يأتي وراءكم ، إنكم مسؤولون عن هدايتهم ، محاسبون في غوايتهم ، أنيروا لهم الطريق ، وارفعوا لهم الأعلام ، وأزيلوا عنهم العقبات ، أرشدوهم إلى من يأخذون عنه دينهم ، ويقبسون من إيمانه ودلالته يقينهم : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ . [2]﴾ .

---

١ - فصلت : ١٥ .

٢ - البقرة : ٢٨١ .

سبحانك اللهم -ربنا- وتعاليت ، خلقت كل شيء بقدرتك ، وقهرت كل شيء بعزتك ، وغلبت كل شيء بقوتك ، وابتدعت كل شيء بحكمتك، وبعثت الرسل بكتبك ، وأيدت المؤمنين بنصرك ، وقهرت الخلق بسلطانك ، لا اله إلا أنت وحدك لا شريك لك لا نعبد غيرك ولا نسأل إلا إياك ، ولا نرغب إلا إليك أنت موضع شكوانا ، ومنتهى رغبتنا وإلهنا ومليكنا ، وأنت أرحم الراحمين وخير الغافرين .



٢

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الإيمان والإخلاص

الحمد لله مجري الماء في النبات ، ومحيي ما يدبّ في الظلمات ، مصرّف الدهور ، ومقدّر كلّ مقدور ، خالق الأشياء بحكمته ، والدالّ بحدوثها على أزليته ، الغني فلا تعتوره فاقة ، العزيز فلا تستذلّه حاجة ، المتعالي فلا تطيف به ضرورة الظاهر ، المتنزه في ظهوره عن الشهود ، المعروف المتقدس في كمال معرفته عن الحدود ، بارئ الموجودات على غير مثال ، ومرشدها إلى سبل الاستكمال ، مؤتي النفس هداها ، وملهمها فجورها وتقواها .

أحمده ، وأسأله المعونة على أداء حمده ، وأطلب منه التوفيق للوفاء بعهده ، وأشهد أنّ لا إله إلا هو الذي ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ .

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ .

وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ .[(١)]﴾ .

وأشهد أنّ محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، الذي عضده بالقرآن ، وانتجبه لخير الأديان ، صلّى الله عليه وآله سفراء الحق ، وأدلاّء الخلق .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ .[(٢)]﴾ .

عباد الله ؛ إن الإيمان بالله وبرسوله مفتاح كلّ بركة ، وباب كلّ خير.

هذه المعرفة الصادقة برب العباد ، وبما يجب له من صفات التعظيم، وبما يتحتم له من وجوب الطاعة ، وضروب الانقياد ، وهذه الثقة الكاملة بمواعيده ، والتصديق الحق بكلماته ، والإذعان المطلق بأحكامه وإرشاداته ، ثم هذا الإخلاص الذي يمتلئ به القلب، وتشرق به الروح، وتزكو به النفس ، وينجح به العمل .

هذا هو الإيمان الصحيح الذي تنال به الدرجات ، وتبلغ به الغايات ، وهذه هي الذخيرة التي يحوزها المؤمن ، فيضم بها خير الدنيا إلى خير الآخرة ، ويقرن الله له بها نعمه الباطنة إلى نعمه الظاهرة .

ولقد ذكر الله –سبحانه– أهل القرى في كتابه المبين ، فقال عنهم –وهو اصدق القائلين–: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ .[(٣)]﴾ .

---

١ – الروم: ٢٠–٢٣ .

٢ – الحديد : ٢٨ .

٣ – الأعراف : ٩٦ .

أجل ؛ إن الإيمان الراسخ بالله ، والتقوى الخالصة له ، يفتّحان بركات السماء والأرض :﴿ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ .﴾ . ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً .[1]﴾ .

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً .[2]﴾ .

هذه هي ضمانات الله لمن آمن واتّقى ، وهذه هي مواعيده له بالنجاح والفلاح ، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً[3]﴾ ؟ ، ومن أحق منه بأن يفي بما ضمن ، وأن يبرّ بما وعد ؟ .

فتمسكوا -عباد الله- بهذه العروة المتينة ، وتزوّدوا هذه الذخيرة الباقية ، وتدرّعوا بهذه الجُنّة الواقية ، وارغبوا بضمان الله لكم لتصيبوا بذلك فوز الدارين وسعادة النشأتين .

وإن للإيمان علامات ، جعلها الله -سبحانه- دلائل عليه ، فقد قال (تعالى) : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ .[4]﴾ .

إن القلب ليمتلئ إيماناً بالله فيمتلئ خشية منه ، وإجلالاً له ، وفرقاً من وعيده .

فإذا ذكر الله عند المؤمن خشعت جوانحه ، واضطربت جوارحه ،

---

١ – الطلاق : ٤ .

٢ – الطلاق : ٥ .

٣ – النساء : ٨٧ .

٤ – الأنفال : ٢– ٤ .

وعلت وجهه صفرة الوجل ، وبدرت من عينيه دموع الحب والفرق .

وإذا تليت عليه آيات الله ، حنّت إليها ضلوعه، وجرت لها دموعه، وسكن إليها قلبه ، وأخلد إليها لبّه ، وتضاعف بالاعتبار بها يقينه ، واستمكن بالتدبّر بها دينه .

وإن المؤمن شديد الثقة بربه ، عظيم التوكل عليه ، قويّ اليقين بتدبيره .

أما العلامة الأخيرة ، فهي العمل الصالح .

والعمل الصالح هو الثمرة المرجوّة للإيمان الصحيح ، ولا خير في إيمان لا ينتج عملاً ، كما لا خير في شجرة لا تؤتي ثمراً .

هذه هي إمارات الإيمان الثابت ، فطوبى لمن استمسك بها جهده ، إنها الصلة التي لا تهن إذا وهنت الصلات ، وإنها التجارة التي لن تبور إذا خسرت التجارات ، وإنه باب الرحمة الذي لن يوصد إذا غلقت الأبواب ، وسبب الفوز الذي لن يبت إذا تقطّعت الأسباب .

عن أبي حمزة عن الإمام زين العابدين عليه السلام انه كان يقول : (إن أحبكم إلى الله -عز وجل- أحسنكم عملاً ، وإن أعظمكم عند الله عملاً ، أعظمكم فيما عند الله رغبة ، وإنّ أنجاكم من عذاب الله أشدكم خشية لله ، وإن أقربكم من الله أوسعكم خلقاً ، وإن أرضاكم عند الله أسبغكم على عياله ، وان أكرمكم عند الله أتقاكم لله) .

إلهي إنّ من تعرّف بك غير مجهول ، ومن لاذ بك غير مخذول ، ومن أقبلت عليه غير مملول ، إلهي إن من انتهج بك لمستنير ، وإن من اعتصم بك لمستجير ، وقد لذنا بك -يا إلهي- فلا تخيب ظنوننا من رحمتك ، ولا تحجبنا عن رأفتك .

فالنجاة ؛ النجاة ، -عباد الله- فقد أزف للمغتر ان يرعـوي ، وقـد آن للغافل ان ينتبه ، وللمتريّث ان يعجل ، وللآمن أن يحذر .

وفي موعظة الله –سبحانه- غنى عن موعظة الواعظين .

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ .﴾ .



الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الإخلاص في العقيدة والعمل

الحمد لله ؛ ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ .

إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ .

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ .

إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ[1]﴾ .

وأشهد إنّ لا إله إلا هو ، عالم السر ، وولي الأمر ، وأشهد أنّ محمّداً ﷺ عبده ورضيه ، ورسوله ونجيّه ، اختاره ليختم به رسالته ، ويتم به دلالته، صلّى الله عليه وآله أبواب الإيمان ، وأمناء الرحمان ، وتراجمة القرآن .

---

١ – يونس : ٣ – ٦ .

عباد الله ؛ اتقوا الله ، واحمدوه على ما هداكم له من معرفته ، وأبان لكم من سبيل طاعته ، وأمدّكم به من توفيقه ، وأوضح لكم من طريقه، فقد دلّكم على نجاتكم بالأمر والنهي ، حتى بين لكم الرشد من الغـي ، وأنزل إليكم الكتاب يوضح لكم المعالم ، ونصب لكم الأدلاء ترشـدكم إلى الهدى ، فقفوا حيث أوقفكـم الله (تعـالى) ، واستمسـكوا بمـا أمـر ، وأخلصوا له الدين ، وامحضوا له الطاعة ، لتفوزوا لديه بالرتب الرفيعة، وتكونوا عن الهلكات في جنّة منيعة .

أخلِصوا في العقيدة ، وأخلِصوا في العمـل ، فـان الله لا يقبـل مـن عبـده شـيئاً إلا بـالإخلاص ، وذلـك هـو معنـى الإسـلام الصـحيح ، والإيمان الصريح ، وتلك هي وصية الأنبياء المطهرين ، وحفّاظ الشـريعة المتقدمين : ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ .[1]﴾ .

الإخلاص لبـاب العبـادة ، وقـوام الإطاعـة ، ولم يعبـد الله مـن لم يخلص له في عبادته ، ولم يؤمن به مـن لم يخلـص في إيمانـه : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً .[2]﴾ .

وان مـن مـبطلات الأعمـال ، ومهلكـات الإنسـان ، ومزلـزلات الإيمان : الرياء في العمل ، وابتغاء المنزلـة عنـد النـاس ، والرغبـة في ان يمدحوه ويعظّموه ، فهو يقصد -في عمله- بلوغ هذه الغاية .

ومصدر هذه الجرأة الأثيمة هو حب الدنيا ، فانه رأس كلّ جريمة .

---

١ – البقرة : ١٣٢ .

٢ – الكهف : ١١٠ .

إنها لجرأة على الله ، ان يجعل عبادته ذريعة إلى سواه ، وإنها للوثة في الإيمان ، يستوجب بها غضب الملك الديان ، وإنه لقصور في العقل ، وتمادٍ في الجهل : ان يبتغي المرء بالعبادة الراقية ، التي تنال بها الجنات العالية ، بلوغ شهوة من شهوات الدنيا الفانية .

ما أشدّ حسرة هذا المسكين ، إذا كان يوم الدين ، وقام الناس لربّ العالمين ، ورأى أصحابه -ممن هو دونه في العمل-، يزفون إلى المقامات الكريمة ، وتشملهم هبات الله العظيمة ، ثم رأى نفسه يساق إلى الدّرك الأسفل من النار ، وقد اشتدّ عليه غضب الجبار ، جزاءً لما ارتكب في عبادته ، ووفاءً بما أشرك في طاعته !! .

ما أشدّ حسرته إذا رأى أقرانه في الدنيا يستحقون الكرامة بأقل من عنائه ، ورأى نفسه يقاد إلى الهوان جزاء ريائه !! .

وفي الأثر عن النبي ﷺ : (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ﷺ ؟ قال : (الرياء ، يقول الله -عز وجل- يوم القيامة -إذا جازى العباد بأعمالهم-: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء) ؟[١] .

وعنه ﷺ : (إن الله لا يقبل عملاً فيه مثقال ذرة من رياء) [٢] .

وعنه ﷺ : (إن المرائي ينادى -يوم القيامة- يا فاجر يا غادر ، يا مرائي ضلّ عملك ، وحبط أجرك ، اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له) [٣].

أعاذنا الله وإياكم من خسر الميزان ، ومن نقص الإيمان ، وأصلح

---

١ - مستدرك الوسائل - الميرزا النوري - ج : ١ - ص : ١٠٧ .

٢ - ن - م - ج : ١ - ص : ١١١ .

٣ - ن - م - ج : ١ - ص : ١٠٧ .

لنا ولكم ما فسد من الأعمال ، وما اضطرب من الأحوال .

اللهم سمعنا دعوتك ، وأطعنا داعيك ، وصدّقنا كتابك ، واتّبعنا دينك ، ولك الحمد علينا في جميع ذلك .

الحمد لله على الإسلام ، والحمد لله على الإيمان ، والحمد لله على الهدى والحمد لله في الآخرة والأولى ، والحمد لله كما يحب ربنا ويرضى.

اللهم وأبلغ محمّداً وآله الطاهرين من صلواتك ورحماتك ، كفاء ما تحمّلوا من الأذى في سبيل مرضاتك ، اللهم أوفهم عنا حقوقهم ، واسلك بنا في جميع الأمور طريقهم .

اللهم وكما أبانوا لعبادك معالم الهدى ، وأوضحوا طريق النجاة من طريق الرّدى ، فصل عليهم صلاة لا انقطاع لها أبداً .

اللهم صلّ وسلّم على خير من قام بالرسالة ، وأفضل من قاوم الكفر والضلالة ، إمام المجاهدين وسيد الخلق أجمعين سيدنا ، أبي القاسم محمّد خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم .

اللهم صلّ وسلّم على سيف النبوة ، والذي خصصته من رسولك بشرف الأخوة ، أول العابدين ، وأزهد الزاهدين ، أبي الحسنين علي أمير المؤمنين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الصديقة المرضية ، والمحدّثة الزكية ، وحبيبة سيد البرية ، والدة الحجج الطاهرة ، وذات الشفاعة في الآخرة ، أم الحسنين فاطمة التقية عليها السلام.

اللهم صلّ وسلّم على وارث الأنبياء ، وعلم المهتدين الأتقياء ،

إمام المؤمنين ، وسند الصديقين ، الزكي الرضي ، سيدنا أبي محمّد الحسن بن علي عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على وتر الله الموتور ، وكتاب الله المهجور ، صريع العبرة ، ووالد العترة ، سليل الخيرتين ، ووارث المشعرين أبي عبد الله الحسين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على من اصطفاه الله بعلمه ، وارتضاه خازناً لحكمته وحكمه ، شهيد الله على بريّته ، وقيّمه على شريعته ، شفيع العباد يوم يقوم الأشهاد، سيدنا أبي محمّد علي بن الحسين السجاد عليه السلام.

اللهم صلّ وسلّم على ذي الولاية التي من تقدّمها ضل ، ومن تأخر عنها زلّ ، قرة كلّ ناظر، وإمام كلّ بادٍ وحاضر ، أبي جعفر الأول محمّد بن علي الباقر عليه السلام.

اللهم صلّ وسلّم على الغياث المرتجى ، وباب حطّة الذي من دخله نجى، الكتاب الناطق ، وأمان الله للخلائق ، من جميع الطوارق ، أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على العالم العادل ، والقسطاس الذي لم يمل من حق إلى باطل، معدن التنزيل ، وخازن علوم التوراة والإنجيل ، الطاهر المطهّر ، أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على المعصوم المهذّب ، والشهيد المقرّب ، المطهّر من الرجس، والإمام المفروضة طاعته على الجن والإنس ، معدن الحجى ، وغياث الورى ، أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على عيبة الحكمة ، ودليل الرحمة ، والنور الذي تنجلي به كلّ ظلمة ، دليل العباد إلى الرشاد ، وذخيرة العصاة ليوم

المعاد ، أبي جعفر محمّد بن علي الجواد عليه‌السلام .

اللهم صلّ وسلّم على العلمين الذين نصبتهما لأهل قبلتك ، والحجّتين الذين قرنت طاعتهما بطاعتك ، وفرضت مودّتهما على جميع خليقتك ، الهاديين الرضيين ، والكوكبين الدرّيين ، أبي الحسن علي بن محمّد ، وأبي محمّد الحسن بن علي العسكريين عليهما‌السلام .

اللهم صلّ وسلّم على نور الله الذي يهتدي به المهتدون ، ونصر الله الذي يفرح به المؤمنون ، عين الحياة ، وسفينة النجاة ، الخلف الصالح ، والولي الناصح ، الوصي المؤتمن ، والصابر الممتحن ، النور المحجّب ، والبدر المغيّب ، أبي القاسم محمّد بن الحسن عليه‌السلام .

اللهم أقم به العوج ، وأنر بظهوره الحجج ، اللهم أذلّ به الجبارين، وأطفئ بعدله نيران الكافرين ، واقصم به رؤوس الضلالة أجمعين ، حتى لا تدع منهم ديّاراً ، ولا تبقي لهم آثاراً .

اللهم اكشف عن وليّك كربته ، وأظهر دعوته ، وأصلح له رعيته .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، وأصلح شؤونهم، وطهر قلوبهم، وخذ بأيدينا إلى ما تحب .

اللهم ثبتنا على دينك ما أحييتنا ، ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، يا أرحم الراحمين .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . ﴾ .



٣

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحب الذاتي لله

الحمد لله الذي جعل الليل والنهار آيتين من عظائم آياته ، وظاهرتين من بواهر بيّناته ، لا يقضى العقل من تأملهما عجباً -وإن أوتي من كل شيء سبباً فأتبع سبباً- ، ناطهما مبدعهما بشروق الشمس وغروبها ، وعلقها بحركة الكواكب ودؤوبها ، ووقّتهما بأمد وأحصاهما بعدد ، وعاقب ما بينهما تباعاً وكوّر كل واحد منهما على صاحبه حكمة وإبداعا ، ونظّم أمرهما كما شاء زيادة ونقصاناً، وتعادلاً واتزاناً.

تشرق الشمس بقدرته ، فيحدث نهار تنشط فيه الحياة ، وتجد الحركة في الحيوان والنبات ، ويصبح الإنسان للعمل الدائب ، والمشي في المناكب، وتغرب الشمس بأمره فيبتدئ ليل تخلد فيه الأحياء إلى سباتها ، وتستجم فيه من حركاتها ، وتراح أعصاب مجهده ، ويعوّض عن طاقات مبددة : ﴿قُلْ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ . وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ .[1]﴾ .

---

١ - القصص : ٧٢ – ٧٣ .

وأشهد أنّ لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، ﴿الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً .[1]﴾ .

وأشهد أن محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، صلى الله عليه وآله ، شموس الهدى ، المزيلة بأنواره لليل العمى .

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ .[2]﴾ .

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ .[3]﴾ .

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِّلَّهِ . .[4]﴾ .

هذا هو الأثر الثالث الذي يتركه القرآن في قلب الإنسان ، الحب الشديد لله ، والوله العظيم به ، والشوق الدائم إليه ، والتعلق الكامل

---

١ – الفرقان : ٦١ – ٦٢ .

٢ – آل عمران : ٣١ .

٣ – التوبة : ٢٤ .

٤ – البقرة : ١٦٥ .

بحبه ، الحب العميق الذي لا يوازنه حب ، والشوق الدائب الذي لا يدانيه شوق ، والوله (....) [كذا في الأصل فراغ] الذي لا يبلغه وله .

.. الحب الواغل الذي ينفذ إلى كل غور من أغوار النفس ، وكل مسرب من مسارب الروح ، وكل منفذ من منافذ القلب ، وينير كل وجه من وجوه الحياة ، حتى تعود حياة المؤمن كلها حب ، وكلها نور .

إن الإنسان ليفكر في اليد العظيمة الرحيمة ، التي أفاضت عليه نعمة الوجود ، ولم يكن شيئاً مذكوراً ، وخلقته من نطفة أمشاج فجعلته سميعاً بصيراً ، وجبلته من عناصر هذه الأرض وترابها ، فقدرته بحكمتها تقديراً ، وابتدأته بالرحمة ، ودبرته بالحكمة ، وقلّبته بالنعمة مرتقياً في التطور ، متنقلاً في التصور ، وهي تتعهده بما يحتاج إليه من غذاء ، وتيسّر له سبل النمو والارتقاء ، وتصونه عما يعترضه من شر أو بلاء ، حيث لا استطاعة له ولا قدرة ، ولا علم ولا فكرة ، حتى أنشأته إنسانا سوياً في أحسن خلق ، وأبدع صورة ، وأتم تركيب ، وأدق تنظيم وترتيب .

ثم هيأت له الغذاء الهنيء ، والرواء المريء ، من حيث لا يعلم هو، ولا كفيلته ، ولا أسرته ، ولا قبيلته ، كيف ينشأ هذا اللّبن في صدر أمه، ومم يتكون ، وكيف يعد في غدده ، وكيف يهيأ لحاجته ، ثم أفاضت عليه من ضروب الرحمة الشاملة ، والرأفة الكاملة ، ما يملأ قلب الأم عليه عطفاً وحناناً ، ويفعم نفس الأسرة حباً واستحساناً ، ثم يسرت له سبل الحياة ، وسهلت له أسباب المعاش ، وهو يدب في مدارجه ، ويرتقي في معارجه .

إن الإنسان ليفكر في اليد العظمية الرحيمة ، التي أخرجته من بطن أمه لا يعلم شيئاً ، فمدته بجهاز التفكير ، ووسائل الإدراك ، وأدوات

الإحساس ، وقوى الحفظ والتذكر ، والملاحظة والاستنتاج .

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.[1]﴾ .

إن الإنسان ليفكر في اليد الرحيمة التي ابتدأته بالبر ، وغمرته باللّطف ، وظاهرت عليه النعم ، وصرفت عنه جميع النقم ، وفتحت له أبواب الخير ، ومهدت له طرق السعادة ، وأرشدته إلى الخير الأعلى ، ووجهته إلى الحياة الفضلى ، وأخذت بيده -في كل أولئك- إلى ما يسعده في الآخرة والأولى ، ثم هو مفتقر إليها ، والى تدبيرها ، في كل خطواته ، وفي كل لحظة من حياته، والتي خلقت له ما في الأرض جميعاً، وسخرت له الأفلاك الدائرة ، والكواكب السائرة ، وعلّمته كيف يستفيد من هذا التسخير ، وهذا التقدير ، وهذه القوانين وهذا التدبير .

إن الإنسان ليفكر في اليد الرحيمة ، التي ظاهرت عليه كل أولئك ، فلا يملك أن يكنّ لهذا الواهب العظيم إلا الحب العظيم ، الذي يملأ آفاق النفس وأغوارها ، وينير أكناف الحياة وأقطارها .

الحب الذاتي ، الذي يقوم على تعلّق المعلول بعلته ، ووله المربوب بربه ، والذي تجتمع فيه معاني الإجلال والإكبار ، والخضوع الكامل ، والاحتياج الشديد ، والرجاء الدائم ، وهذا الحب الذي يستشعره العبد لربه ، هو القمة للعبادة ، وهو المرقى لكل سعادة .

إن المؤمن ليحب الله فيحب كل نبي أو وصي أمر الله بحبه ، وكل عبد نال الفوز بقربه ، ويقيم صلاته مع الناس على هذا الأساس ،

---

١ - النحل : ٧٨ .

فيحب الناس الذين يتقرب إلى الله بمحبتهم ، ويصل الذين أمر الله بصلتهم .

وإن المؤمن ليحب الله فيحب كل عمل أو شيء يحبه الله ، ويبغض كل عمل أو شيء يبغضه الله ، فلا يأتي أي محرم ، ولا يترك أي واجب ولا يتسامح في أي حق .

وإن المؤمن ليحب الله فيتحلى بكل خلق أو صفة رفيعة يحبها الله ، ويجتنب كل خلق أو صفة وضيعة يبغضها الله ، فيكون رفيع الصفات والأخلاق والأعمال ، إن حب الله يسوقه إلى كل مكرمة ، ويرفعه عن كل دنيئة ، وينير له كل سبيل .

فاتقوا الله -أيّها المؤمنون-، وارتفعوا إلى هذه المنازل ، وابتغوا هذه الوسائل ، وسابقوا إلى هذه الغايات ، إن الله قد رآكم لها أهلاً فوضعها لكم ، فلا تقصروا عن نيلها ، بعد أن جعلكم الله من أهلها .

اتقوا الله -عباد الله-، وألجموا الشهوات ، واستعينوا الله في بلوغ الأمنيات ، وفكّروا إن التفكير يدعو إلى البر والعمل به ، أحبوا الله ، وأحبوا في الله ، وأحبوا كل عمل يقربكم إلى الله ، وارفضوا كل فعل يبعدكم عن الله .

(يا من أنوار قدسه لأبصار محبيه رائقة ، وسبحات وجهه لقلوب عارفيه شائقة ، يا منى قلوب المشتاقين ، ويا غاية آمال المحبين ، أسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب كل عمل يوصلني إلى قربك ، وان تجعلك أحب الي مما سواك ، وان تجعل حبي إياك قائداً إلى رضوانك ، وشوقي إليك ذائداً عن عصيانك ، وامنن بالنظر إليك علي ، وانظر بعين الود والعطف إلي ، ولا تصرف عني وجهك ، واجعلني من أهل

الإسعاد والحظوة عندك ، يا مجيب ، يا أرحم الراحمين) [1] .

وإن أبلغ المواعظ ، وأحسن الحديث ، قول الله في كتابه العظيم :

﴿بسم الله الرحمن الرحيم . وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ . وَطُورِ سِينِينَ . وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ . لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ . ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ . إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ . فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ . أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ .﴾ .



١ – الصحيفة السجادية – مناجاة المحبين– للإمام زين العابدين عليه السلام – ص : ٤١٤ .

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

التسليم لله والتوكل عليه

الحمد لله الذي سخر السماوات والأرض لعباده ، وأتم عليهم بذلك نعمة إيجاده ، فلولا الطاقة التي تمدها السماء للأرض لما وجد عليها من حي ، ولولا حركة الأفلاك وعطاؤها وأخذها ، ونظام التجاذب القائم ما بينها ، لما استقام في هذا الكون من شيء ، ولولا الأقوات التي تخرجها الأرض ، والطاقات التي تختزنها ثم تؤديها ، والأمداد التي تستقبلها ثم تعطيها ، والأوضاع والقوانين التي أهلتها لاحتضان الحياة وإنمائها ، وحفظ الأحياء وإبقائها ..

لولا هذه الخيرات ، وهذه الهبات التي أعدها بارئها لفنى كل مخلوق عليها وعطب ، ودمّر ما فيها من تصميم وخرب .

حركات رتيبة ، وتنظيمات عجيبة ، وقوانين للحياة مؤصلة ، وفصول للسنين مفصّلة ، تنطق بحكمة مدبّرها ، وتشهد بقدرة مقدّرها .

وأشهد أنّ لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، ﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ..[1]﴾ .

وأشهد أنّ محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، ارتضاه أميناً على الرسالة

---

١ – لقمان : ٢٠ .

الكبرى، ودليلاً للسعادة في الأولى والأخرى ، صلى الله عليه وعلى آله الهداة المهديين ، والأوصياء المرضيين .

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ .[1]﴾ .

أيّها المؤمنون ؛ وهذا هو الأثر الرابع الذي يتركه القرآن في قلب الإنسان، تسليم كامل لله ، وتوكل مطلق عليه ، وخضوع تام لإرادته ، وتصديق ثابت بحكمته .

إسلام كامل ، وتوكل شامل ، في الظاهر والباطن ، وفي النُسك والعبادة، وفي الرواح والمغدى ، وفي المحيا والممات ، لله وحده لا شريك له ، لا مدبّر غيره ، ولا أمر إلا أمره .

إن الله وحده خالق الخلق ، وهو وحده باسط الرزق ، وبيده وحده مقاليد الأمور ، وبأمره تبلغ أو تقصر الأسباب ، وبمشيئته تفتح أو تغلق الأبواب ، و﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .﴾ .

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .[2]﴾ .

فالمؤمن يسلم أمره إلى الله ، ويطمئن إلى حكمته ، ويطمح إلى واسع رحمته، في كل ما يصيبه من نفع أو ضر، وفي كل ما يناله من خير أو شر،

---

١ – الأنعام : ١٦٢ – ١٦٣ .

٢ – يونس : ١٠٧ .

فهو عظيم التوكل ، قوي التسليم لله .

ولمن يلجأ إلا إليه ؟، ولمن يفزع إلا له ؟، وماذا يفيده اللجوء إذا لجأ إلى احد سواه ؟، وماذا تنفعه الاستعانة إذا استعان بغيره؟، وهل يستطيع مخلوق أن يقدم ما أخر الله ، أو يؤخر ما قدم ، أو ينقض ما أبرم ؟ .

إنه التسليم الكامل لله ، والاطمئنان الواثق بحكمته ، الذي ينقذ المؤمن من كل ورطة ويخفف عليه كل شدة، ويصونه من أي اضطراب.

إنه التوكل على الله ، ومعنى التوكل على الله في الإسلام ، أن يعمل المرء جاهداً ما استطاع المجاهدة ، ويكافح ما أمكنت له المكافحة ، فإذا غلب على أمره سلّم للمقادير ، واطمأن للحكمة ، وتطلع للرحمة .

وليس معنى التوكل أن يستكين دون مجاهدة ، وان يخنع دون عمل، فتلك هي المذلة والمهانة التي يكرهها الإسلام لأي واحدٍ من أتباعه .

إن العبد ليبتلى بالفقر ، فيحتم الإسلام عليه أن يطرق أبواب الرزق ، ويتعرض لأسبابه ، ويكدح ما قدر على الكدح لسدّ فاقته ، ورفع عيلته ، فإذا أعياه ذلك لم يجزع ولم يضطرب ، وسلّم لأمر خالقه ، وعاود الكسب ما استطاع ، وهو -في كلتا الحالتين- حائز لدرجة التوكل على الله .

وإن العبد ليقع في شدة من شدائد الدهر ، فيوجب الإسلام عليه أن يجدّ في إزالة تلك الشدّة ، وأن يلج المنافذ التي جعلها الله لذلك ، وأن يستعين بالله عليه ، فإذا لم يفلح سلم لله قضاءه ، ولم يرتب ، ولم يتزلزل ، وهو -في الحالتين- حائز لدرجة التوكل على الله ، دائم التسليم له .

هكذا يعالج الإسلام هذه الأمور ، وهكذا يربي نفوس أتباعه ، ويرتفع بهم عن الهناة ، ويعتلي بهم عن السقطات .

فاتقوا الله -أيّها المؤمنون-؛ واقدروا شريعتكم حق قدرها، واعرفوا عظيم سرّها، وأنيروا -بإتّباع القرآن- سبل حياتكم قبل فوات الفرصة، وحلول الغصة.

﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ. وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ. أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ. أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ. أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ. [1]﴾.

وفقنا الله وإياكم للاستشفاء بطبه، ورفعنا إلى الدرجة الرفيعة من حبه، والمنزلة الأثيرة بقربه.



١ - الزمر: ٥٤ - ٥٨.

٤

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

أصول التقوى وآثارها

الحمد لله ذي القدرة التي لا تحدّ أقطارها ، ولا تحتجب أنوارها ، ولا تتناهى آياتها وآثارها .

كيف تخفى وبصنعها قيام كل وجود ؟ ، وكيف تحتجب وبها ظهور كل مشهود ؟ ، وكيف تتناهى والنهايات كلها بأمرها ؟ ، وكيف تمحي والمحو كله من قهرها ؟ .

لا يشغله شأن عن شأن ، ولا يمنعه كون عن كون ، ولا يصرفه تدبير عن تدبير ، ولا تصده مسألة عن مسألة ، ولا يحجبه عن عباده حجاب ، ولا يمنعه تخالف الأمور ، وتباعد الأشياء ، وتباين الأحوال ، وتكاثر الأكوان ، والأمكنة والأزمان ، أن يحيط بها علماً ، وأن يسعها تدبيراً وحكماً ، فلن يشذ شيء منها عن حيطته ، ولن يخرج أمر منها عن قبضته .

سميع كل مسألة ومجيبها ، وبصير كل علة وطبيبها ، وعليم كل خفية ورقيبها ، وبارئ كل ذرة ومحصي حركاتها ، ومنظم كل خليّة ومركب جزيئاتها .

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، عقيدة تقويني إذا ضعفت عن الخير عزيمتي ، وتقوّمني إذا اضطرب مع الهوى قصدي ، وتحييني إذا مات من الإسراف في الخطايا قلبي ، وتبصرني إذا عمي من الجهل سبيلي ، وتقيني مصارع السوء ، ومعاطب الشر ، في دنياي وآخرتي .

وأشهد أنّ محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، شهادة حسن ختامها كما خلص مبتداها ، وطاب منبتها كما طاب مجتناها ، صلى الله عليه وآله المنتجبين ، ونجوم الاهتداء في العالمين .

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[١]﴾ .

هذه الدعائم الراسية التي يرتكز عليها بناء التقوى ، والمنابع التي يفيض منها مدّها ، والمناهل التي يتصل منها عطاؤها ورفدها ، عقيدة صادقة تحيي ميت الضمير ، وتعرف الإنسان حق المعرفة بالمبدأ والمسلك والمصير ، تعرفه بالمبدأ –سبحانه–، وتشعره رهبته ، وتغرس في القلب جلاله وهيبته..

«الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ» ، فيكون –من أثر هذا اليقين– دائم المراقبة لله ، عظيم الإجلال له ، شديد الحذر من مخالفته .

وتعرف الإنسان –حق المعرفة– بالمصير الذي لا مهرب منه ولا مفر، ولا منقلب سواه ولا مستقر .

---

١ – البقرة : ٢– ٥ .

«وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ» ، فيكون -من أثر هذا اليقين في قلبه- شديد الخوف من ذلك اليوم ، ومن حسابه وعذابه ، دقيق المحاسبة لنفسه أن تنحرف عن هدىً ، أو تخالف الحق ، في كلمة تقولها ، أو عمل تعمله :

﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ .(١)﴾ .

﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ .(٢)﴾ .

وتعرّف الإنسان -حق المعرفة- بالسبيل الذي يجب أن يلتزم ، والعروة التي يجب أن يعتصم، والوسيلة التي ثبت بها الحق من نبي وكتاب.

«وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ» ، فيكون -من أثر هذا اليقين في قلبه- شديد المحافظة ، بعيد الملاحظة ، في التزام المنهج الحق ، واتّباعه في كل قول أو عمل ، وفي كل حركة أو سكون ، ولا تغلبه الأهواء المضطربة ، والآراء المتشعبة ، فيستبدل بالرشد غياً ، وبالهدى ضلالة : ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ .﴾ ؟ .

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ .(٣)﴾ .

وعبادة خالصة ، يعرج الإنسان في فتراتها إلى الحق الأعلى ، يقف بين يديه ، ويتمثل عظمته ، ويغشاه نوره ، وتظلّله رحمته .

---

١ – البقرة : ٢٨١ .

٢ – البقرة : ٤٨ .

٣ – آل عمران : ٨٣

.. يقف بين يديه ذليلاً ليستمد من عزته ، ضعيفاً ليستمد من قوته ، فقيراً ليستمد من غناه ، محروماً ليستمد من عطاه ، ويمدّ كف السؤال لتمتلئ بالعطايا ، ويرفعها بالابتهال لترجع بالهبات ، وينصب أعضاءه وجوارحه ليجلّلها اللطف الإلهي الذي لا ينتهي حده ، ولا ينقطع مده، ويستحضر الكبرياء التي لا توصف حين يقول : (الله أكبر) .

ويستحضر معاني الثناء العليا للكمال الأعلى حين يقول : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

ويستشعر معنى الرحمة الواسعة ، التي وسعت كل شيء في الدنيا والآخرة حين يقول : ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ .

ويتصور عظمة الملك المحيط ، الذي أحاط بالأكوان ، ومختلف عوالم الإمكان ، حين يقول : ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ .

ويفرده بالكمال الذاتي ، وبالإلوهية المطلقة ، وبالربوبية ، ويخصه بالعبادة والاستعانة حين يقول : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ .

ويطلب منه الهدى إلى الحق ، والثبات عليه ، والاستقامة في الدنيا والآخرة بإتباع مراشده ، حين يقول : ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ .

ويمر في عبادته وخضوعه ، في قيامه وسجوده وركوعه ، فيقبس من عطاء ربه ، ومن روح عبادته ، ومن معاني صلاته ، ما يصلح نفسه من فسادها ، وما ينفعها وينجح أمرها في دنياها وفي معادها .

وينتهي من صلاته وقد تغلغل خوف الله في أعماق نفسه ، وطبقت تقوى الله سره وجهره ، ونفذ ذكر الله في أطواء قلبه ، فيكون ذلك حصناً له من الوقوع في المآثم ، وحافزاً إلى الارتقاء في المكارم ، وتكون

صلاته عموداً تزكو فتزكو بها الروح ، وتطيب الأخلاق ، وتطيب الحياة، وتنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتقبل فيقبل بسببها كل عمل ، وتخلص وتسمو بإشعاعها كل زلفة وقربة ، عطاءً غير مجذوذ، وعملاً غير مردود، وحظاً غير منكود .

ولعظم أثر الصلاة في صلاح النفس ، وصلاح الضمير ، قرنتها الآية الكريمة مع الإيمان بالله في وثاق ، وربطتها به في السياق :

«الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» .

وإنفاق من مال الله الذي آتاه ، يواسي به البائس المكروب ، والفقير المحروب ، ويربأ به صدع مجتمعه ، وينعش به ضعفاءه ، ويشد علاقاته ، وينقي قلوب فقرائه من أحقاد يورثها العوز ، وينميها العجز ، ويؤدي به حق الله الذي ابتدأه بالنعم فخلقه ، وألهمه وأنطقه ، ثم انعم عليه فآتاه من ماله ورزقه ، ويخلص لله في أداء هذا القسط الذي يدفعه ، فيرتجعه نماءً موفوراً ، وبركة مضاعفة في دنياه ، وطهراً في قلبه ، وزكاة في نفسه وفي عمله ، وهدىً وتقوى في دينه ، وسعادة وفلاحاً ينقلب إليهما في أخراه .

«أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» .

هذه أسباب التقوى وسلالمها ، وهذه آثارها ومعالمها ، فاتقوا الله - أيها المؤمنون-؛ إنها لا تدرك إلا بأسبابها ، ولا يدخل إليها إلا من أبوابها .

إن الله قد جعل التقوى مناط الكرامة ، وسبب الفوز والفلاح في الحياة الدنيا وفي يوم القيامة ، فاحرصوا أن تكونوا من أهلها ، ومن الذين يحيون بها، ويعيشون في ظلها .

وإن التقوى بناء لا يقوم إلا بتصميم ، ولا يشاد إلا على تأسيس وتدعيم ، وإلا انتقض البناء على نفسه ، وتحطم على أسّه ، فاعملوا يكن الله في عونكم ، ويبارك جهدكم ، ويمكن لكم من بلوغ غايتكم :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ .[1]﴾ .

اللهم يا منتهى الرغبة ، ويا غياث الكربة ، ويا ولي النعمة ، ويا صاحباً في الغربة ، ويا رحمان الدنيا والآخرة ، خذ بأيدينا من دحض المزلّة فقد كبونا ، وثبتنا على الصراط المستقيم وإلا غوينا ، يا هادي الطريق ، يا فارج المضيق ، يا أهل التقوى والمغفرة ، يا أرحم الراحمين .

وإن خير القول ، وأبلغ العظات ، قول الله في كتابه :

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ . الْقَارِعَةُ . مَا الْقَارِعَةُ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ . يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ . وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ . فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ . فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ . وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ . فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ . نَارٌ حَامِيَةٌ .﴾ .



١ - المائدة : ٣٥ .

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

منجيات الإنسان من الخسر

الحمد لله الواحد يباين معاني جميع الآحاد ، الفرد لا تشبهه مشخصات الأفراد ، الوتر لا تحويه مراتب الأعداد .

له -لا شريك له- حق الوجود ، وحقيقي الوحدة، وذاتي الكمال، وسرمدي العظمة والجلال ، ووجوب الألوهية ، ومطلق الربوبية .

فهو واحدٌ حتى في معنى الواحدية ، وفرد حتى في تقوّم الفردية ، واحدٌ فلا تثنية ولا تثليث ، واحدٌ فلا تجزئة ولا توريث ، وحق مطلق ، فلا ابتداء ولا انتهاء ، وثبوت ذاتي ، فلا تغيّر ولا انتفاء .

أحمدك يا أملي عند التحام بأسي ، ويا غناي عند اشتداد بؤسي ، ويا مفزعي إذا أوحشني أهل أنسي ، ويا نجاتي من الكرب عند خروج نفسي ، ويا رجائي للرحمة عند حلول رمسي ، ويا حصني من الشدائد في حاضري وفي مستقبلي وأمسي ، جمّت شواهدك ، وعظمت محامدك ، وبرّت مواعدك ، وعمّت أياديك وعوائدك ، أستغفرك لكل سيئة أحاط بها علمك ، وأستدفع بك كل ملمة سبق بها تقديرك ، وأردّ بك عدوان العادين ، من الحاضرين والبادين .

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ

أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . ﴾ .

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ .

وأشهد أنّ محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، صلى الله عليه وآله دعائم الدين ، وسادات المتقين .

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ . وَالْعَصْرِ . إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ . ﴾ .

عقيدة راسخة حية موجهة ، وعمل زكي حي موجه ، ودعوة حكيمة حية موجهة ، هذه هي مراحل الطريق الذي ينجو به الإنسان من الخسر ، وما في غير هذا الطريق من نجاة ، بل وما في غير هذا الطريق من حياة .

عقيدة صامدة أمام العواصف والحوارف ، تبني الشخصية وتشدّها، وتصلح النفس وتمدّها ، وتنفخ الروح في العمل، وفي السلوك والمعاملة.

فلا ذبذبة ولا تزلزل ، ولا ضعف ولا ترهل ، بل حياة في حياة ، وقوة في قوة ، وثبات في ثبات ، وعمل زكي حي ، يقبس الحياة من العقيدة ، ويدفع بها إلى الأخلاق ، والصفات والسلوك والعادات ، فلا تناقض ، ولا تصادم ، بل سمّو في سمو ، ونمو في نمو ، ودعوة حكيمة إلى الحق ، وتواص في الصبر عليه ، دعوة حية نابضة ناهضة ، تنفخ الروح في المجتمع ، وتشد أطرافه، وتملي أوصافه .

هذه دعوة الله ، التي أرادها للإنسان لما دعاه إلى الإسلام ، وارتضاه له ديناً ، وجعله له منهاجاً .

وسرى الانحراف في كثير من المسلمين إلى هـذه الحقـائق ، فجردهـا من الروح ، وجرّدهـا مـن المعنـى ، وعـادت صـوراً جوفـاء ، ومظـاهر خرساء ، لا روح فيهـا ولا عطـاء ، ولا جـدوى ولا عنـاء ، يـأتي بهـا المسلم بحكم العادة ، وبحكم التقاليد المستفادة .

فالعقيدة شلّاء جامدة ، لا تنـبض بحيـاة ، ولا تـوقظ مـن سـبات ، والعبادة عادة مألوفة ، لا تهذب نفساً ، ولا تقوّم خلقاً ، والصلاة عمـل آلي ، لا تردع عن فحشاء ، ولا تنهى عن منكر ، والصوم رسم شكلي، لا يثمر مراقبة ، ولا يغرس تقوى ، والحج مظهر صوري ، لا يحفظ عن فسوق ، ولا يمنع عن لغو ، والإنفاق رمز وعادة ، لا يطبـع علـى خلـق جود ، ولا سجية شمـم ، والمعـاملات احتيـال وغـلاب ، لا أثـر فيهـا لصدق ، ولا معنى لوفاء .

وبهذا العمل الأبله عادت تعاليم الإسلام بين أبنائه خاوية جوفاء ، لا تؤتي أكلها ، ولا تنتج ثمرها للفرد المسلم ، والمجتمع المسـلم ، وعـاد الفرد -كما ارتضى لنفسه- مسلماً بالصورة لا بالمعنى ، وعاد المجتمـع - كما ارتأى له أبناؤه- مسلماً بالشكل لا بالحقيقة ، وهمـا يتمنيـان علـى الله الأماني ، وهيهات، بعد أن تنكبا الطريق :

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا . وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا . وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ، وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا .[1]﴾ .

---

١ – النساء : ١٢٣– ١٢٥ .

فالحذر ؛ الحذر -عباد الله-، إنها مسالك لا تؤدي إلى خير .

اتقوا الله وتمسكوا بمعاني إسلامكم ، واجهدوا في اكتسابها ، وجدّوا في طلابها ، وإلا بؤتم بصفقة خاسرة ، وشقاء شامل للدنيا والآخرة .

اتق الله أيها العبد الضعيف ، انك لا تقدر على أخذة الله الأليمة ، وبطشته العظيمة ..

الآن ؛ قبل أن يصبح الأمر بيد غيرك ، وقبل أن تعود من اليائسين من خيرك .

الآن ؛ قبل أن يصدر الأمر ، وينبتّ العمر ، إن ساعة واحدة تستطيع فيها أن تعوض ما فرطت ، وتحقّق ما سوّفت .

اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد ، وارحمنا بالتوفيق لترك معاصيك ما أبقيتنا ، وأعنا على التمسك بطاعتك ما أحييتنا ، واختم لنا بالخيرات إذا توفيتنا ، وتفضل علينا بالمياسرة إذا حاسبتنا ، وهب لنا العفو إذا كاشفتنا ، ولا تكلنا إلى أنفسنا فنضل ، ولا تحوجنا إلى غيرك فنذل ، يا أرحم الراحمين .

اللهم كما دللتنا بمحمّد سيّد أنبيائك إلى الهدى ، وأنقذتنا به من الهلكات والرّدى ، فعرفنا -اللهم- حقه ، وأجزل عنّا كرامته ، وأعظم مثوبته.

اللهم ارفع له ولآله الدرجات في جنانك ، وابلغ بهم الغاية العظمى من رضوانك ، وآتهم من لدنك أشرف المقامات ، وصل عليهم بأفضل الصلوات .

اللهم صلّ وسلّم على راسم طريق النجاة ، ومبلّغ دين الحياة ، أصدق العالمين قيلاً ، وأوضحهم حجة ودليلاً ، وأقومهم إلى الحق سبيلاً ، الصادق الأمين ، والمبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا أبي القاسم محمّد خاتم النبيين صلى الله عليه وآله .

اللهم صلّ وسلّم على وليه الناطق بحجته ، وبرهانه المصدق لدعوته ، ووصيه المستحفظ على شريعته ، سيّد الصديقين ، والصفوة من سلالة النبيين، أبي الحسنين علي أمير المؤمنين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على جوهرة القدس ، والمبرأة من الرجس ، والمفضلة على نساء الجن والإنس ، ووديعة خير الأنبياء ، وقرينة سيّد الأوصياء ، أم الحسنين فاطمة الزهراء عليها السلام .

اللهم صلّ وسلّم على أمين الله وابن أمينه ، وقيّمه على معارف دينه ، من ظُلِم فصبر ، وأسيء إليه فغفر ، الإمام الرضي ، والحليم الزكي ، سيدنا أبي محمّد الحسن بن علي عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على دليل رحمتك ، والمستشهد في إعلاء كلمتك، النور المستودع في الأصلاب الشامخة ، والحفيظ العليم على البينات الراسخة ، البر التقي ، والشهيد الأبي ، أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الأواه الحكيم ، والصابر الحليم ، ميزان القصاص ، وسفينة الخلاص ، سيّد المتهجدين ، وولي المسلمين ، أبي محمّد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الزكي في الحسب ، والرفيع في النسب ، والدليل المبين ، على العلم اليقين ، المنتجب من أكرم العناصر ، والحبو

بساميات المفاخر ، أبي جعفر الأول محمّد بن علي الباقر عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على مفتاح الخيرات ، ومعدن البركات ، وصاحب الحجج والدلالات ، ذي القدر السامق ، والفضل السابق ، أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على إمام الأبرار ، ومستودع الأسرار ، والمخلص لله في الإعلان والإسرار ، الصابر على الشدائد والعظائم ، أبي إبراهيم موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على النور الأزهر ، والأمان من الفزع الأكبر ، والقائم بحقك ، والشهيد على خلقك ، عبدك المرتضى ، وسيفك المنتضى ، أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الشفيع الذي تنال به الجنة ، والعلم الذي أقمت به السنة ، والهادي الذي أتممت به المنة ، نور الله الذي عم البلاد، ورضيّه من جميع العباد ، أبي جعفر محمّد بن علي الجواد عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم علي بابي الرجا ، وبدري الدجى ، وطودي العلم والحجى، المطهرين من كل زلة ، والمبرأين من كل ظلة ، الراشدين الزكيين ، أبي الحسن علي بن محمّد ، وأبي محمّد الحسن بن علي العسكريين عليهما السلام .

اللهم صلّ وسلّم على عينك الناظرة ، وآيتك الباهرة ، وإرادتك القاهرة ، الإمام الظاهرة للعاقل حجته ، والثابتة في اليقين معرفته ، المحتجب عن أعين الظالمين ، والمغيب عن دولة الفاسقين ، أمين الرحمن ، وحارس القرآن ، المهدي المنتظر ، صاحب العصر والزمان عليه السلام .

اللهم أعد به الإسلام جديداً بعد الانطماس ، وارجع به القرآن

غضّاً بعد الاندراس ، اللهم مكّن له في الأرض ، وأقم به السنّة والفرض ، وأبسط به العدل في الطول والعرض ، اللهم واحشرنا في زمرته ، وثبتنا على طاعته ، واحرسنا بدولته ، وأتحفنا بولايته ، وانصرنا على أعدائنا بعزته .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات ، وأصلح لهم أعمالهم ، وحقق برحمتك آمالهم ، انك ذو رحمة واسعة وفضل عميم .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ . ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.﴾ .



٥

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقابة الإلهية

الحمد لله الذي أوصدت دونه منافذ الأفكار ، وانحسرت عن إدراكه نوافذ الأبصار ، وقصرت عنه مطامع أولي الأنظار ، وانقطعت الحيل ، وأعيت السبل ، وانبتّ الأمل وأعيى الوهم ، وعجز الفهم ، وتبلّد الحلم، وقصرت الأدوات والوسائل ، وظهرت الشواهد والدلائل .

طلبته العقول بوسائلها المحدودة فأمعنت بعداً ، ورامته الحواس بأدواتها المادية فلم تبلغ قصداً ، وتبيّنته البصائر بإشراقه عليها فأصابت رشداً ، واستعلن النور بذات النور ، وكان الخفاء لشدة الظهور .

أحمده حمداً يبلّغني في هذه الحياة أمنيتي ، ويوجب لي رضى ربّي عند حلول منيّتي ، ويذلل أمامي كل شدة ، ويكون لي في جميع مهماتي أقوى عدة .

وأشهد أنّ لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، ﴿يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ . عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ . سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ .﴾ .

وأشهد أنّ محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، اصطفاه من جميع النبيين ، وانتجبه سيداً لرسله أجمعين ، وابتعثه رحمة للعالمين ، صلى الله عليه وعلى آله المطهّرين .

﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ .[1]﴾ .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ . إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ . مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ .[2]﴾ .

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ .[3]﴾ .

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى . لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى . وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى .[4]﴾ .

عباد الله ؛ وهذا هو الأثر الثاني الذي يتركه القرآن في قلب الإنسان ، إذا جال معه جولته الكبرى في صفات الله ، وما يجب له وما يمتنع عليه ، وعرّفه علم الله المحيط حتى بالخردلة المختبئة بين طبقات

---

١ - آل عمران : ٢٩-٣٠ .

٢ - ق : ١٦- ١٨ .

٣ - الملك : ١٣- ١٤ .

٤ - طـه : ٥- ٧ .

الصخور ، وحتى الهباءة الهائمة في أجواز السماء ، أو أعماق البحور :

﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾[1] .

.. إذا عرّفه علم الله الذي يحصي حتى الهمسة العابرة في صدر الإنسان ، والوسوسة الكامنة في باطن نفسه ، وحتى ما هو أدق من ذلك وأخفى ، حتى الهاجسة التي قد تخفى على صاحبها لشدة خفائها ، والمؤثرات والآثار التي تجيء من قبلها ومن ورائها .

.. إذا عرّفه علم الله الذي يشمل ما دق وجلّ ، وإحصاءه الذي يعمّ ما صغر وما كبر ، حتى النظرة الخائنة ، وحتى السريرة الكامنة ، وعرّفه رقابة الله على كل عمل ، وحسابه الدقيق على كلّ صوابٍ أو زلل ، وجزاءه الوافي على كل صغيرة وكبيرة ، وعلانية وسريرة :

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2] .

.. هذا هو الأثر الثاني الذي يتركه القرآن في قلب الإنسان إذا جال معه هذه الجولة ، ووجّهه هذا التوجيه ، وعرّفه هذه الحقائق ، أن يستشعر رقابة الله عليه في كل لحظة ، وفي كل حركة ، وفي كل عمل ، وفي كل تفكير ، وفي كل إحساس ، إنه في رقابة الله دائماً ، وتحت سيطرته وسلطانه ، لا يغفل عنه لحظة واحدة ، ولا يدعه في آن : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ .

---

١ – لقمان : ١٦ .

٢ – البقرة : ٢٨٤ .

وهو محاسبه ومجازيه على كل تصرّف يجريه: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾ .

وإذا استشعر هذه الرقابة الدائمة وجل من الله ، وحذر حسابه وعقابه ، وراقب الله في الصغيرة والكبيرة ، وفي السر والعلانية ، ولم يجرؤ على مخالفته في شيء ، راقب الله وإن أمن من أي مطّلع سواه ، لأن الله معه إذ يبيّت ما لا يرضى من القول ، وهو معه إذ يأتي ما لا يحبّ من العمل ، وهو معه إذ يسرّ ما لا يقبل من النية ، وهو معه إذ يكنّ ما لا يحمد من السريرة .

راقب الله واتقاه حق التقوى ، وحاسب نفسه أدق الحساب ..

راقب الله في عمله ، وراقب الله في تفكيره ، وراقب الله في مشاعره وإحساسه .

.. راقب الله في عمله لله ، وفي عمله للناس ، فلا يعمل ما تسوء عاقبته ، وما لا تحمد مغبّته ، ولا يعمل ما يخالف قول ربه ، ولا يعمل إلا مخلصاً في نيته ، مخلصاً في عمله ، مخلصاً لربه : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ . ﴾ .

وحتى في عمله للناس لا يعمل إلا مخلصاً ، انه يعمل لله قبل أن يعمل لهم ، وإنه يفي بشرطه لله إذا وفى لهم بشروطهم ، ثم هو يخالف شريعة الله وقانونه إذا قصّر في عمله ، فلم يقم بالشرط ، ولم يخلص في العمل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ .

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾ .

لا يعمل إلا مخلصاً في نيته ، مخلصاً في عمله ، مخلصاً لربه . وكل شائبة تشوب العمل ، أو تشوب النية ، تغيّر صفاء الإخلاص ، وتبطل

العمل : (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى) .

فليحذر الإنسان جهده ، وليتق الله ربه ، وليحذر مداخل الشيطان، ومنافذه التي ينفذ منها إلى عمله فيكدّر صفاءه ، ويزيل إخلاصه ويذهب رواءه ، وينتهي الأمر إلى بطلان العمل ، وارتكاب الخطل :

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ . فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ . فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً . وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً . وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ . فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً . وَيَصْلَى سَعِيراً .[1]﴾ .

فاتقوا الله -أيها المؤمنون- ؛ واعملوا لنجاتكم وأنتم في فسحة الأعمال ، وفرصة الاختيار قبل أن يقع ما تحذرون ، ويدرككم من الموت ما لا تجهلون ، ولا تنكرون ، ﴿وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ .

اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد ، واجعل غفلة الناس لنا ذكراً ، وذكرهم لنا شكراً ، واجعل صالح ما نقول بألسنتنا نية في قلوبنا ، اللهم إن مغفرتك أوسع من ذنوبنا ، ورحمتك أرجى عندنا من أعمالنا ، اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد ، ووفقنا لصالح الأعمال ، والصواب في الأفعال .

وإن خير العظات وأبلغها قول الله العظيم ، في قرآنه الكريم :

﴿بسم الله الرحمن الرحيم . وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ .

---

١ - الانشقاق : ٦- ١٢ .

النَّجْمُ الثَّاقِبُ . إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ . فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ . يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ . إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ . يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ . فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ . وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ . وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ . إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ . وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ . إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً . وَأَكِيدُ كَيْداً . فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً .﴾[1]



---

١ – سورة الطارق .

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

دور المراقبة الإلهية في العمل

الحمد لله الذي عرّف نفسه لخلقه بتنزيهه عن صفاتهم ، وتقديسه عن مشابهاتهم ، وتعظيمه عن حدودهم ، وأقدارهم وحيثياتهم .

جلّ عن أوصاف المادة ، فليس جسماً ولا جسمانياً ، وسما عن سمات الأعراض والجواهر ، فليس زماناً ولا زمانياً ، وعظم عن المقادير والأبعاد ، فليس عنصراً ولا عنصريا .

علم بالمسموعات لا بآلة لاقطة سامعة ، وعلم بالمبصرات لا بعدسة مفرّقة جامعة ، وتكلّم لا بأداة مصونة قارعة ، وخبر المحسوسات لا بأجهزة معدّة ، أو قوىً مستمدّة ، وأحاط بالأشياء لا بفكر وموازنة ، ولا بمقايسة أو مباينة ، واقتدر على الموجودات لا بأدوات وإعداد ، ولا بإعانة وإرفاد ، أظهرها من عدمها ، وناطها بنظمها ، وأحسن خلقها من مبتدئها إلى مختتمها ، فهو المحمود لذاتيّ كماله ، ومتتابع إفضاله .

وأشهد أنّ لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ .﴾ .

وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله ، وصفوته من العوالم ، وخيرته من عبد المطلب بن هاشم ، صلى الله عليه وآله المعصومين من المآثم ، المستجمعين للمكارم .

عباد الله ؛ اتقوا الله وراقبوه ، إن المؤمن دائم الرقابة لربه ، دائم المحاسبة لنفسه ، ولا يصلح عمله ، ولا تزكو نفسه ، ولا تطهر سريرته ، إلا بطول المراقبة ، ودوام المحاسبة ، وقد ذكرت أن هذا أحد الآثار التي يتركها القرآن في قلب الإنسان ، وهو إحدى الوسائل لإصلاحه ، وزكاته وفلاحه .

فإن العبد إذا استشعر رقابة الله عليه ، وآمن بقدرته الكاملة ، وعلمه الشامل ، وسلطانه العظيم ، خاف الله وراقبه في كل شيء .

راقب الله في عمله ، وراقب الله في تفكيره ، إن الله مطلع على ما يفكّر وما يصمّم ، وما يؤخر وما يقدّم ، فلا يفكّر إلا في الخير ، ولا يتمنى للناس لا الخير ، ولا يدع للشر إلى فكره سبيلاً ، حتى يقتلع جذور الشر من نفسه .

فقد ورد عنه ﷺ : (لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ، ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه) .

وفي الحديث : (شر الناس من أكرمه الناس اتقاء شره) .

وراقب الله في مشاعره وإحساسه ، فلا يحسد ، ولا يحقد ، ولا يحب لغاية باطلة ، ولا يكره لعلة سافلة ، ولا يتخلق بخلق وضيع ، ولا ينطبع على عادة سيئة ، ولا ينافق ، ولا يداجي في خلق يتحلى به ، أو عادة يعتادها ، أو عمل يعمله ، ولكنه يصنعها ، لأنها نابعة من الإيمان بالله ، والإتباع الكامل لشريعته ، والجدّ في ابتغاء رضاه ، وهو لا يبتغي على فعل الخير من الناس جزاءً ، ولا يطلب منهم على حسن معاملته وفاءً ، بل يبتغي ذلك من الله وحده ، فهو ولي أمره ، ومالك نفعه وضرّه .

عباد الله ؛ هذه إحدى وسائل القران لإصلاح الإنسان ، فتدبروها واغتنموها ، إنها طبّ ناجع ، وعلاج نافع ، ومنهج جامع .

إن الفرد حين يمتلئ بهذا الشعور العميق يستيقظ ضميره ، وتتضاعف حساسيته ، فتستقيم بذلك نفسه ، وإذا كثر في الأمّة من أمثال هذا الفرد المستقيم استقامت الأمة ، واستقامت جميع الأمور ، واستقامت الحياة كما يريد الله ، ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا .﴾ .

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ [1]﴾ .

فاتقوا الله -أيها المؤمنون-؛ وخذوا من طبّ محمّد ما يكفيكم عن أي طب ، ومن مناهج قرآنه ما يكفيكم عن أي منهج :

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا .[2]﴾ .

اللهم إنا نسألك توفيق أهل الهدى ، وأعمال أهل التقوى ، ومناصحة أهل التوبة ، وعزم أهل الصبر ، وحذر أهل الخشية ، وطلب أهل الرغبة ، ونية أهل الورع ، وخوف أهل الجزع ، حتى نخافك – اللهم- مخافة تحجزنا عن معاصيك ، وحتى نعمل بطاعتك عملاً نستحق به كرامتك ، وحتى نناصحك في التوبة خوفاً لك ، وحتى نخلص لك في النصيحة حباً لك ، وحتى نتوكل عليك في الأمور حسن ظنٍ بك يا أرحم الراحمين .

---

١ – الأعراف : ٩٦ .

٢ – الإسراء : ٩ .

اللهم رب البلد الحرام ، ورب الركن والمقام ، ورب الحل والحرام، أبلغ نبيك محمّداً وآله عنا أفضل التحية والسلام .

اللهم صلّ وسلّم على قائد الخير والبركة ، ومنقذ العباد من الهلكة أول النبيين ميثاقاً ، وآخرهم مبعثاً ، سيد المرسلين ، ورحمتك للعالمين ، أبي القاسم محمّد خاتم النبيين صلى الله عليه وآله .

اللهم صلّ وسلّم على أخ الرسول وخليفته ، والمطموع بخليقته ، والمخلوق من طينته ، سيد المسلمين ، وحبل الله المتين ، أبي الحسنين علي أمير المؤمنين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على البضعة الطاهرة ، والممتحنة الصابرة ، سيدة الشهداء من النساء ، وخير من تعبّد لك من الإماء ، أم الحسنين فاطمة الزهراء عليها السلام .

اللهم صلّ وسلّم على سيدي شباب أهل الجنة ، وريحانتي رسولك من الإنس والجنة ، الزاهدين الذائدين ، والعالمين المجاهدين ، أبي محمّد الحسن ، وأبي عبد الله الحسين عليهما السلام .

اللهم صلّ وسلّم على وليك المؤتمن ، وحجتك الممتحن ، مفزع العباد ، وغوث البلاد ، وسيد العباد ، أبي محمّد علي بن الحسين السجاد عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على مترجم وحيك ، وخازن أمرك ونهيك ، البرهان الباهر ، والنور الزاهر ، ومنار الضال السادر ، أبي جعفر الأول محمّد بن علي الباقر عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على دليلك الصادق ، وكتابك الناطق ، موضح الحقائق، بأبين المناهج والطرائق، أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على وصي الأبرار ، وعيبة الأنوار ، ووارث السكينة والوقار ، والحكم والآثار ، الإمام العالم ، أبي إبراهيم موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على إمام الهدى ، ومنار التقى ، وخير من ائتزر وارتدى ، والحجة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى ، أبي الحسن الثاني علي بن موسى الرضا عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الآية العظمى ، والحجة الكبرى ، هادي الأمة ، وينبوع العلم والحكمة ، الإمام الرضي ، والكوكب الدري ، أبي جعفر الثاني محمّد بن علي عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الممتحن بحسن البلوى ، وصبر الشكوى ، مرشد عبادك ، وبركتك في بلادك ، الضياء البادي، ونعمة الله على الموالي والمعادي، أبي الحسن الثالث علي بن محمّد الهادي عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على فرج الملهوفين ، وعصمة المتقين ، ووارث الأنبياء المنتجبين ، النور المضيء ، والهادي المهتدي ، أبي محمّد الحسن بن علي العسكري عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على سرك المكنون ، ووعدك المضمون ، ميثاقك المؤكد، وسلطانك المؤيد ، المؤمل لكشف المحن ، والمنتظر لتفريج الإحن، أبي القاسم المهدي محمّد بن الحسن عليه السلام .

اللهم أعز به الدين بعد الخمول ، وأطلع به الحق بعد الأفول ، واجلُ به الظلمة ، واكشف به الغمة ، وآمن به البلاد ، واهد به العباد ، اللهم املأ به الأرض عدلاً وخيراً ، كما ملئت ظلماً وجوراً ، اللهم وحقق به آمالنا ، وأصلح ببركته أعمالنا ، واهدنا به لما اختلف فيه من

الحق بإذنك ، انك على كل شيء قدير .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، واكفهم صروف الزمن ، وضروب المحن ، واجمعهم على الحق ، واهدهم السبيل ، واكفف عنهم الأيدي الظالمة ، وكن لهم في البدء والخاتمة ، إنك على كل شيء قدير .

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ .



٦

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

في الامتحان الإلهي

الحمد لله السابق في كلّ شيء قضاؤه ، الدائم بعد كلّ موجود بقاؤه ، الغالب على كلّ كائن أمره ، المحيط بكل معلوم علمه ، المتنزّه عن الجهات ، المتقدس عن الحيثيات ، ليس بجسم فيقال له : أين ؟، ولا بذي جهة فتحاول أن تدركه عين ، ولم يتناه كماله ليمكن نعته وحدّه ، ولم يخلُ منه موضع ليعرف قربه أو بعده ، قريب نأى فلم يدرك له مدى، وبعيد دنى فليس دونه ملتجأ ، وباطن ظهر حتى استبانت به جميع الأشياء ، وظاهر بطن حتى تعذّر إدراكه على جميع الأحياء ، أثنى على نفسه في كتابه فأرشدنا كيف نثني عليه ، وتمدّح بالرحمة والإحسان إلى العباد فعلّمنا كيف نلجأ إليه .

أحمده وأومن به ، وأضرع إليه ، وأتوكل عليه ، وأخضع لأمره ، وأعتدّ به لنيل ما أطلب ، وأدرك بمعونته كلّ ما أرغب ، وأحترز به عن كلّ ما أرهب .

وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له رفيع الدرجات ، مجيب الدعوات ، مخرج النور من الظلمات ، ومخرج من في الظلمات إلى النور ، مبدّل السيئات حسنات ، وجاعل الحسنات درجات .

وأشهد أن محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، المحمود في المقرّبين ، الممدود بالملائكة المنتجبين ، صلّى الله عليه وآله ، أمنائه على الوحي المبين .

﴿الم ، أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ . أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ .[1]﴾ .

حكمة جرت عليها سنة الله في الأولين ، وجرت عليها سنّته في الآخرين، أن يختبر الله عباده ليميّز المطيعين من العاصين ، والصادقين في دعوى الإيمان من الكاذبين .

أن يختبرهم بضروب من التقلّبات ، وصنوف من الغير ، وأنواع من التصريف ، وألوان من التكليف ، لتستبين بهذا التمحيص مراتبهم ، وتتضح به مذاهبهم ويعلم صادقهم وكاذبهم ، وينال كلّ فرد منهم جزاءه ، ويستكمل باختياره سعادته أو شقاءه .

فالثابتون على أوامر الله في ذلك الاختبار هم المطيعون الفائزون ، والمنحرفون عن نهج الله ، المستبدلون به سواه ، هم العاصون الهالكون.

بذلك يمتحن الله -عز وجل- إيمان من آمن ، فليس الإيمان قولاً باللسان ، ودعوىً بلا برهان ، ولكنه خضوع بالجوانح ، وانقياد بالجوارح وإخلاص في القول والعمل ، وتفاد من الوقوع في الزلل ، والثابت عند التجربة هو المستحقّ لرفيع المرتبة .

فاتقوا الله -عباد الله-، وأطيعوه فيما أمر ، ولا تتعدّوا عما حدّ ،

---

١ - العنكبوت : ١ - ٤

وانتهوا إلى ما عرّف ، واستعينوا به على طاعة ما كلّف ، ألا وإنكم في زمان كثرت مزالقه ، وتنوعت من الشيطان طرائقه ، فالتجئوا من الإيمان إلى حصن حصين، وادّرعوا من التقوى درعها الأمين ، ومن ادرع تقوى الله نجى من المهالك ، ونهج أوضح المسالك .

عن أبي جعفر عليه السلام قال : (وجدنا في كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا ظهر الزنا من بعدي ، كثر موت الفجأة .

وإذا طفف الميزان و المكيال ، أخذهم الله بالسنين والنقص .

وإذا منعوا الزكاة ، منعت الأرض بركاتها من الزرع والثمار والمعادن كلها .

وإذا جاروا في الأحكام ، تعاونوا على الظلم والعدوان .

وإذا نقضوا العهد ، سلط الله عليهم عدوهم .

وإذا قطعوا الأرحام ، جعلت الأموال في أيدي الأشرار .

وإذا لم يأمروا بالمعروف ، ولم ينهوا عن المنكر ، ولم يتبعوا الأخيار من أهل بيتي ، سلط الله عليهم شرارهم ، فيدعو خيارهم فلا يستجاب لهم) (١).

عباد الله ؛ تورّعوا عن المحارم ، واحترسوا عن الوقوع في المظالم .

إن مظالم العباد من أعظم الموبقات ، وإذا كان عفو الله يقتضي أن يتجاوز الله عن حقوقه عند عبده لأنه أرحم الراحمين ، فإن عدل الله يقتضي أن لا يجاوزه ظلم ظالم من الناس ، لأنه أحكم الحاكمين .

أدّوا حقوق العباد ، واحترسوا عن مظالمهم من قبل أن لا تطيقوا ،

---

١ - الكافي - الشيخ الكليني - ج : ٢ - ص : ٣٧٤ .

فإنّ الحكم دقيق ، وإن الحساب عسير ، وإن العقاب شديد كبير .

عباد الله ؛ أوفوا بعهد الله يوف لكم بعهدكم ، واشكروا نعمه يضاعف لكم في الدنيا ويثبكم في الدار الآخرة .

أيّها الناس ؛ طوبى لعبد حذر هذه الدنيا فلم يغترر منها بأمل ، ولم يقعد به كسل .

طوبى لم حذر هذه الحياة فإنها لا تنفع إلا من حذرها ، ولا تضر إلا من أمنها .

طوبى لمن أفاد من تقلّباتها عظة ، واقتبس من تنقلاتها عبرة ، فلا دوام فيها لوقت ن ولا بقاء فيها لحال ، ولا خلود فيها لنعمة ، ولا استمرار فيها لمسرّة.

أما يرى الصبح فيها يعقبه المساء ، والسعادة فيها ينفيها الشقاء ، والحياة يليها الموت ، أما يجد الصحة فيها مشوّبة بالسقم ، واللذّة مشفوعة بالألم ، والآمال مقرونة بالندم .

ميزت بين جمالها وفعالها فإذا الحلاوة بالمرارة لا تفي
حلفت لنا أن لا تخون عهودنا فكأنما حلفت لنا أن لا تفي

طوبى لعبد اخذ أهبته ، وأعلن رهبته ، واخلص توبته ، ثم جدّ للسعي وإن غفل الغافلون ، وثبت للأمر حيث يتزلزل المتزلزلون ، وصبر للاختبار حيث يخسر المبطلون .

فالثبات ؛ الثبات -عباد الله-، فإن العقبات لن يجتازها إلا الحازمون ، وان المزالق لا ينجو منها إلا الثابتون ، وإن الرهان لن يفوز فيه إلا السابقون .

﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ .[1]﴾ .

اللهم بك نستجير من غضبك ، وبقوتك نستعين على بلوغ رضاك، وبكفايتك نعتصم من النوازل ، وندّرع من جميع المخاوف ، فآمِنّا بلطفك ممن نخاف ، وحقق لنا برحمتك ما نرجو ، وتحنّن علينا بما أنت أهله .

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ .[2]﴾ .

ألا وإن أحسن الحديث قول الله العلي العظيم ، في كتابه الكريم :

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ . الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ . يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ . كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ . نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ . الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ . إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ . فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ .﴾ .



١ – يونس : ٣٠ .

٢ – البقرة : ٢٨٦ .

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الإخلاص لله

الحمد لله خير من دعاه الداعون ، وأفضل من رجاه الراجون ، واقرب من لجأ إليه المضطرون ، وأجود من أمله الراغبون ، ذي الجلال والإكرام ، والأسماء العظام ، والعزّ الذي لا يرام ، الذي يجلّ كرمه عن مجازاة المذنبين ، ويكبر حلمه عن مكافأة المقصّرين .

أناط عباده بحبل رجائه كرماً ولطفاً ، ونهاهم عن القنوط من رحمته تحنّناً وعطفاً ، وضع لهم منهاج التقوى ليسلكوه إلى رضوانه ، وفتح لهم باب التوبة ليصلوا منه إلى غفرانه ، وينجوا من مهلكات عصيانه ، فطرهم على اللّجوء إليه في النوازل ، وأمرهم بالإخلاص له ليفوزوا بأكرم المنازل .

أحمده على حميد فعاله ، وتوالي نواله ، ودوام إفضاله ، وسعة إمهاله ، وأساله أن لا يكشف قبيحاً ستره ، ولا يغير جميلاً أظهره .

وأشهد أنّ لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ . [1]﴾ .

وأشهد أنّ محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، ختم به الأنبياء ، وبعثه بالملّة

---

١ – المؤمنون : ٩١ – ٩٢ .

الحنفيّة البيضاء ، ومحى به آثار الجاهليّة الجهلاء ، صلّى الله عليه وآله سادات الأوصياء .

أيّها الناس ؛ اتقوا الله وأجيبوه فقد دعاكم ، وأطيعوه فقد كلفكم ، وهو جامعكم وسائلكم ، إنه من يطع الله يفز ويسلم ، ويفرح بما قدّم ، ومن يعص الله يخب ويندم ، ويشقى بما أجرم ، وأنصح الناس لنفسه أطوعهم لربّه ، وألزمهم لتقواه ، وأغش الناس لنفسه أعصاهم لخالقه ، وأبعدهم عن طلب رضاه .

واعلموا أن الله -عزّ اسمه- يقبل القليل من عبده ، ويدخله به الجنة إذا علم منه الإخلاص فيه ، ففي الحديث : (من قبل الله منه حسنة واحدة لم يعذّبه أبدا ، ودخل الجنة) .

وعن احد المعصومين عليهم السلام : (من أدرك الصلاة أربعين يوماً في الجماعة كتب له براءة من النفاق وبراءة من النار) .

(وإن الرجلين ليكونان في صلاة واحدة وبينهما من الفضل كما بين السماء والأرض ، وذلك أن يكون احدهما مقبلاً على الله والآخر ساه غافل) .

فالإخلاص هو السر الذي تزكو به النفوس ، وتطهر به القلوب ، وترتفع به الأعمال ، وتتحقق به المنى ، ويبلغ به المدى ، وهو السر الذي تعلو به الهمم ، وتسمو به الأمم ، وتنال القدر الرفيع في الدنيا ، والمنزلة الكبيرة في الآخرة .

وقد ورد في الوحي القديم : (من خلا عمله من الإخلاص لم ينفعه من عمله شيء) .

عباد الله ؛ احذروا هذه الدنيا أن تغرّكم عن دينكم ، وان تبعدكم شهواتها عن ربكم ، وان تصرف وجوهكم عنه فيصرف بوجهه عنكم .

الدنيا لا تصفو لشارب ، ولا تفي لصاحب ، ولا تخلو من فتنة ، ولا تخلّي من محنة ، فاعرضوا عنها قبل أن تعرض عنكم ، واستبدلوا بها قبل أن تستبدل بكم .

وقد قال ﷺ : (لا تغترّوا بالله ، فان الله لو اغفل شيئاً لأغفل الذرة والخردلة والبعوضة) .

وعنه عليه السلام : (لا يغرنكم من الله طول النسيئة ، وحسن التقاضي ، فان أخذه اليم شديد ، ان لله في كلّ نعمة حقاً ، من أدّاه زاده الله فيها، ومن قصّر فيه سلبه الله إياها ، فليركم الله من النقمة وجلين ، كما يراكم بالنعمة فرحين) .

عباد الله ، تفكّروا ، فانّ التفكر باب الإيمان ، وداعية العمل ، وقد قال ﷺ : (التفكّر ساعة خير من قيام ليلة) .

وقال أبو عبد الله عليه السلام : (التفكّر يدعو إلى البر والعمل به ، وكان أكثر عبادة أبي ذر التفكّر والاعتبار ، وأفضل العبادات إدمان التفكّر في الله وفي قدرته) .

تفكّروا في قدرة الله وبديع حكمته ، فبذلك ثبات إيمانكم به .

وتفكّروا في إحاطة علمه وعظيم تدبيره، فبذلك رسوخ توكلكم عليه.

وتفكّروا في واسع رحمته وسابغ نعمته ، فبذلك تمكّن حبّكم له ، ولجوئكم إليه .

وتفكّروا في شديد برّه بكم وإحسانه إليكم ، فبذلك نموّ إخلاصكم له ، ورجائكم فضله .

وتفكّروا في شديد أخذه وأليم عقابه ومرهوب سطوته ، فبذلك

تأصّل خشيتكم منه ، ورهبتكم إياه .

وتفكّروا فيما أعدّ للطائعين من جزاء ، وما أرصد للعاصين من شقاء ، فبذلك زيادة تقواكم له ، وعملكم لوجهه ، وسعيكم لرضاه .

تفكّروا ؛ فمن تفكّر أبصر ، ومن أبصر عمل ، ومن عمل عن بصيرة نجا ، ألا وان العمل على غير بصيرة ، وعلى غير علم ، كالأعمى الذي يخبط على غير هدى .

اللهم بعونك تتحقق الآمال ، وبتوفيقك تصلح السرائر والأعمال ، وأنت الذي فتحت أبواب الرجاء للسؤال ، اللهم فأصلح منا ما يضرّنا فساده ، وبلغنا ما يضرّنا فوته ، ويسرّ لنا ما يصعب علينا بلوغه ، وأعنا على ما يجب علينا تداركه ، انك على كلّ شيء قدير .

اللهم رب محمّد الذي هديت به الأمم ، وأتممت به النعم ، وأنرت به الظُلَم ، حقق اللهم في أمته رجاه ، ووفقهم لنيل رضاك ورضاه ، واجزه عنا الجزاء الأوفى ، وبلّغه من رضوانك المقام الأسنى .

اللهم أعل درجته ، واظهر حجته ، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته .

اللهم وكما جاهد الأقربين والأبعدين في إعلاء كلماتك ، فصلّ عليه وعلى آله الطاهرين بأفضل صلواتك .

اللهم صلّ وسلّم على حبيبك الذي فرّجت ببعثته الكروب ، وأرويت به ظمأ القلوب ، النبي الخاتم ، والصفوة من عبد المطلب بن هاشم ، المصطفى من الأنبياء الأطهار ، أبي القاسم محمّد المختار ﷺ .

اللهم صلّ وسلّم على وليد البيت الحرام ، ومطهّره بسيفه من رجس الأصنام ، أول من جاهد وصبر ، فمدحته محكمات السور ،

الولي بنص الكتاب المبين ، أبي الحسن علي أمير المؤمنين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على حبيبة الله وأم أحبائه ، وبنت النبي وأم أبنائه، المدافعة عن دين الله حين قلّت الأصحاب ، وانقلب الناس على الأعقاب ، الصديقة التقية ، أم الحسن والحسين فاطمة الرضية عليها السلام .

اللهم صلّ وسلّم على قلم الحكمة ، وسبط الرحمة ، حامل لواء الدين ، وأول الأسباط الميامين ، وثاني الأوصياء المرضيّين ، مولى كلّ ولي ، سيدنا أبي محمّد الحسن بن علي عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على فادي دين الله بنفسه ، وهادم بناء الشرك من أسه، البدر الذي حاول الجور أن يخمد منه السنا ، فأشرق نوره على أطراف القنا ، إمام الثقلين ، سيدنا أبي عبد الله الحسين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الدين القويم ، ومحيي الليل البهيم ، معدن حكم الله وسرّه ، والأمين على نهيه وأمره ، وارث مقامات المرسلين ، ووالد الأوصياء الراشدين ، أبي محمّد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على [1]

اللهم صلّ وسلّم على .

اللهم صلّ وسلّم على .

اللهم صلّ وسلّم على .

اللهم صلّ وسلّم على .

---

١ - كذا في الأصل فراغ .

اللهم صلّ وسلّم على هادي الأمم ، ووليي النعم ، ذخيرتي العصاة للنجاة من الهلكات ، وحرزي الخائفين من الطوارق والآفات ، المنتجبين للمقام العلي ، أبي الحسن علي بن محمّد وأبي محمّد الحسن بن علي عليهما السلام.

اللهم صلّ وسلّم على العلم المنصوب ، والوعد غير المكذوب ، ناشر راية الهدى ، والمنصور على من اعتدى ، خاتم الأوصياء ، والباب الذي يتوجه إليه الأولياء ، والطالب بذحول الأنبياء وأبناء الأنبياء ، المدخر لإزالة الجور والعدوان ، سيدنا الحجة المنتظر صاحب العصر والزمان عليه السلام .

اللهم قوه بقوتك ، واردفه بملائكتك ، وأنزل في قلوب أنصاره السكينة، وألبسه درعك الحصينة ، واهدم به أبنية الضلال والشرك ، واهزم به جيوش الظلم والإفك، وأحي به سننك ، وأتمم بظهوره مننك، وأدخلنا في حزبه ، واجعلنا من خاصّته وصحبه ، المنتظرين لأمره ، والدائبين في نصره .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، ومدّهم منك بالرعاية ، وخذ بأيديهم إلى سبيل الهداية ، واكفهم فتنة الدهر ، وحط عنهم باهض الإصر ، ومثقل الوزر ، انك على كلّ شيء قدير .

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.﴾ .



٧

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

بعثة الرسول محمد ﷺ

الحمد لله الذي اختار له من البشر صفوة سبقت لهم كلمته ، وتمّت في اصطفائهم حكمته ، وانبسطت على الخلق بهم رحمته ، جرى فيهم سابق علمه أن يكونوا مجاري فيضه ، وخزائن علمه في أرضه .

ميّزهم بهبات كبيرة كانوا لها أهلاً ، ومنحهم مواهب خصّهم بها كرماً وطَولاً ، وعصمهم من الخبائث والأدناس رفعة وفضلاً ، وانتجبهم قادة للخليقة ، وأدلاّء على الحقيقة ، وأتّم ببعثهم على العباد نعمته ، ونشر على ألسنتهم دعوته ، وأقام ببراهينهم حجّته ، وأوضح للحائرين دلالته ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ، ورفعهم أمثلة شاخصة للناس للقدوة ، ونماذج عالية للأسوة ، اختصّهم بذلك لما أراد للبشر من الخير الكامل ، والسلام الشامل ، والسعادة المضمونة ، والحياة الطيّبة المأمونة ، فهم أدلة الخير الأعلى ، ومراشد الحياة الفضلى.

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، الذي مَنَّ ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ .

وأشهد أن محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، ختم باسمه ديوان النبيين ، وتوّج بنوره مفارق المرسلين ، صلى الله عليه وعلى عترته المنتجبين .

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .[1]﴾ .

هذه هي أمنية أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، وهذه دعوته ، يسألها وهو يرفع القواعد من البيت ، ويضع أسس الإسلام .

أن تكون من ذريته أمة مسلمة تحيا على ملته ، وتستكمل غايته ، وأن يبعث فيهم الرسول العظيم معلماً ومزكياً ، وقدوة ومربياً ، النور الأعظم الذي يضيء البشرية من أقصاها إلى أقصاها ، ويسعد الحياة دنياها وأخراها ، ويبلغ بها من الغاية العظمى إلى منتهاها ، الرسول الذي تجتمع فيه دعوات الأنبياء أولهم وآخرهم ، وتصدّق ببعثته عامة بشائرهم .

البرهان الذي لا يذر كلمة لقائل ، ولا معذرة لغافل ، ولا حجة لعاقل .

القائد الذي يفتح القلوب قبل البلاد ، ويضمن النجاح والنجاة في الإصدار والإيراد .

الهادي الذي يزيل الريب عن الحقائق فلا غشاوة ، ويجلو الرين عن القلوب فلا غباوة .

---

١ – البقرة : ١٢٧– ١٢٩ .

الطبيب الذي يشفي الداء العياء ، ويضمن الحياة السليمة لجميع الأحياء .

صاحب الكتاب الذي لا تفنى معجزته ، ولا تبلى جدّته ، ولا تضعف حكمته ، ولا تهن دعوته ، ولا تتّضع كلمته .

النبي الخاتم ، وصاحب الشرع الدائم . ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ..﴾ .

هذا إسهامي في بناء بيتك ، وبناء دينك ، والإرهاص لنبيّك ، وعليك ربّنا إتمام البناء ، وإفاضة العطاء ، وإجابة الدّعاء .

عباد الله ؛ وفي السابع والعشرين من هذا الشهر الحرام أجيبت الدعوة ، وحققت الأمنية ، وبعث النور ، وتجلّى لطف ربّ السماء ، وتوّج محمّداً إماماً للأنبياء .

واختار الله أعظم أمين لحمل أعظم أمانة ، واختار أقوى قلب ، وأصلب عودٍ ، وأثبت قدم ، وأفصح لسان ، لأداء أكبر رسالة ، وأشمل دعوة ، وأبلغ حجة .

واختار أراف قلب ، وأولعه بالاستقامة ، وأعرفه بالرشد ، وأدلّه على الخير ، ليعلّم أبلغ كتاب ، وأعلى حكمة ، ويطبق أرفع منهج في التربية والتزكية .

واختار أشجع نفس ، وأنفذ فكر ، وأمضى عزيمة ، ليقود البشرية في سبيلها الصاعد ، إلى هدفها الخالد .

واختار أحرص الناس على هدى ، وأصدقهم في قول ، وأقرعهم في حجة ، ليجمع الناس كلهم على كلمة ، ويوحدّهم في صف ،

ويشدّهم في غاية ، ويسير بهم في سبيل ، وحدة جامعة دائمة ، تنبعث من وحدة ربهم الذي يعبدون ، ودينهم الذي يسلكون .

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ .﴾ .

نعم ، واختار الله محمّداً ليوجّه الحياة ، ويوجّه الإنسان في جميع مجالات الحياة ، ويحلّ له جميع مشاكل الحياة ، و اختار الله محمّداً لحمل جميع هذه الأعباء ، والله يقدّر ما يشاء ، ووقف التأريخ على الأعتاب ، تأريخ الأديان ، وتأريخ الكون ، وتأريخ الحياة ، وتأريخ الإنسان ، وقف ليكتب جديداً ، ويستملي مجيداً .

عباد الله ؛ وهل لهذه الأعباء غير هذه النفس التي صفّاها الله واصطفاها ، وبرأها من العيوب وزكّاها ، وإذا كان المنهج الإسلامي للتربية هو المنهج الفريد ، الذي لن يكون له في هذه الحياة قرين ولا نديد ، فإن محمّداً هو الصورة الكاملة لهذا المنهج ، الصورة النيّرة الباقية، التي أظهرها الله للبشر ، يقتدون بها في أقوالهم وأفعالهم ، ويقتبسون من هديها في جميع خلالهم :﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ..[1]﴾ .

والقدوة الصحيحة من متممات المنهج التربوي الحكيم ، وهل تكون القدوة في المنهج الإسلامي العظيم غير محمّد ﷺ ، أو غير من يمثل محمّدا ..

.. غير النّور الذي أنشأه الله بصورة البشر ، والحق الذي أخرجه بأبدع الصّور :

---

١ - الأحزاب : ٢١ .

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً . وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً .﴾ .

.. غير الخلق العظيم الذي أطراه الله في كتابه، وكمّله بقدسي آدابه، والقلب الرحيم الذي يكاد يتفطر أن يهلك هالك من البشرية ، أو يتردّى مترد في جاهلية :

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً .﴾ .

.. غير العظمة المحمدية التي لا تحدّ بمقاييس البشر ، والروح النبوية التي لا تنال بتحديد الفكَر :

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ .﴾ .

عباد الله ؛ هذا رسولكم الذي اختصصتم به دون الرسل ، وهذا منهجكم الذي انفردتم به دون المناهج والسبل ، وهذا كتابكم الذي انتسبتم إليه دون الكتب، نور في نور ، وهدى في هدى ، وسمو في سمو، فهل أنتم أهل لهذه الكرامة ؟ ، وهل ترتفعون إلى هذه المقامة ؟ ، فاتقوا الله -عباد الله- ولا تبخسوا نفوسكم حقوقها ، ولا تغفلوها طريقها .

عباد الله ؛ إنها ذكرى عيد من أعياد الإسلام أقيموها في قلوبكم ، قبل أن تقيموها في مجالسكم ، وأحيوها في نفوسكم قبل أن تحيوها بألسنتكم وأقلامكم ، أحيوها بالقدوة بصاحب الذكرى ، والاتباع لسيرته ، والاهتداء بسنته .

اللهم مصطفي محمّد ﷺ ، ومعظّم قدره ، ورافع درجته ، صلّ على محمّد وآل محمّد وثبتنا على منهاجه ، واستعملنا بسنته ، واجعلنا

ندين بدينه ، ونهتدي بهداه ، ونقتدي به ، وبطيب سيرته ، واجعلنا من خيار أمته ، ومقدم زمرته ، نعادي عدوه ، ونوالي وليه ، حتى توردنا عليه بعد الممات مورده ، غير خزايا ولا نادمين، ولا مبدلين ولا ناكثين.

وان خير الكلام ، وأفضل العظات ، قول الله في كتابه الكريم :

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . وَالضُّحَى . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى . وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى . وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى . أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى . وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى ، فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ . وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ .[1]﴾ .

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ . وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ . الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ . وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ . فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً . فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ . وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ .[2]﴾ .



١ - سورة الضحى .

٢ - سورة الانشراح .

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

ميلاد أمير المؤمنين عليه السلام

الحمد لله الذي جعل الإمامة مداً لعمر النبّوة ، وبقاءً لأنوارها ، واتصالاً لآثارها ، تخلفها في مقامها ، وتضطلع بأحكامها ، وتنوب عنها في إتمام مرامها .

عهد من الله يعهده ، وميثاق يأخذه ويؤكدّه ، وولاء يوثقه ويجدّده، لا أمر فيها لأحدٍ غيره ، ولا خيرة للمخلوقين في توليتها إلا بأمره ، يوليه من ارتضى من وصي، كما ولّى قبله من اصطفى من نبي ، كلاهما حق له وحده، ولا حق فيه لأحد بعده ، والله أعلم حيث يجعل ولايته ، كما هو أعلم حيث يجعل رسالته ، حكمة يتم بها منهجه في إقامة الشريعة ، ويقيم سنته في تحميل الوديعة ، إبرام لا نقض له ، وحكم ما أعدله ، وحق ما أعظمه وأكمله ، وما أجدره بالثبات والبقاء، وما أبعده عن تدخل الأهواء !! .

أحمده لحكيم اختياره ، وعظيم اقتداره ، وجميل إيراده وإصداره .

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللّهِ تَتَّقُونَ . وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ .﴾ .

وأشهد أن محمّداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله ، سيد ولد آدم ، والنور الذي

أضاء العالم ، صلى الله عليه وعلى آله خيرة الله التي اختارها ، وحجته التي أظهرها وأنارها .

أيها المؤمنون ؛ ويشاء الله أن يزيد هذا الشهر المبارك إلى قدره قدراً، ويضيف إلى فخره فخراً ، فيستهل فيه نور الإمامة كما استعلن فيه نور النبوة ، نور سيد الوصيين لخاتم النبيين (عليهما وعلى آلهما أفضل صلوات المصلين)، وكأن الله –سبحانه- أراد أن يتم النعمة باقتران السعدين ، واجتماع النيرين ، وكأنه –سبحانه- أراد أن يجمع للأمة في شهرها الميمون نوراً إلى نور ، وحبوراً إلى حبور .

عباد الله ؛ في البيت الذي بناه الخليل ، وطهّره الجليل ..

في البيت الحرام ، وفي الشهر الحرام ..

في الكعبة التي شرفها الله وعظّمها ، وفضّلها وكرّمها ..

في البنية التي يتوجه إليها المسلمون بوجوههم ، ويؤمّونها بقلوبهم..

في بيت الله العظيم ولد علي ، أعظم ولادة لأعظم مولود ، وأسمى تجلّة لأكرم موجود ، أراد الله بها أن يعرف الناس قدر علي منذ يوم ولادته ، وخاتمة العظيم تعرف من بدايته .

في البيت الحرام ولد علي والباب موصد لا يستطاع فتحه ، وفاطمة بنت أسد بين جُدر الكعبة يأتيها رزقها ، وبنو هاشم حول البيت في انتظار ووجوم ، وقريش وأهل مكة في هرج شامل ، قد تحلقوا حول البيت ، يستعجلون النتيجة ، ويبتغون الوليجة ، ومحمد بن عبد الله ﷺ وحده باسم الثغر ، ينتظر الوجه الميمون ، والوصي المأمون .

وانشقت الكعبة من ظهرها بعد ثلاثة أيام ، وخرجت فاطمة تحمل وليدها ، والتقى النبي بالوصي أول مرة، وتبادلت الشفاه المقدسة أول قبلة.

عباد الله ؛ حادث غريب من أروع حوادث الدّهر ، ونبأ لم يعرف التأريخ نظيره لأحد من الناس ، وفضيلة لم يحدّث الرواة بمثلها لأحد من ذوي الفضائل ، ومنقبة لم يختص بنقلها موالٍ لعلي دون مخالف ، هذا هو الفضل الجلي ، والنور العلي .

لقد اصطفى الله محمّداً ، ثم اصطفى علياً ، فكان ذلك للنبوة ، وهذا للوصيّة ، وكان ذلك لتأسيس الشريعة ، وهذا لحفظها ، وكان ذلك لتنزيل الكتاب ، وهذا لتأويله ، وكان ذلك للطاقة المبلّغة للدعوة ، وهذا للقوة المدافعة عنها .

نعم ؛ ولا بدّ للحق من قوة ، ولا بد لمحمّد من علي ، ومن أجل ذلك تأخرت دعوة الرسول ﷺ إلى أن ولد علي ، وإلى أن شبّ ، فكان أول مجيب له حين دعا ، وأول ناصر له حين استنصر ، وأول سيف سل بين يديه حين جاهد .

عباد الله ؛ هذا علي أول الأوصياء ، وأبو الذرية الأمناء ، وعديل القرآن للمنصف ، وقرين الحق في كل موقف .

هذا علي الذي أوجب الله حبّه ، وعرّف الأمة حقه .

عباد الله ؛ ان حبّ علي والطّاهرين من أهل بيته ليس ميل قلب ، وانعطاف مشاعر ، ولكنه تبعيّة في العمل ، وخضوع في الإرادة ، واتباع للسيرة ، واهتداء للسبيل : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ .﴾ .

فاتقوا الله -أيها المؤمنون- واشفعوا قولكم بالعمل ، وصدّقوا حبكم بالاتباع ، والتزموا هدى آل محمّد ، واتبعوا سبيلهم ، ولا تكونوا ممن يكذّب فعله قوله ، وتناقض دعواه عمله :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ .﴾.

اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد ، واجعلنا معهم في كل عافية وبلاء ، واجعلنا معهم في كل شدة ورخاء ، واجعلنا معهم في كل مثوى ومنقلب .

اللهم أحينا محياهم ، وأمتنا مماتهم ، واجعلنا معهم في المواقف كلها واجعلنا بهم عندك وجهاء في الدنيا والآخرة ومن المقربين .

اللهم رب محمّد وآل محمّد صلّ على عبدك وخير رسلك ، وعلى آله المطهرين المنتجبين ، وأوف لهم عنّا حقوقهم ، وآتهم من الكرامات والمنازل ما ترضاه لهم ، وأحسن بفضلك عنا جزاءهم ، وأوفر حباءهم .

اللهم وكما نصحوا لك في السرّ والعلانية ، وآثروا رضاك في كل ظاهرة وخافية ، فصلّ عليهم صلاة دائمة باقية .

اللهم صلّ وسلّم على خير الخيرة ، وخازن الرحمة والمغفرة ، وسيد الأنبياء البررة ، الذي غمسته في بحر الفضيلة ، وحبوته بالمنزلة الجليلة ، أكرم الدعاة إلى الله ، وسيد القوامين بأمر الله ، سيدنا أبي القاسم محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله .

اللهم صلّ وسلّم على وليد الكعبة ، وعليّ الرتبة ، قالع الباب ، وهازم الأحزاب ، ومحيي الليل البهيم بالتهجّد والاكتئاب ، سهم الله الصائب ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على المعصومة الطاهرة ، والمظلومة الصابرة ، قرينة الأوصياء في العصمة ، ووارثة الأنبياء في العلم والحكمة ، بضعة

الرسول ، سيدتنا أم الحسنين فاطمة البتول عليها السلام .

اللهم صلّ وسلّم على سيدي الشهدا ، والإمامين المرضيين قاما أو قعدا ، معدني الجود ، وكريمي الآباء والجدود ، الطاهرين المطهرين ، أبي محمّد الحسن، وأبي عبد الله الحسين عليهما السلام .

اللهم صلّ وسلّم على نور العارفين ، وقرة أعين الناظرين ، والمحتجب من خوف الظالمين ، إمام الهدى ، ومقر الندى ، أبي محمّد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على البرهان المنير ، وأمان كل خائف مستجير ، النور الظاهر ، ودليل النجاة في اليوم الآخر ، سيدنا أبي جعفر الأول محمّد بن علي الباقر عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على أمين الله في البرية ، وحكمه العادل في كل قضية ، زاكي الزكاة ، وشفيع العصاة ، إمام المغارب والمشارق ، أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الأمين المؤتمن ، والناصح لله في السرّ والعلن ، ترجمان الوحي ، والمستحفظ من الله على الأمر والنهي ، باب المكارم ، أبي إبراهيم موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على ذي القدر الوجيه ، النازح عن تربة جده وأبيه ، ثامن الأنوار ، وخازن الأسرار ، باب الرضا ، سيدنا أبي الحسن الثاني علي بن موسى الرضا عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على معدن الوفاء ، وفرع الأزكياء، ينبوع الحِكَم، والنور الذي تخرق به الظُلَم ، قائد العباد ، إلى منهج الرشاد ، سيدنا أبي جعفر الثاني محمّد بن علي الجواد عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على هادي الأمة ، وكاشفي الغمة ، المبرأين من العيوب، والمؤتمنين على السر المحجوب ، الزاهدين التقيين ، والرضيين الزكيين، أبي الحسن علي بن محمّد ، وأبي محمّد الحسن بن علي العسكريين عليهما السلام .

اللهم صلّ وسلّم على مجلي الظلمة، والصادع بالحكمة ، كاشف البلوى، وجامع الكلم على التقوى ، المعد لأوتار الأنبياء ، والمرتجى لكرامة الأولياء ، نصر الله المدخر ، وعدل الله المشتهر ، أبي القاسم محمّد بن الحسن المنتظر عليه السلام .

اللهم عجل ظهوره ، وأتم نوره ، وأزل به الجور ، وأذل به الجبابرة، اللهم أظهر به الحق ، وأقر به أعين الخلق ، واجمع به منتشر أمر الدين ، وأحي به قلوب المؤمنين ، اللهم أنصرهم به نصراً عزيزاً ، وافتح لهم به فتحاً قريباً ، وأجعل لهم من لدنك سلطاناً نصيراً .

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ .﴾ .

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ .﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ .



٨

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

في الغدير

الحمد لله عدد أوراق الأشجار ، وأوزان مياه البحار ، وذرات رمال القفار ، وعدد ما انشأ من شيء ، وما فطر من حيّ ، وما دبّر من أمر وما أفاض من نعمة ، وما بسط من رحمة .

والحمد لله بما حمد به نفسه ، وكما حمده المطهرون من خلقه الذين ألهمهم حمده ، وحباهم رفده ، ورفع منازلهم عنده .

والحمد لله حمداً يرفع في عليين ، وينتظم حمدا الملائكة المقربّين ، ويخلّد ثوابه في الخالدين

والحمد لله الذي أكمل الدين بعدله ، وأتم النعمة بفضله ورضي لنا الإسلام ديناً بطوله ، خلق الإنسان كما شاءت قدرته ، وآتاه رشده كما اقتضت حكمته ، وواتر أنبياءه وسفراءه وخلفاءه وأمناءه ، يقفو الخلف السلف تضيء للناس أنوار الهداية ، وتحمل أعباء الولاية .

ثم شاءت الحكمة ان يختم الرسل بإمامها ، ويتم الشرائح بختامها ، مناً من الله على عباده ، وأخذاً بيد الإنسان إلى إسعاده ، فبعث رسوله المهيمن على رسله بكتابه المصدّق لكتبه ، وسبيله القيم على سبله ،

فبلّغ الوحي ، وصدع بالأمر والنهي ، لا تأخذه في الله لومة ، ولا تضعف له في سبيل الله عزمة ، حتى أظهر الدين ، وأرغم أنوف المعتدين .

ونفذ في متقن تدبيره ان يجعل للشريعة عيناً عاصمة تحفظها عن الغيَر ، وان يقيم على الأمة قيادة حازمة تقيها المزالق والخطر ، فعقد لوليه المرتضى بيعته في الرقاب ، وأنزل بولايته نص الكتاب ، وسلسل الإمامة من بعده في المعصومين من ولده ، ولياً بعد وليّ ، ووصياً بعد وصي ، عهداً معهوداً ، وتاجاً معقوداً .

وأشهد ان لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، لا رادّ لما قضى ، ولا معقّب لما حكم ، ولا مرخص فيما حتم ، وأشهد أن محمّدا ﷺ عبده ورسوله المبلّغ لدعوته ، البشير برحمته ، النذير من نقمته .

وأشهد انّ عليّاً وأبناءه الميامين خلفاء الله وأولياؤه ، أكمل الدين بولايتهم ، وارشد الأمة بهدايتهم ، صلّى الله عليهم وسلّم ، وشرف وكرم ، وبارك وعظّم .

عباد الله ؛ ها قد اطلّ عليكم يوم الإيضاح والإفصاح ، والكشف عن المقام الصراح ..يوم العهد المعهود ، وتبيان العقود يوم الإرشاد ، ومحنة العباد ، والدلالة على الرواد ..

يوم أكمال الدين ، وإتمام النعمة ، وبسط الرحمة ..

يوم الدوح ، وما أدراك ما يوم الدوح ، والولاية التي خطّها القلم على اللوح ..

يوم اخذ الله فيه العقد على عباده ، ببيعة علي والطاهرين من أولاده ..

يوم الميثاق الذي طوق الأعناق ، واحتفلت به الملائكة في السبع الطباق ، يوم انزل الله فيه على نبيّه ورضيّه : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ .(١)﴾ .

«بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ» ، هكذا يقول الله لنبيّه العظيم ، في كتابه الكريم ، بعد نيف وعشرين عاماً يقضيها في تبليغ دعوته ، وبعد عشر سنين يقتلها في الجهاد لإعلاء كلمته ، وبعد ان بلّغ عامة آيات الكتاب ، وبيّن جلّ أحكام الدين .

وإذن ؛ فهذا الوحي الذي انزل إليه من ربه ، والذي أكد القرآن الأمر بتبليغه ، مما يخشى الرسول فيه قولة القائلين ، فهو يتأخر في بيانه حتى تضمن له العصمة من الناس ، كما ضمنت له العصمة من الارجاس ، وما كان الرسول ﷺ ليتباطأ في أمر ربه لو لم يحذر نفاق فئة أن تغمز قدس الرسالة ، ثم تتجاوزها إلى قدس التوحيد .

وإذن ، فهذا الوحي الذي انزل إليه من ربه ، والذي أكد عليه القرآن الأمر بتبليغه ، أمر يناط به جميع أحكام الدين ، بحيث لا بقاء للأحكام إلا به، ولا تتحقق غاياتها إلا ببيانه .

هذا ما يفهمه العقل المنصف من الآية الكريمة ، وهذا ما يستوحيه من إشاراتها الحكيمة .

وإذن فالأمر الذي انزل إليه من ربه ، والذي شددّت عليه الأمر بتبليغه، وضمنت له العصمة من الناس فيه ، إنما هو أمر الإمامة ، وأي أمر يجمع هذه الأوصاف التي أشارت إليها الآية غير أمر الإمامة .

---

١ – المائدة : ٦٧ .

الإمام هو الحافظ لأحكام الشرع ، والحامي لحدوده ، يحفظها عن التحريف ، ويصونها عن التزييف ، ويشرح منها ما أجمل ، ويقيّد ما أرسل ، وينفذ ما عطّل .

والإمام حارس القرآن وعيبة أنواره ، وخازن أسراره ، ومفسّر آياته ، ومؤوّل متشابهاته ، وموضح إشاراته ، يصونه عن الأيدي العابثة ، ويحميه عن الأفكار الخاطئه .

والإمام مرجع الأمة في دينها ، وموئلها في دنياها ، تهتدي بأقواله ، وتقتدي بأفعاله ، وهو رائدها الأعلى ، وقائدها إلى الحياة الفضلى ، يكلؤها من ان تنحرف بها المضلاّت ، ويسدّدها من ان تعصف بها المغريات ، ويثبتها إذا تعاورت عليها المرديات .

والإمام هو الممثل الأعلى للرسول في أمته ، في هديه وعصمته ، وفي علمه وحكمته ، وفي القيام بمهمته ، وفي فرض طاعته ، والتمسّك بولايته ، هذا هو شأن الإمام -أيها المؤمنون-، وهذا هو شأن الإمامة .

زعامة دين ودنيا ، وولاية أخرى وأولى .

وقد حذر الرسول ﷺ في تبليغها مكر الماكرين ، وبغي الباغين ، فمكث ينتظر نزول الرحمة ، بضمان العصمة ، حتى هبط عليه الوحي بما رغب ، وضمنت له العصمة من الناس كما طلب ، فجمع الجمع ، وخطب حتى أسمع كل ذي سمع ، وبلّغ عن الله ما أمر ، وصدع بالذكرى لمن ادّكر ، وأبان عن مقام علي وولده ، ونص عليه بالإمامة من بعده .

ثم أعلن ينادي ، ليسمعه كل من في الوادي : ألست أولى بكم من أنفسكم ؟ ، فقالوا : بلى ، فرفع علياً بيمناه ، لتبصره كل عين وتراه ،

وقال : من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه .

ثم أمرهم ببيعته ، وأكد عليهم وجوب طاعته .

والملا كلّهم حضور جميعاً غيّب الله رشدهم من حضور
بايعوه وبعدها طلبوا البيعة منه لله ريب الدهور

فاتقوا الله -عباد الله- ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ .

التزموا الولاية التي أكمل الله بها لكم دينه ، وأتم به عليكم نعمته ، واستمسكوا بهدى أئمتكم ، الذين برأهم الله من الرجس ، وفضّلهم على الجن والإنس ، والتزموا مودّتهم ، واتّبعوا طريقتهم ، واحذروا ان تكونوا ممن يواليهم في القول ويخالفهم في العمل ، راقبوا الله فهو رقيبكم ، واتقوه فهو حسيبكم ، وتوكّلوا عليه فهو كافيكم ، والجؤوا إليه فهو معينكم .

اللهم فكما أنعمت علينا بالهداية إلى معرفتهم ، وجعلتنا بمنّك من أهل الإجابة لهم ، والبراءة من أعدائك وأعدائهم ، فبارك لنا في عيدنا الذي أكرمتنا به ، وذكرتنا فيه عهدك ، وأتممت علينا نعمتك ، وان تجعلنا من الموفين ، ولا تلحقنا بالمكذبين ، واجعل لنا قدم صدق مع المتقين ، واحشرنا في زمرة نبيك وآله الأئمة الصادقين .

عباد الله استمعوا قول الله ، وانتفعوا بموعظة الله ، ومن أصدق من الله حديثاً ؟ .

﴿بسم الله الرحمن الرحيم . وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ .﴾ .

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

من أعمال يوم الغدير

الحمد لله الذي لا ينقطع منّه ، ولا يتضعضع ركنه ، ولا يخلف وعده ، ولا يغلب جنده ، ولا يبلغ مجده ، ولا ينتهي حمده ، له الملك العظيم الذي لا يزول ، والغنى الدائم الذي لا يعول ، والحول الواسع الذي لا يضيق ، والمنة المتتابعة التي لا تنفد .

الأحد والصمد ، رب السماوات القائمات بلا عمد ، المرتفعات بلا سند ، وربّ الأفلاك الدائرة ، والبحار الزاخرة ، وربّ الدنيا والآخرة ، ومحصي ما في ملكوته من رطب ويابس ، ومن حيّ وجامد ، ومن صغير وكبير ، ومدبّراً أحوالها ، ومقدراً آجالها .

وأشهد أن لا اله إلا الله ، وحده لا شريك له ، ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ .﴾ .

وأشهد انّ محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، ذو الحسب الكريم ، والخلق العظيم ، والقلب الرحيم ، صلّى الله عليه وآله أئمة الحق ، وأدلّة الصّدق ، الذين ارتضاهم الله وانتجبهم ، وأوجب على البريّة حبّهم .

عباد الله ؛ ان لله خيرةً من الأيام كما له خيرة من الأنام ، جعلها - عزّ اسمه- ذكرى لنعمته ، ومفتاحاً لرحمته ، أمر عباده ان يؤدّوا شكره

فيها ليستوجبوا منه المزيد ، ويرفع لهم من الدرجات والمثوبات ما يريد تحنّناً ولطفاً، وتكرّماً وعطفاً .

ألا وان من أفضل أيّام الله التي اختارها ، وأعلى شأنها وأنارها ، يوم الغدير ، اليوم الذي عقد فيه اللواء لأهل الولاء ، وأظهر الاصطفاء لأهل الصفاء .

عن الحسن بن راشد ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : (جعلت فداك ؛ هل للمسلمين عيد غير العيدين ؟ ، قال : نعم ، يا حَسَن ، أعظمها وأشرفها .

قلت : وأي يوم هو ؟ ، قال : يوم نصب أمير المؤمنين عليه السلام فيه علماً للناس .

قلت : جعلت فداك ؛ وأيّ يوم ؟ ، قال: ان الأيام تدور ، وهو يوم ثمانية عشر من ذي الحجة .

قلت : جعلت فداك ؛ وما ينبغي لنا ان نصنع فيه ؟، قال : تصومه -يا حسن- وتكثر الصلاة على محمّد وآله فيه ، وتبرأ إلى الله ممن ظلمهم حقّهم ، فإن الأنبياء كانت تأمر الأوصياء ان يتخذوا اليوم الذي كان يقام فيه الوصي عيداً) [١] .

وعنه عليه السلام : (صوم يوم غدير خم كفارة ستين سنة) [٢] .

وعن الرضا عليه السلام ، عن أبيه عن آبائه عليهم السلام ، عن أمير المؤمنين عليه السلام انه اتفق في زمانه الجمعة والغدير ، فصعد المنبر على خمس ساعات من

---

١ - الكافي - الشيخ الكليني (قده) - ج : ٤ - ص : ١٤٨ .

٢ - من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق (قده) - ج : ٢ - ص : ٩٠ .

نهار ذلك اليوم ، ثم خطب خطبة طويلة عظيمة ، إلى ان قال فيها :

(إن الله (تعالى) جمع لكم -معشر المؤمنين- في هذا اليوم عيدين عظيمين كبيرين ، لا يقوم أحدهما إلا بصاحبه ، ليكمل عندكم جميل صنيعه ..

ثم ذكر من فضل يوم الغدير شيئاً كثيراً .. إلى ان قال :

عودوا -رحمكم الله- بعد انقضاء مجمعكم بالتوسعة على عيالكم ، والبر بإخوانكم ، والشكر لله على ما منحكم ، واجتمعوا يجمع الله شملكم ، وتباروا يصل الله ألفتكم ، وتهانوا نعمة الله -كما هنأكم- بالثواب فيه على أضعاف الأعياد قبله وبعده ، إلا في مثله .

والبر فيه يثمر المال ، ويزيد في العمر ، والتعاطف فيه يقتضي رحمة الله وعطفه .

فافرحوا وفرّحوا به إخوانكم باللّباس الحسن ، والرائحة الطيبة والطعام ، وهيّئوا لإخوانكم وعيالكم عن فضل بالجود من موجودكم ، وبما تناله القدرة من استطاعتكم ، وأظهروا البشر فيما بينكم ، والسرور في ملاقاتكم ، والحمد لله على منحكم ، وعودوا بالمزيد من الخير على أهل التأميل لكم ، وساووا بكم ضعفاءكم في مأكلكم ، وما تناله القدرة من استطاعتكم ، وعلى حسب إمكانكم ، فالدّرهم فيه بمأة ألف درهم، والمزيد من الله -عز وجل- ما لا درك له .

وصوم هذا اليوم مما ندب الله إليه ، وجعل الجزاء العظيم كفاءً له عنه ..

إلى ان قال عليه السلام : وإذا تلاقيتم فتصافحوا بالتسليم ، وتهانوا النعمة في هذا اليوم ، وليبلغ الحاضر الغائب ، والشاهد الباين ، وليعد

الغني على الفقير ، والقويّ على الضعيف ، أمرني رسول الله ﷺ عن الله -عزّ اسمه- بذلك .

فاشكروا الله ؛ عباد الله وخذوا بحظّكم من هذا البر الذي دلّكم الله عليه وجعلكم من أهله ، واتقوا الله في سرّكم وعلانيتكم ، وفي أقوالكم وأفعالكم، وتوبوا إليه من قبيح أعمالكم ، يهدكم ويصلح بالكم ، ويدخلكم الجنّة عرّفها لكم .

اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد ، ولا تؤمنّا مكرك ، ولا تنسنا ذكرك ، ولا تكشف عنّا سترك ، ولا تحرمنا فضلك ، ولا تحلّ علينا غضبك ، ولا تباعدنا من جوارك ، ولا تنقصنا من رحمتك ، ولا تنزع منا بركتك ، ولا تمنعنا عافيتك ، ولا تغيّر ما بنا من نعمتك ، ولا تؤيسنا من روحك ، ولا تهنّا بعد كرامتك ، ولا تضلّنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب .

اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد عبدك ورسولك ، بما بلّغ من رسالتك ، وأقام من دلالتك ، وأدى من أحكامك ، ونصح لأنامك ، وجاهد في سبيلك، وتحمل من الأذى في جنبك .

اللهم شرّف مقامه ، وأحله في أعلى منازل الكرامة ، واقرّ عينه في أمتّه ، وأدرك تراتِه في ذريته ، وبلّغه آماله في خاصته وعامته ، وصلّ عليه وعلى الطيبين الطاهرين من عترته .

اللهم صلّ وسلّم على أكرم السابقين إليك ، واقرب المرسلين لديك ، خير من لبّى وسعى ، وسيد من بلّغ ودعا ، وأبان الدلالة لمن وعى ، شفيع يوم الدين ، سيدّنا أبي القاسم محمّد خاتم النبيين ﷺ .

اللهم صلّ وسلّم على المولى الجليل ، الذي نطق بولايته التنزيل ،

وشهد له بالطهارة والتفضيل ، خليفتك الذي به تثيب وتعاقب ، ونورك الذي جلوت به الغياهب ، وجمعت له غرّ المناقب ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على شجرة العصمة ، اليانعة بثمار العلم والحكمة ، التي طهّرها الله في الكتاب ، ونادتها الملائكة وهي قائمة تصلّي في المحراب ، الإنسية الحوراء ، سيدتنا أم الحسنين فاطمة الزهراء عليها السلام .

اللهم صلّ وسلّم على نور حدقة الرسول ، ومهجة قلب البتول ، اصدق الناس لساناً ، وأعظمهم علماً وإيمانا ، وأنصعهم حجة وبرهاناً ، الوصي الوفي ، سيدنا أبي محمّد الحسن بن علي الزكي عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الولي الموعود بشهادته ، قبل استهلاله وولادته ، شهيد الغربة ، وقتيل الكربة ، وطاهر التربة ، كوكب الاهتداء، وأبي الأئمة السعداء ، سيدنا أبي عبد الله الحسين سيد الشهداء عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الكهف الذي يأمن به الخائفون ، والركن الذي يستلمه الطائفون ، والنور الذي يهتدي به العارفون ، كعبة الوافدين ، وشرعة الواردين ، أبي محمّد علي زين العابدين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على المخصوص بالوصية ، والمنزلة المرضية ، والفرع النامي من الدوحة المحمّدية ، موضح أسرار الكتاب ، وقائد الخلق إلى الصواب، الغيث الهامر ، بالندى والمآثر ، أبي جعفر الأول محمّد بن علي الباقر عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على المطهر التقي ، وإمام كل سعيد وشقي ، والذي أودعته علم ما مضى وعلم ما بقي ، ذي الشأن الكبير ، والعلم

الغزير ، الولي السابق ، في مضامير الحقائق ، أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الآية المحكمة ، الذي بموالاته تمت الكلمة ، أمين الله على خفيات العلوم ، وصاحب المكان المحمود والمقام المعلوم ، الطاهر المطهر ، سيدنا أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على ركن التوحيد ، وعدة يوم الوعيد ، وأمان الخائف من الهول الشديد ، ولّيك الذي ارتضيته للغيب ، وعصَمته من الريب ، الولي المجتبى ، والرضي المرتضى ، أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على ذي الشرف الذي لا يوازن في يوم الفخار ، والمجد الذي لا يماثل في سمو ولا مقدار ، الغيث الذي تحيا به البلاد ، وتسعد به العباد، أبي جعفر الثاني محمّد بن علي الجواد عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على حليفي الفضائل ، والكريمين الذين ارتفعا عن المماثل ، عديلي القرآن ، وركني الإيمان ، وحجتي الرحمان ، على الأنس والجان ، الإمامين بالبرهان القوي ، والنص الجلي ، أبي الحسن علي بن محمّد، وأبي محمّد الحسن بن علي عليهما السلام .

اللهم صلّ وسلّم على خليفة الله في الارضين ، والبقية من الأوصياء المرضيين ، خاتم الأنوار الزاهرة ، وابن الأعلام الباهرة ، النور المستور والنصر المذخور ، ولواء الحق المنشور ، الكعبة التي يتوجه إليها ذوو الإيمان ، والعدل الذي تشفى به الاضغان ، أبي القاسم المنتظر ، صاحب العصر والزمان عليه السلام .

اللهم أظهر به دولتك ، وأعز به دعوتك ، وابسط بخروجه رحمتك .

اللهم إنا نشكو إليك فقد نبينا ، وغيبة ولينا ، وكثرة عدونا ، وقلة عددنا ، وشدة الفتن بنا ، وتظاهر الزمان علينا ، فصلّ على محمّد وآل محمّد ، وأعنّا على ذلك بفتح منك تعجلّه ، وبضر تكشفه ونصر تعزّه ، وسلطان حق تظهره ورحمة منك تجلّلناها ، وعافية منك تلبسناها ، برحتك يا ارحم الراحمين .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، وأصلح شؤونهم ، وحقق -برحمتك- ظنونهم ، واكفهم بغي الباغين ، وظلم الظالمين ، إنك على كل شيء قدير .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . ﴾ .



٩

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

أهوال القيامة

الحمد لله المحتجب عن المشاعر فلا تدركه حاسة ، المستعلن للألباب فلا تنكره فطرة ، بطن في ظهوره ، وخفي لفرط نوره ، فلا عين من لم يره تنكره، ولا قلب من أثبته يبصره .

سبق في العلو فلا شيء أعلى منه ، وقرب في الدنو فلا شيء أقرب منه ، فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه ، ولا قربه ساواهم في المكان به .

لم يطلع العقول على تحديد صفته ، ولم يحجبها عن واجب معرفته ، فهو الذي تشهد له أعلام الوجود ، على إقرار قلب الجَحود .

نحمده على هدايته إيانا للإيمان ، واصطفائه لنا خير الأديان ، وتثبيتنا عليه بمعجزة القرآن .

وأي حمدٍ يفي حق هذه النعمة ؟، وأي عمل منا يوازي هذه الرحمة؟ .

ونشهد أن لا إله إلا هو ، الرؤوف بمن عصاه ، السميع لمن دعاه ، الكافي من اعتصم به ، المغيث من التجأ إليه ، ونشهد أن محمّداً ﷺ

عبده الأكرم ، ورسوله الأعظم ، وداعيه للتي هي أقوم ، صلّى الله عليه وآله الطاهرين وسلّم .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ .[1]﴾ .

إيه أيّها المسكين ، ألا تستعد لهذا اليوم العظيم شأنه ، المديد زمانه ، القاهر سلطانه ، القريب أوانه ؟ .

ألا تستعد لهذا اليوم الفظيع خبره ، الشديد خطره ، البيّن أمره ، الرهيب ذكره ؟ .

ألم يحدّثك القران بصفته ؟ ، ألم يعرّفك بعظمه وشدّته ، وبطول مدّته ؟.

ألم يصف لك من شأنه عظيماً ؟ ، ألم يمثّل لك من هوله جسيماً ؟ .

أترتاب فيما نبأك به القرآن فلست بمسلم ؟ ، أم تتهاون بما سمعت من الأهوال فلست بعاقل ؟ .

كيف بك إذا السماء لهول اليوم قد انفطرت ، وإذا الشمس المنيرة لشدّته قد كورت ، وإذا الكواكب من نظامها قد انتثرت ، وإذا الأرض زلزلت ، وإذا الجبال دكدكت وسيرت ، وإذا البحار سجّرت ؟ .

طمست النجوم وانكدرت فلا نور ، وبعثرت القبور ، وأخرجت دفائنها فلا مقبور ، وزوّجت النفوس بأجسادها فلا موت ، ونشرت

---

١ - الحج : ١ - ٢ .

الصحف بأعمالها فلا خفاء ، وقام الناس للحساب ، وأزلفت الجنة للثواب ، وسعرت الجحيم للعذاب ، وتجلّى بملكوته الأعلى رب الأرباب ، وقطّعت الأسباب ، وذهلت الألباب ، ولويت الرقاب ، وكشف المستور ، وتحقق المحذور .

وسئلت اليد عما أخذت ، واستنطقت الرجل عما سعت ، والعين عما نظرت ، والكف عما أشارت ، والبطن عما هضمت ، والنفس عما ظلمت وكل جارحة عما عملت ، وسيق كلّ عامل بعمله ، ولقي جزاء إحسانه أو زللـه :

﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ . يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ . وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ . ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ . يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ .[١]﴾ .

ألا تستعدّ -أيّها الإنسان- والخيرة لا تزال في يديك لما بين يديك ، ألا تجعل لهذه الغفلة حداً قبل أن تريد ذلك فلا تقدر ، وتطلب الرجوع إلى الدنيا فلا تُسمع ، وتعتذر عما فرطت فيه من الأعمال فلا تُقبل .

ألا تستعد لخلاص نفسك ، والمنادي ينادي بك إلى الطاعة قبل أن تندم، والمنادي ينادي بك إلى الحساب ، ألا تستعد لخلاصك فاليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل .

طوبى للمنتهين عن محارم الله ، الدائبين في مرضاته ، إنهم ينصبون قليلاً، فيتنعّمون طويلاً ، طوبى للمنتبهين من الغفلة ، الساعين في أيام المهلة .

---

١ - الانفطار : ١٣ - ١٩ .

فاتقوا الله -أيّها الناس- وانتبهوا ، واعلموا ان ربكم سريع الرضا، عظيم الجود ، كبير الفضل ، واسع الرحمة ، شديد الرأفة ، يقبل على عبده متى أقبل عليه ، ويعفو عنه إذا لجأ إليه ، ويغفر له إذا تاب من ذنبه، يقبل منه اليسير ، ويثيبه عليه بالكثير .

تضرعوا إليه ، فانه لا مهرب منه إلا إليه ، واستعينوا به ، فانه لا حول ولا قوة إلا به ، بادروا إلى طاعته ، فانه لا يكلّف عبده إلا دون طاقته .

تفكّروا فيما خلقتم له ، فإن التفكر يدعو إلى الخير والعمل به ، تفكروا في خلق الله ، وعظيم قدرته ، وفيما بثّ حولكم من مظاهر حكمته ، ومجالي رحمته ، فإن التفكر في ذلك من أسمى العبادات ، وأسنى الطاعات ، وقد أثنى -سبحانه- على المتفكرين ، فقال في كتابه الكريم :

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.[1]﴾ .

تفكروا في عظمة الله ، فان التفكر عبادة العقل ، وهل يصل المرء إلى الدرجات العالية إلا بالتفكّر ؟ ، وهل يرتفع إلى مراتب المعرفة بسوى التأمل؟.

تفكّروا في خلق الله ، وشواهد قدرته ، ودلائل تدبيره ، ولا تفكّروا في الله ، فإنكم لن تقدّروه حق قدره .

وقد روي عنه ﷺ انه قال : (أعطوا أعينكم حظّها من العبادة ،

---

١ - آل عمران : ١٩٠ - ١٩١ .

فقالوا: يا رسول الله ﷺ وما حظّها من العبادة ؟ ، قال : النظر في المصحف ، والتفكر فيه ، والاعتبار عند عجائبه .)[١] .

وقالوا : طول الفكرة دليل على طريق الجنة ، فالسماوات العلى بشمسها وقمرها ، ونجومها وأفلاكها ، وحركاتها ومداراتها ، وإحكامها وانتظامها ، تشير إلى مدبّر لا يُغفِل ، ومقدّرٍ لا يهمل .

والأرض بعناصرها وطبقاتها ، ومهادها وأوتادها ، ومعادنها وخزائنها ، وبحارها وأنهارها ، ونباتها وحيوانها ، تشهد بموجد قدير ، عليم بصير، لا يُغفِل بتدبيره حتى الذرّة ، ولا يترك من تنظيمه حتى الحبة.

وهذا الإنسان بروحه وجسده ، وبعجيب خلقته ، وبديع صورته ، وبسمعه وبصره ، وجوارحه ومشاعره ، وأجزائه وعناصره ، وبما يتضمن كلّ ذلك من نعمة، ويحتوي عليه من رحمة ، يدل على منعم عظيم ، وبارئ رحيم، يجب أن يؤدّى شكرُه ، وان يطاع أمره ، فلا يحق أن يقابل هذا المنعم بالعصيان، ولا يسوغ أن تكافأ نعمه بالكفران ، فإن ذلك يؤدي إلى الخسران.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً . فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً . فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً . فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً . فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً . إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ . وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ . وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ . أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ . وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ . إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ .﴾ .



١ – المحجة البيضاء – ج : ٨ – ص : ١٩٥ .

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

أهمية الصلاة في الإسلام

الحمد لله خالق الخلق ووارثهم ، ومميتهم وباعثهم ، المحيط بآثارهم وأعمالهم ، المحصي لعدد أنفاسهم ، العليم بخائنة أعينهم ومخفيّ صدورهم ، الخبير بمستقرهم ومستودعهم من الأصلاب والبطون ، البصير بمختلف أحوالهم من الحركة والسكون .

الذي اشتدت نقمته على أعدائه في سعة رحمته ، واتّسعت رحمته لأوليائه في شدة نقمته ، قاهر من عازّه ، ومدمّر من شاقّه ، ومذل من ناواه ، وغالب من عاداه ، من توكل عليه كفاه ، ومن سأله أعطاه ، ومن أقرضه قضاه ، ومن شكره جزاه .

أحمده ؛ وأعترف له على نفسي بالتقصير ، وأساله حسن المنقلب والمصير، وأشهد أنّ لا إله غيره ، ولا ربّ سواه ، ولا شريك يعادله ، ولا ضدّ ينازعه ، ولا ردء يوازره ، وأشهد أنّ محمّداً ﷺ عبده ومصطفاه ، أرسله شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، صلّى الله عليه وآله أصول الكرم ، وقادة الأمم .

أيّها الناس ؛ اتقوا الله الذي من عليكم بمعرفته ، ودلّكم على موجبات رحمته ، ودواعي نقمته ، واعلموا أنكم لن تدركوا مرضات الله إلا بطاعته ، ولن تستوجبوا غضبه إلا بمعصيته :

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ.﴾[١] .

﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا .﴾[٢] .

الصلاة عماد دينكم ، فلا يخادعنكم الشيطان عنها ولا تستهينوا بأمرها.

فعن الصادق عليه السلام : (ما أعلم شيئاً بعد معرفة الله -سبحانه- أفضل من هذه الصلاة) .

وقال عليه السلام : (أحب الأعمال إلى الله الصلاة ، وهي آخر وصايا الأنبياء).

وقال عليه السلام : (إذا قام المصلي إلى الصلاة نزلت عليه الرحمة من أعنان السماء إلى أعنان الأرض ، وحفّت به الملائكة ، وناداه ملك لو يعلم هذا المصلي ما في الصلاة ما انفتل) .

وقال النبي صلى الله عليه وآله : (إذا قام العبد في صلواته نظر الله إليه حتى ينصرف ، وأظلته الرحمة من فوق رأسه إلى أفق السماء ، والملائكة تحفّه من حوله إلى أفق السماء ، ووكّل الله به ملكاً قائماً على رأسه يقول له: أيّها المصلي لو تعلم من ينظر إليك ، ومن تناجي ما التفت ولا زلت من موضعك أبدا) .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : (صلاة فريضة خير من عشرين حجة، وحجة خير من بيت مملوء ذهباً يتصدّق به حتى يفنى) .

وقال عليه السلام : (من قبل الله منه صلاة واحدة لم يعذّبه بذنوبه)[١] .

---

١ – النور : ٥٦ .

٢ – النساء : ١٠٣ .

فالله ؛ الله -عباد الله- في هذا العمود ، لا يصدّنكم الشيطان عنه ، ولا يصغّرنّ في أعينكم أمره ، فتستوجبوا العقاب الأليم .

الصلاة سبب متصل بين الله وبين عبده ، فمن تمسّك به ارتفع إلى الدرجات العلى ، ومن قطعه هوى إلى الدركات السفلى .

و(إن أول ما يحاسب به العبد الصلاة ، فإن قبلت قبل ما سواها ، وان الصلاة إذا ارتفعت في أول وقتها رجعت إلى صاحبها وهي بيضاء مشرقة ، تقول : حفظتني حفظك الله ، وإذا ارتفعت في غير وقتها بغير حدودها ، رجعت إلى صاحبها ، وهي سوداء مظلمة تقول : ضيّعتني ضيعك الله) .

(بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد ، إذ دخل رجل فقام يصلّي، فلم يتم ركوعه ولا سجوده ، فقال ﷺ : نقر كنقر الغراب ، لئن مات هذا وهكذا صلواته ليموتن على غير ديني) .

(إذا قام العبد فخفّف صلواته ، قال الله (تعالى) لملائكته : أما ترون إلى عبدي ، كأنه يرى قضائي حوائجه بيد غيري ؟ ، أما يعلم ان قضاء حوائجه بيدي) .

وعن أبي إبراهيم عليه السلام قال : (لما حضرت أبي الصادق عليه السلام الوفاة قال لي : يا بني إنه لا ينال شفاعتنا من استخفّ بالصلاة) [٢] .

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ﷺ أوصني ، فقال : (لا تدع الصلاة متعمداً ، فإن من تركها متعمداً فقد برئت منه ملّة الإسلام) [٣] .

---

١ - الكافي الشيخ الكليني (قده) - ج : ٣ - باب الصلاة .

٢ - الكافي الشيخ الكليني (قده) - ج : ٣ - باب الصلاة .

٣ - الكافي الشيخ الكليني (قده) - ج : ٣ - باب الصلاة (باب النوادر) ،

وما من صلاة يحضر وقتها إلا نادى ملك بين يدي الناس : (أيّها الناس قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم ، فأطفئوها بصلواتكم) [(١)] .

الصلاة ؛ الصلاة ؛ لا تستخفوا بها فتستحقوا من الله العقاب ، ولا تسهوا عنها فتستوجبوا الويل والخسران ، ولا تتركوها فتبرأوا من ملة محمّد ﷺ ، ولا تتهاونوا بأمرها فيأخذكم الله بمقته .

ألا وإنّ تارك الصلاة لا ينتفع بعمل ، فلا تغلقوا عن أنفسكم باب الرحمة، ولا تعرضوها لشديد النقمة .

فقد حكى الله سبحانه عن المجرمين -وقد سألهم أصحاب اليمين-: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ . قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ . وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ . وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ . وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ . حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ . فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ . [(٢)]﴾ .

أجارنا الله وإياكم من أليم عذابه ، وعاملنا بفضله في يوم حسابه ، وكفانا مزالق الشيطان وأحزابه ، انه المنان بالعطاء .

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ . رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ . [(٣)]﴾ .

اللهم انك افترضت لنبيك ﷺ علينا حقاً ، رفعت به على الخلق درجته، وأعليت منزلته ، وأثقلت به موازيننا ، وملأت به دواويننا ،

---

١ – ثواب الأعمال الشيخ الصدوق – ص : ٣٥ .

٢ – المدثر : ٤٢ – ٤٨ .

٣ – إبراهيم : ٤٠ – ٤١ .

فقلت -وقولك الحق-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً .﴾ .

اللهم صلّ وسلّم على خيرة الله في أرضه وسمائه ، والصفوة التي اختارها من أنبيائه ، صاحب الخلق العظيم ، والمخصوص بالمقام الكريم، دليل النجاة ، والذي جعلت قرة عينه في الصلاة ، المتوّج بالأنوار ، سيدنا ونبينا أبي القاسم محمّد المختار ﷺ .

اللهم صلّ وسلّم على الصراط الأقوم ، والفاروق الأعظم ، أول المظلومين ، وصابر الممتحنين ، وقائد الغر المحجّلين ، أبي الحسنين علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على أم أئمة الهدى ، وحليلة صاحب اللواء ، والكريمة عند الملأ الأعلى ، والمفضلة على جميع النساء ، أم الحسن والحسين ، سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام .

اللهم صلّ وسلّم على كوكبي السعد ، وفرقدي المجد ، شهيدي الأمة ، ورائدي الرحمة ، وكاشفي الغمة ، السبطين المنتجبين ، أبي محمّد الحسن وأبي عبد الله الحسين عليهما السلام .

اللهم صلّ وسلّم على مقيم الصلاة في غياهب الظلمات ، ومنقذ العصاة من شفا جرف الهلكات ، إمام الثقلين ، وقرة كلّ عين ، سيدنا أبي محمّد علي بن الحسين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على مفرج غمرات الكروب ، ودافع ويلات الخطوب، صادق الوعد ، والموفي بالعهد ، الصديق الولي ، والنور الجلي ، سيدنا أبي جعفر محمّد بن علي عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على ذي الدرجات الرفيعة ، والرافع لقواعد الشريعة ، ومن تشرفت باسمه الخاصة من الشيعة ، الكريم المسدد ، سيدنا أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على كريم المولد ، وشريف المحتد ، والولي المرشد ، الزاهد العابد ، والراكع الساجد ، وزين المنابر والمساجد ، النور الأزهر ، سيدنا أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على النور الثامن ، والشفيع الضامن ، طبيب القلوب ، والمدخّرة زيارته لتنفيس الكروب ، ومغفرة الذنوب ، كنز التقى، ومقر النهى سيدنا أبي الحسن الثاني علي بن موسى الرضا عليه السلام.

اللهم صلّ وسلّم على سليل الأوصياء ، ووارث الأنبياء ، دليل المتقين إلى الطاعة ، وذخيرة المذنبين في مقامات الشفاعة ، البر التقي سيدنا أبي جعفر الثاني محمّد بن علي عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على ركني توحيدك، ولساني تقديسك وتمجيدك، أمينيك على العلم المخزون ، وناظريك على السر المصون ، الصادقين الرضيين، أبي الحسن علي بن محمّد ، وأبي محمّد الحسن بن علي العسكريين عليهما السلام .

اللهم صلّ وسلّم على ميثاق الله الذي أخذه ، وعهده الذي يشقى من نبذه ، نور أبصار الورى ، وخير من تقمص وارتدى ، والبقية الظاهرة من أولي القربى ، القائم بأمر الله ، والحافظ لدين الله ، إمام السر والعلن ، وكاشف الكرب والمحن ، سيدنا أبي القاسم محمّد بن الحسن عليه السلام .

اللهم أظهر بظهوره الدين ، واقمع به الظالمين ، واشف به صدور

قوم مؤمنين ، اللهم اكشف به البلاء ، وفرج به الغمـاء ، اللـهم اجعلنـا من أعوانه ، ومعزّزة سلطانه .

اللهم اغفر به ذنوبنا، وأنر به قلوبنا ، واجمعنا به على الحق والهدى، وأنقذنا ببركته من الضلال والردى ، اللهم أرنا في آل محمّد ما يـأملون ، وفي أعدائهم ما يحذرون .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . ﴾.



١٠

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

قوا أنفسكم وأهليكم ناراً

الحمد لله الذي لا منتهى لحمده ، ولا منقطع لرفده ، ولا خلف لوعده ، ولا فوز ولا نجاح إلا من عنده ، ذي الجود الذي عمّ من عرفه ومن أنكره ، والنعماء التي شملت من شكره ومن كفره ، ألهمني أن احمده فكان حمدي له ضرباً من نعمه ، وعرفني أن أعبده فكانت عبادتي إياه نوعاً من كرمه ، ووفقني أن أستعينه فكانت استعانتي به بعض أياديه عليّ ، وقواني على أداء جميع ذلك كما يريد فكان قيامي به بعض إحسانه إليّ .

وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، المليك حيث لا ملكوت ، الرب حيث لا مربوب ، القاهر حيث لا مقهور ، وأشهد أنّ محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، ذو الخلق العظيم ، والدين الكريم ، عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ[1]﴾ .

---

١ – التحريم : ٦ .

أيها المؤمنون ؛ هذه بعض تبعات الإيمان الصحيح تجعلها هذه الآية الكريمة بين أيديكم ، لكي تتخذوا منها منهجاً تسيرون عليه في حياتكم، وتستكملوا بتطبيقه درجات إيمانكم ، وكنت قد أسلفت إليكم في الأسبوع الماضي حول هذه الآية الكريمة بعض الحديث ، وفي الآية جوانب عديدة من الإرشاد القرآني لابد للمؤمن من تعرّفها ، ولابد له من الوقوف عليها ، والعمل على الاقتباس منها ، والسيّر في أضوائها .

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)).

إن الإيمان وحده مهما كان خالصاً ، ومهما كان مكيناً ، لا يكفي لخلاص الإنسان من هذه النار الموقدة ، حتى يستتبع ذلك الإيمان عملاً بمناهج الله ، وتطبيقاً صحيحاً لأحكامه ، ثم دعوة خالصة إلى هذه المناهج ، وجهاداً دائباً في إبلاغها ، وسعياً في بيانها وإسماعها .

عباد الله؛ إن المرء لا ينجو من الخسر ، ولا يأمن من نار «وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ» ، حتى يؤمن بدين الله إيماناً كاملاً ، ويعترف به اعترافاً شاملاً ، وحتى يطبق شريعة الله وأحكامه على أعماله ومعاملاته وعلى سلوكه ، في جميع نواحي حياته ، وحتى يسعى جاهداً في الدعوة إلى دين الله ، والاستمساك بشريعة الله ، والثبات على منهجه.

إن المرء لن ينجو من الخسران ، ولن يأمن من دخول النيران ، حتى يأخذ بنصيبه في هذه الميادين الثلاثة : ميدان الإيمان ، وميدان العمل ، وميدان الدعوة ، وهذه هي الحقيقة التي يقرّرها الله في كتابه المبين ، حيث قال -وهو اصدق القائلين-: ﴿وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ .﴾ .

«إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ» ، ولا يسلم من هذه العاقبة السوأى «إِلَّا

«الَّذِينَ» اجتازوا الامتحان ، فأدركوا السبق في المضامير الثلاثة ، وهم الذين «آمَنُوا» ، فأحرزوا السبق في ميدان الإيمان .

«وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» ، فحازوا النجاح في ميدان العمل ، «وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ» ، فنالوا الفوز في ميدان الدعوة .

يا أيها الذين آمنوا إن أمامكم ناراً موقدة ، تطلع على الأفئدة ، «وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ» ، وما أشدّها ناراً غليظة شديدة ، تأكل الوقود ، وتطلب المزيد ، قد وكّل عليها «مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ» ، تناسب صفاتهم العمل المنوط بهم ، مطيعون لأمر ربهم ، «لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» .

وعلى كل فرد أن يقي نفسه من هذه النار الغليظة الشديدة ، بالإيمان الثابت ، والعمل الصالح ، وعليه أن يقي منها أهله بدعوتهم إلى الله ، وتثبيتهم على شريعته ، وتعريفهم بمناهج دينه .

هذه بعض تبعات الإيمان الصحيح ، عليكم أن تتخذوا منها منهجاً تسيرون عليه في حياتكم ، وتستكملوا بتطبيقه درجات إيمانكم .

والدعوة إلى الله -أيها المؤمنون- من أهم فرائض الله التي أوجبها عليكم، ومن أقوى الدعائم التي يتأسس ويصلح ويتسامى بها مجتمعكم، فلا تتهاونوا بأمرها فتستوجبوا مقت الله وأليم عذابه ، ويهبط مجتمعكم إلى الحضيض الأرذل ، والمهوى الأسفل :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ . [١]﴾ .

والمجتمع المسلم يبدأ من البيت المسلم ، من الأسرة الواحدة المسلمة

---

١ - المائدة : ٨ .

فهي الخلية التي يتألف منها ، ومن نظائرها ذلك الجسم الحي ، وهي اللبنة التي يبتني منها ومن أخواتها ذلك الصرح المشيد ، وهي الوحدة التي يتكون منها ومن مثيلاتها ذلك المعسكر القوي الصامد ، وهي المخدع الأمين الذي يلتقي فيه نصف الإنسانية بنصفها الآخر : الرجل والمرأة ، وهي المحضن الذي تنشأ ، وتتربى ، وتكبر فيه البنات والبنون .

فلا بد وأن نجهد لأن تكون الخلية سليمة ، وإلا سرى العطب إلى الجسم الحي .

ولا بد وأن نعمل لأن تكون اللبنة قوية متماسكة ، وإلا أسرع الانهيار إلى البناء ، ولا بد وان نداب لأن تكون الوحدة منيعة حصينة ، وإلا تمكن العدو من اقتحام المعسكر ، ولا بد وان نسعى لأن يكون المخدع والمحضن حصينين أمينين ، كاملي العدة للغاية التي أعدّا لها ، وإلا تسرب الوهن إلى خلق الزوجين، والى علاقتهما ، وإلى تربية الأبناء ، وإلى طباعهم .

ومن أجل ذلك أوجب الله على المؤمن أن يبدأ بدعوة أهله ، وأن يقيهم مما يقي منه نفسه ، وجعل دعوته إياهم من تبعات إيمانه ، ومن شرائط نجاته .

فاتقوا الله -أيها المؤمنون-، وخذوا بمناهج الله التي وضعها لإسعادكم ، ونجاتكم في هذه الحياة الدنيا ، ويوم معادكم ، فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين .

وفقنا الله وإياكم لاتّباع هداه ، والعمل الدائب ابتغاء رضاه ، وكفانا مزالق الأهواء ، ومضلاّت الآراء ، وثبتنا على صراطه المستقيم ، واتّباع قرآنه العظيم : ﴿بِسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ . وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ .﴾ .

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

إصلاح الأسرة

الحمد لله الذي جعل الأرض مهاداً ، وجعل الجبال لها أوتاداً ، وبنى بقدرته فوقها سبعاً شداداً ، والذي جعل القمر فيهن نوراً ، وجعل الشمس سراجاً ، وخلق الأشياء بحكمته أزواجاً ، الأزلي فلا وجود قبله ولا عدم ، الأبدي فلا نهاية له ولا حدّ ، الواجب فلا تغيّر ولا استحالة ، منتهى كل طلبة ، ومحطّ كل رغبة ، ومعقد كل رجاء ، ومناط كل أمل ، ومصدر كل خير ، ومبعث كل رحمة ، وولي كل نعمة ، ومفرج كل شدة .

أحمده كفاء أياديه وإن لم يحط بها عدد ، وأشكره وفاء نعمه وإن لم يحص حسابها أحد ، وهو المستعان على ما عجزت عنه قوّتي ، وقصر عن بلوغه علمي .

وأشهد ان لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، الإله الذي ذلت له الأرباب، وانقطعت إليه الأسباب ، وانتهت المعلولات إلى وجوب وجوده ، وتعلقت بفيض جوده ، وأشهد أنّ محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، ونعمته التامة ، ورحمته العامة ، صلى الله عليه وعلى آله المحبوّين بالكرامة ، المنتجبين للإمامة .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ .

عباد الله ؛ تحدثت إليكم آنفاً عن بعض هدايات هذه الآية الكريمة ، وأشرت إلى بعض مراميها ، وذكرت موقع الأسرة في الإسلام ، ونظرته الدقيقة إليها ، وبعض الغايات التي ينيطها بها ، والآمال التي يعلّقها عليها ، ومن ثم فهو يحوطها حياطة كاملة من جميع جوانبها ، ويرعاها رعاية شاملة في مختلف مقتضياتها مطالبها ، وجعل من واجب المؤمن أن يصلح أهله ، وأن يفكر في نجاتهم كما يفكر في نجاة نفسه وفي إصلاحها.

والمرأة ؛ المرأة -أيها المسلمون-؛ إنها الركن الثاني للأسرة ، فلا بد من التفكير فيها ، ولا بد من العمل لإصلاحها على ضوء مناهج الإسلام ، وعلى وفق تعاليمه ، إنها مشكلة المشاكل في مجتمعنا الحاضر ، وإلى إهمال المرأة وعدم الاهتمام بإصلاحها يعود القسط الوافر من سوء التربية ، وترهّل الأخلاق في ناشئتنا .

والمرأة المسلمة ضرورة لقيام المجتمع المسلم .

لا بدّ من الزوجة المؤمنة الكاملة الإيمان للزوج المؤمن ، وإلا فانه سيتعرض لما ينقص دينه ، وإن حرص ابلغ الحرص أن لا يكون ذلك .

ولا بدّ من الأم المؤمنة كذلك لتنشئة أطفال مؤمنين ، فإن الأب المؤمن وحده لا يكفي لتنشئتهم كما يريد الإسلام ، وكما تقتضي مناهجه .

عباد الله ؛ لا بدّ من الاهتمام في شأن المرأة ، ولا بد من العمل لإصلاحها على ضوء مناهج الإسلام ، وعلى وفق تعاليمه ، علّموها معالم الإسلام ، وقوموا أخلاقها بآدابه ، والتمسك بشريعته وكتابه ، إن نجاتها شرط لنجاتكم ، وإن ارتفاع معارفها في دينها ضمان لارتفاع حياتكم .

«قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» .

علموا أهليكم وذويكم دين الله الذي أوجبه عليهم وعليكم ، أدّوا إليهم أمانة الله التي جعلها في رقابكم ، واحذروا التعاليم والمناهج التي تبعد بهم عن الإسلام، وتلقنهم غير مبدئه ، وتطبعهم على غير أخلاقه، وتسير بهم إلى غير غايته .

﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ .(١)﴾ .

اتقوا الله ؛ فمن يتق الله يكن الله له في جميع الأمور ، ويكفه صروف الدهور .

﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ .(٢)﴾ .

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ .(٣)﴾ .

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ . رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ . رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ .(٤)﴾ .

---

١ – آل عمران : ١٠٢ .

٢ – لقمان : ٣٣ .

٣ – آل عمران : ١٦ .

٤ – آل عمران : ١٩٢– ١٩٤ .

اللهم صلّ على عبدك ورسولك محمّد ، بما حملته من الرسالة ، وأوضحت به من الدلالة ، وبما احتمل من عظيم الأذى في جنبك ، وبلغ من الغاية القصوى في حبك ، وبما جاهد فيك حق جهادك ، وأرضاك في سعيه حق رضاك ، اللهم ارفع مقامه في المكرمين ، وأعل منزلته في السابقين ، وأعظم زلفته في المقربين ، وضاعف صلواتك ورحماتك وبركاتك عليه وعلى آله المطهرين .

اللهم صلّ وسلّم على المؤيد بالكتاب الكريم ، والمحبو بالخلق العظيم ، متمم مكارم الأخلاق ، ومن أخذت على النبيين نصرته في عالم الميثاق ، سيد الأدلاء ، وخير السفرة الأمناء ، سيدنا أبي القاسم محمّد خاتم الأنبياء ﷺ .

اللهم صلّ وسلّم على حامل لواء الحمد في القيامة ، ونفس الرسول في مقامات الكرامة ، سيف الله الذي مهّد به الدين ، ونعمته التي منّ بها على المهتدين ، ونقمته التي أرغم بها المعتدين ، سيدنا أبي الحسن علي أمير المؤمنين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على صفوة الله من النساء ، وعقيلة أصحاب الكساء ، المبرأة من أي وصمة ، والتي شهد الله لها بالعصمة ، حبيبة خير الأنبياء ، أم الحسن والحسين سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام .

اللهم صلّ وسلّم على نور الله في بلاده ، وحجته التي أقامها لهداية عباده، من لا يقبل الإيمان إلا بولايته ، ولا يزكو العمل إلا بطاعته ، الإمام المؤتمن ، سيدنا أبي محمّد الحسن عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على غياث المستجير ، وريحانة البشير النذير ، رافع عماد الإسلام بجهاده ، وفاديه بنفسه وأحبته وأولاده ، إمام

السعداء ، أبي عبد الله الحسين سيد الشهداء عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على أمان الله لكل خائف ، وباب الله الذي يؤمه كل عارف ، خليفة الله في الأرضين ، وسبيله الذي يسّره للقاصدين ، أبي محمّد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على السنة المشهورة ، والدلالة المأثورة ، الذابّ عن دين الله والقيم على حدوده ، والموفي بأمانات الله وعهوده، الطهر الطاهر ، وملجأ الملهوفين حين تدور بهم الدوائر ، أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على وليك الذي ائتلفت به الفرقة ، واستبانت به الطريقة الحقة ، ذخيرة الخلائق ، ليوم تستعلن فيه الحقائق ، وتشيب لهوله المفارق ، أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على مقر النهي والعدل ، ومعدن الخير والفضل، ومأوى الندى والبذل ، خزانة العلم ، والمضطهد بالجور والظلم ، الصائم القائم ، أبي إبراهيم موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الصدّيق الرشيد ، والقصر المشيد ، وارث العلوم النبوية ، وخازن الأسرار الملكوتية ، المسلم لله ما قدّر وقضى ، والعليم بأسرار الكتاب ، ما استقبل منها وما مضى ، أبي الحسن الثاني علي بن موسى الرضا عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على من خصصته منك بالتبجيل ، وحبوته بعلم التنزيل والتأويل ، والغصن المثمر من شجرة إبراهيم الخليل ، ملجأ القصّاد ، ونجعة المرتاد ، أبي جعفر الثاني محمّد بن علي الجواد عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على وارثي المشاعر ، ومعدني الفضائل والمآثر ،

من ألهمتهما فصل الخطاب ، وورثتهما علوم الكتاب ، الوصيين المرضيين ، والهاديين المهديين ، أبي الحسن علي بن محمّد ، وأبي محمّد الحسن العسكريين عليهما السلام .

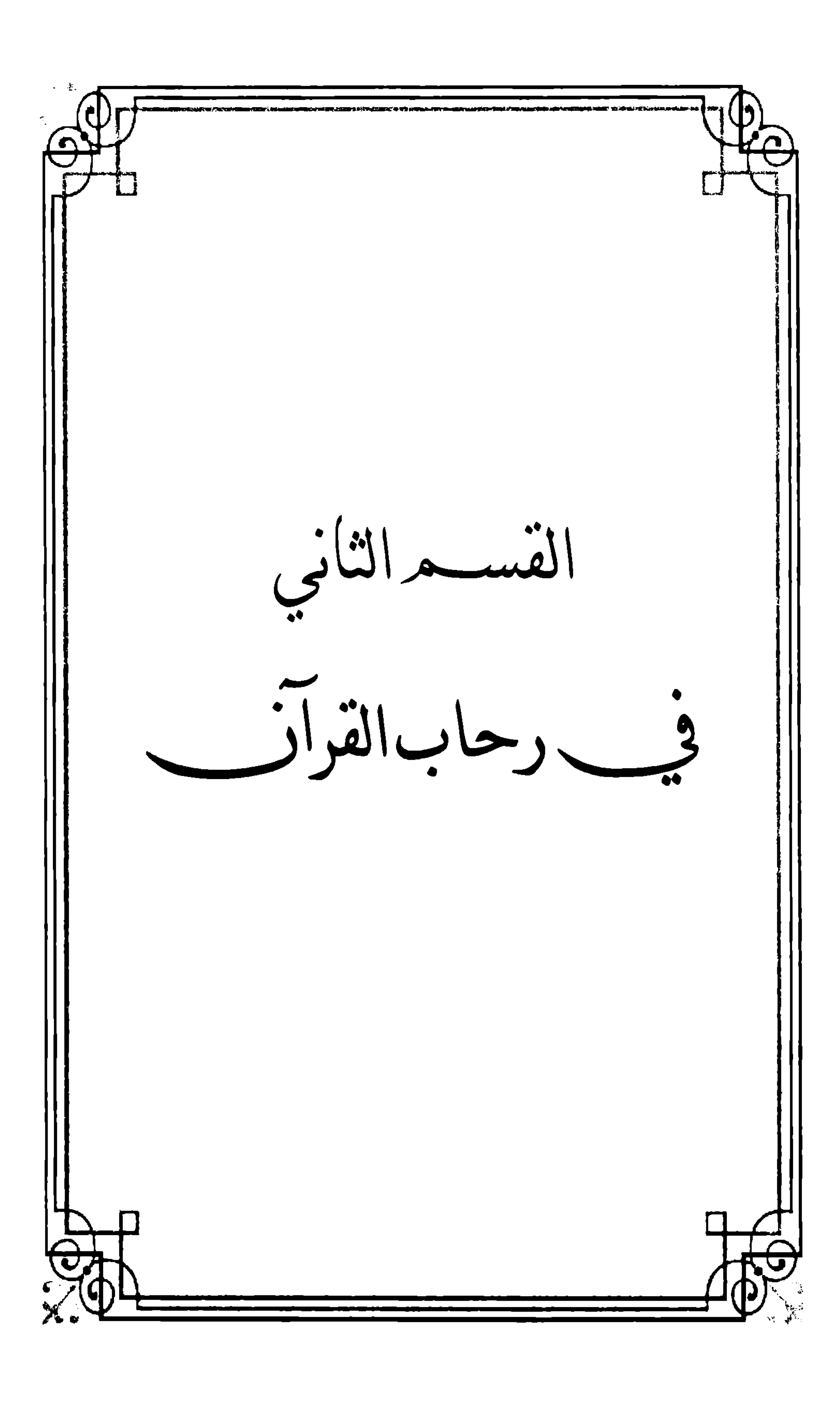
اللهم صلّ وسلّم على ضيائك المشرق ، ونورك المتألق ، العَلَم النور في طخباء الديجور ، والعِلم المأثور في الكتاب المسطور ، الذي بولايته تقبل الأعمال ، وبدولته تتحقق الآمال ، الآية الكبرى التي يسّرتها للمدكر ، والنعمة العظمى التي أعددتها لمن شكر ، أبي القاسم محمّد بن الحسن المنتظر عليه السلام .

اللهم عجل له الفرج ، وأظهر به الفلج ، وأتم به الحجج ، وأدرك بنا أيّامه، وظهوره وقيامه ، واكتبنا في أعوانه وأنصاره ، واقرن ثأرنا بثأره ، وأحينا في دولته ناعمين ، وبصحبته غانمين ، وبحقه قائمين ، اللهم اكبت به أعداءك وانصر به أولياءك .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، وأصلح لهم أعمالهم ، وحقق بفضلك آمالهم ، وأجزل لهم عطاءك ، وأسبغ عليهم نعماءك ، إنك أرحم الراحمين .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ .





القسم الثاني

في رحاب القرآن

١١

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

التلاوة والتدبر في القرآن

الحمد لله الذي لا تملك أن تحدّده عبارة ، ولا تقدر أن تعيّنه إشارة، له الوحدة الحقّة فلا يشوبها تعدّد ، ولا تؤلفها أجزاء ، والوجود الثابت فلا يطرأ عليه تحوّل ولا يناله فناء ، والكمال الخالص فلا يعروه نقص، والقدرة المحض فلا يلحقها عجز ، والعلم المطلق فلا يدنّسه جهل ، والحكمة الكاملة فلا يعترضها وهن .

فطر الأشياء كما يشاء ، بلا ظهير له في التدبير والإنشاء ، ميّز جواهرها وأعراضها ، وقدّر أجزاءها وأبعاضها ، وحدّد غاياتها وأغراضها ، أمدّها بما تفتقر ، وأعدّها للكمال الذي تنتظر ، وخلق كل شيء بقدر ، وتركها آية ﴿فهل من مُدَّكِر .[1]﴾ .

وأشهد أنّ لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، ﴿الْعَزِيزُ الْعَلِيم . الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْداً وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ .[2]﴾ .

---

١ – القمر : ١٥

٢ – الزخرف : ٩ – ١١ .

وأشهد أنّ محمّداً ﷺ عبده الذي هدى به الخلق إلى سواء الحق ، ورسوله الذي كشف به ظلم الباطل بنور الصدق ، صلى الله عليه وآله حملة الوديعة ، ومفاتيح أسرار الشريعة .

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ .[1]﴾ .

هذا هو نور الله الذي أنزله ، وسببه الذي وصله ، وبيانه الذي فصّله ، وكتابه الذي عظمه وبجّله ، ورحمته التي بسطها للعالمين ، وموعظته التي بيّنها لهدايتهم أجمعين ..

فرقانه العظيم ، وبلاغه الحكيم ، وقرآنه الكريم ، نور تنكشف به الظلم ، وهدىً تثبت به القدم، وطبّ يشفى به كل ألم ، وعروة ينجو بها من اعتصم، وحبل يصل من به التزم .

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .[2]﴾ .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ .[3]﴾ .

هذا هو الطب الذي وضعه خالق الإنسانية ومحصي أدوائها ،

---

١ – الزمر : ٢٣ .

٢ – المائدة : ١٥ – ١٦ .

٣ – يونس : ٥٧ .

وبارئ الحياة وعالم مشكلاتها وسبل وقائها ، وقارن كل مشكلة بحلّها وكل علّة بدوائها ، لا شفاء لأحدٍ إلا بتطبيق منهجه ، ولا حل لمشكل إلا بإتّباع حججه ، ولا جلاء لبصيرة إلا بالاهتداء بنوره ، ولا رواء لغلّه إلا بالانتهال من نميره .

عباد الله ؛ إن تلاوة القرآن إحدى الوسائل العظيمة لتربية الروح وإحيائها ، وتصفية النفس وإعلائها ، وتهذيبها من كل رذيلة ، وطبعها على كل فضيلة ، وتمرينها على الخلال الطيبة ، والصفات المهذّبة ، وإن القران ليرتفع بقارئه درجة لا يدرك مداها ، ولا يبلغ منتهاها ، ولا ينال إلا بالقرآن أمدها ، ولا يحرز لغير قارئ القرآن مجدها وسؤددها .

إن تلاوة القرآن إحدى الوسائل التي وضعها الله لتربية روح المسلم، وتوجيهها إلى الغايات الكريمة ، وتنشئتها على الصفات القويمة ، وإن قراءة القرآن لتحيي القلب الهامد ، وتنعش الضمير الجامد ، وتنفخ فيهما من روح القرآن ، وتبعث فيهما من قوته ، ومن نشاطه ومن جدّته، فيصبحان حيّين بحياة القرآن ، قويّين بقوّته ، متحركين بنشاطه وجدّته ، دائبين في السعي إلى غايته .

عباد الله ؛ إن في قراءة القرآن لدروساً تربوية بالغة الأثر ، عظيمة الشأن والخطر ، أنزلها الذي يسّر ﴿الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[1] .

وكفى قارئ القرآن أن يعلم أنها دروس من وحي الله الذي أنزله ، ومن كتابه الذي فصّله وفضّله .

.. من وحي الله الذي جعل لكل شيء منهاجاً، ووضع لكل

---

١ – القمر : ٢٢

مشكلة ولكل علة علاجاً ، كفاه أن يشعر أن الله هو الذي يأمره ويزجره، ويعظه ويبصّره ، ويورده ويصدره .

والتدبر في القرآن ، والتأمل في معاني آياته ، والتفكّر في مفاهيم عبره وعظاته ، هو الشرط الأول في الاستفادة من دروس القرآن ، والاقتباس من هداياته ، فلا جدوى لمن يردّد الكلمات بلسانه ، ولا يصغي إليها بقلبه ، ولا يفقه معناها بلبّه ، ولا جدوى لمن يشغله اللفظ عن المعنى ، والقشر عن اللّب، والوسيلة عن الغاية : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا . [1]﴾ .

ولا جدوى لمن فقه معاني القرآن ، ولم يجهد نفسه على أن يقتبس من هداها ، ويتنوّر بضياها .

هذا هو الشرط الأول في الاستفادة من دروس القرآن ، والانتفاع بتوجيهاته .

والشرط الثاني : هو الإخلاص في تلاوة كتاب الله ، والإخلاص في التوجه للانتفاع به ، والاستعانة بالله (سبحانه) على ذلك ، فهو المسؤول ، ومنه إدراك المأمول .

عباد الله ؛ هكذا يفيد المؤمن من دروس القرآن ، وأيّ مرتقىً أعظم من أن يتربّى بتربية القرآن ، ويتشبّع بروحه ، ويتنوّر بنوره .

إنها الحياة الطيبة التي لا منتهى لطيبها ، والسعادة الموفورة التي لا انقطاع لمدّها .

وأهم آداب التلاوة هي الطهارة ، فلا ينبغي للعبد أن يقرأ القرآن

---

١ - محمد : ٢٤

وهو على غير طهور ، ولا يجوز أن يمسّ كتابة القرآن وهو محدث ، والأحوط له أن لا يقرأ أكثر من سبع آيات وهو جنب ، أو كانت المرأة حائضاً أو نفساء.

ومن آداب التلاوة : أن يتأدب المؤمن لكتاب الله في جلسته وهيئته، وأن لا يشغل نفسه بغير القرآن في حال قراءته ، وأن يخشع لله وهو يتلو كتابه .

ويجب عليه أن يجتنب الألحان الفاسقة ، إنها محرّمة في غير القرآن ، أما في تلاوة القران ، فإنها تتضاعف جرماً ، وتزداد إثماً .

فاتقوا الله -عباد الله-؛ واحذروا أن تبعدوا عن الله وأنتم تطلبون القرب منه ، وأن ترتكبوا مساخطه وأنتم تريدون الزلفة لديه ، وأفيدوا من هدى كتابكم ما ينير لكم المقصد ، ويسمو بكم إلى الغاية ، ويحقق لكم الخير .

عباد الله ؛ إن كتاب الله في يوم القيامة شاهد وشافع ، فاحرصوا على أن يكون شاهداً لكم لا شاهداً عليكم ، وخصيماً عنكم لا خصماً لكم :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . [١]﴾.

(اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد ، واجعل القرآن وسيلة لنا إلى أشرف منازل الكرامة ، وسلّماً نعرج فيه إلى محل السلامة ، وسبباً نجزي به النجاة في عرصة القيامة ، وذريعة نقدم بها على نعيم دار المقامة) [٢] .

---

١ - الحديد : ٢٨ .

٢ - الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام ، من دعائه في ختم القرآن .

ألا وإن خير الكلام ، وانفع المواعظ ، قول الله في كتابه الكريم :

﴿بسم الله الرحمن الرحيم . الْقَارِعَةُ . مَا الْقَارِعَةُ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ . يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ . وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ . فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ . فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ . وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ . فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ . نَارٌ حَامِيَةٌ .﴾ .



الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

إعجاز القرآن

الحمد لله ولي كل نعمة ، ومصدر كل رحمة ، وسبب كل خير ، ومبدأ كل فضل ، فلا يؤمل الخير إلا منه ، ولا يرجى الفضل إلا من لدنه ، ولا يولي النعمة سواه ، ولا ينشر الرحمة عداه ، ولا يصرف السوء غيره ، ولا يجيب دعوة الداعي إلا هو :

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ، ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ [1]﴾ .

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ . [2]﴾ .

أمر عباده باللجوء إليه وهو العليم بضرّهم ، وحثهم على دعائه وهو الخبير بحوائجهم وفقرهم ، ليعترفوا بالفاقة ، ويقوموا بشرط العبودية ، فينالوا منه كريم الجزاء ، وجزيل الحباء ، زيادة على إجابة الدعاء ، وكشف الضرّاء .

وأشهد أنّ لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، الذي ﴿مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ، ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا . [3]﴾ .

---

١ – النحل : ٥٣ .

٢ – الروم : ٣٣ .

٣ – الفرقان : ٤٥ – ٤٦ .

وأشهد أنّ محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، ﴿نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً .[١]﴾ ، صلى الله عليه وآله الذين برّأهم من الذنوب ، وأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً .

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً .[٢]﴾ .

إنها لقدرة قاهرة ، ومعجزة باهرة ، كتاب يتألف من حروف يقيمها كلّ لسان ، ويتركب من كلمات ينطق بها كل إنسان ، يأتي به بشر ، لم يكتسب العلم من أحد ، ولم يتردّد قبلها إلى مدرس أو معهد ، أميّ لم يعرف بقراءة ولا كتابة ، ولا درس ذي منهج ورتابة :

﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ، إِذاً لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ[٣]﴾ .

كتاب يأتي به بشر هذه صفته ، ثم يتحدّى العرب وهم نقدة البيان، وسدنة اللّسان ، ويتحدّى من ورائهم كل ناطق بفم ، وكل قائم على قدم ، ويتحدّى الإنس والجن أجمعين ، ويتحدّى الأجيال إلى يوم الدين.

يتحدّاهم جميعاً -وإن تظاهروا وتآزروا- أن يأتوا بمثله ، فيعجزون ويبهتون ، وتنعقد ألسنتهم ويخرسون .

يعجزون جميعاً على الإتيان بمثله ، ثم يعجزون عن الإتيان بعشر سور منه ، ثم يعجزون عن الإتيان بسورة واحدة من سوره .

يعجزون عن الإتيان بمثله في بلاغة اللفظ ، ويعجزون عن الإتيان

---

١ – الفرقان : ١ .

٢ – الإسراء : ٨٨ .

٣ – العنكبوت : ٤٨ .

بمثله في سموّ المعنى ، ويعجزون عن الإتيان بمثله في عظمة التشريع ، وفي إشراق الهداية ، وفي دقة الحكمة ، وفي جلال العرفان ، وجلاء البرهان .

يتحداهم جميعاً فيعجزهم في كل ناحية ، ثم يقول لهم : إنه وحي الله الذي لا تبلغه قدرة مخلوق ، ولا يصله علم محدود ، أفلا يكون هذا الإعجاز العظيم دليلاً على صدقه ؟ :

﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا[1]﴾ .

عباد الله ؛ إنه القرآن العظيم ، المعجزة الخالدة للإسلام الخالد ، والدليل المحسوس المستمر على صدق الأنبياء السابقين :

﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ .[2]﴾ .

فاتقوا الله -أيها المؤمنون- واستمسكوا بحبل الله المتين الذي لا ينقطع ، واعتصموا بعروته الوثقى التي لا تنفصم ، وخذوا بمنهج الله الذي لا يحيد ولا يحيف ، كتاب الله الذي لا يعرف الحق إلا بدليله ، ولا يبلغ الخير إلا من سبيله ، ولا يضلّ من اهتدى به ، ولا يهتدي من حاد عن بابه .

اتقوا الله ، ولا تفارقوا السبيل الذي يسّره الله لكم ، ولا تهجروا الدليل الذي أنزله لهدايتكم ، فتكونوا من خصماء الرسول وخصماء القرآن ، يوم يقدّم الرسول شكواه ، ويبرز القرآن دعواه :

---

١ - الفرقان : ٦

٢ - يوسف : ١١١

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً .[١]﴾ .

اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد ، واجعلنا من حملة كتابك ، المستمسكين بآدابك .

(واجعلنا ممن يعتصم بحبله ، ويأوي من المتشابهات إلى حرز معقله، ويسكن في ظل جناحه، ويهتدي بضوء صباحه ، ويقتدي بتبلّج إسفاره، ويستصبح بمصباحه ، ولا يلتمس الهدى في غيره ، إنك على كل شيء قدير) [٢] .

اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد ، عبدك ورسولك بما انتجبته له من رسالتك ، وأكرمته به من نبوتك ، ولا تحرمنا النظر إلى وجهه ، والكون معه في دارك ، ومستقرٍ من جوارك .

اللهم كما أرسلته فبلّغ ، وحمّلته فأدى ، حتى أظهر سلطانك ، وآمن بك لا شريك لك ، فضاعِف -اللهم- ثوابه ، وكرّمه بقربه منك كرامةً يفضل بها جميع المخلوقين ، واجزه عنا خير جزاء المحسنين ، وصل عليه وعلى آله صلاة تبقى في الخالدين .

اللهم صلّ وسلّم على رسولك الذي أخرجتنا به من الظلمات إلى النور ، وحبيبك الذي شرحت برسالته الصدور ، المؤيد بالمعجزات ، المبعوث بمحكم الآيات ، سيد السفراء المرضيين ، أبي القاسم محمّد خاتم النبيين صلى الله عليه وآله .

اللهم صلّ وسلّم على برهانه الساطع ، وحسامه القاطع ، وناصره

---

١ - الفرقان : ٣٠

٢ - الصحيفة السجادية ، من دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام في ختم القرآن .

في جميع المواقف والمواقع ، سيد الأسرة ، وأبي العترة ، وفادي الرسول بنفسه ليلة الهجرة ، وخليفته في مقامه يوم الإمرة ، السهم الصائب ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الشجرة المثمرة بالعصمة ، ووديعة النبي في الأمّة ، والتي لم يرعَ فيها إلٌّ ولا ذمة، الصديقة الكبرى ، والشفيعة في الدار الأخرى، أم الحسن والحسين سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام .

اللهم صلّ وسلّم على كلمة الله التي ألقاها ، وبينته التي أنارها وأعلاها ، محيي الليل بالتهجد والقنوت ، وثالث المؤثرين بالقوت ، الصابر على شديد المحن ، والمجير من جور الزمن ، سيدنا أبي محمّد الحسن عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الحق الذي عزّ ناصره ، والوتر الذي مدّ واتره ، سيد شباب أهل الجنة ، وراية الحق المرفوعة على رؤوس الأسنة، شهيد الإباء وريحانة أصحاب العباء ، أبي عبد الله الحسين سيد الشهداء عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الصابر على المآسي ، التي تضعف عنها الجبال الرواسي ، سيد من تعبّد لك في الظُلَم ، وخير من قام على قدم، أمينك على الدين ، وعلَمك للمهتدين ، أبي محمّد علي زين العابدين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على دليل الحق ومظهره ، وترجمان الكتاب ومفسّره ، الذي أودعته أسرار حكمتك ، وجعلته معدن رحمتك ، طاهر المآزر ، وزين المنابر ، سيدنا أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على ولي الله وابن أوليائه ، وحجته في أرضه

وسمائه ، البناء الشامخ للشرف الباذخ ، والطود الثابت للحلم الراسخ صرح العلم المشيّد، ومعدن المجد المخلّد ، أبي عبد الله جعفر بن محمدعليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على مفتاح الفلاح ، وسبب النجاح ، والمنتجب للوصية من عالم الأشباح ، سديد الخطى ، والمأمون من الزلل والخطأ ، الشمس المشعة على العوالم ، بالهدى والمكارم ، أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على مصباح مشكاة الهداية ، ومناط عقد الولاية، البضعة التي ما زارها مكروب إلا ونفس الله كربه ، ولا قصدها مذنب إلا وغفر الله ذنبه ، منهج الهدى ، وسبيل الرضا ، أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على البدر المشعّ بالنور ، وشفيع يوم النشور ، من فضّله الله على جميع البرايا بجميع أنواع المزايا ، الجواد الذي لا يساجل، والحبر الذي لا يعادل ، غوث العباد ، وملاذ الأوتاد ، أبي جعفر محمّد بن علي الجواد عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على إمام الأبرار ، وعصمة الأخيار ، وسلالة النبيين الأطهار ، نور قلوب المؤمنين، والأمين على أسرار الكتاب المبين، ريّ الصادي ، ومصباح النادي ، أبي الحسن علي بن محمّد الهاديعليه السلام .

اللهم صل وسلّم على إمام الفائزين ، وركن المؤمنين ، وفرج الملهوفين ، الداعي لحكم الله ، والناطق بكتاب الله ، صاحب المقام العلي ، والفضل الجلي، أبي محمّد الحسن بن علي عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على العهد المعهود ، والنصر الموعود ، نظرة الله المرتقبة ، وهيبة الله المحجبة ، حارس كتاب الله وخازن آياته ، وكاشف

أسراره ومبهماته ، آسي القلوب الصديعة ، ومجير روعة الشريعة ، فخر آل عدنان ، وعز أهل الإيمان ، أبي القاسم المنتظر صاحب العصر والزمان عليه السلام .

اللهم انشر به لواء الإسلام ، ونضّر به وجه الأيام ، وطهّر بخروجه قلوب الأنام ، اللهم أدرك به ترات الحق ، واشف به أمراض الخلق .

اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة ، تعزّ بها الإسلام وأهله ، وتذلّ بها النفاق وأهله ، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك ، والقادة إلى سبيلك ، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، وأزل منهم الإحن ، واكفهم الشدائد والمحن ، وزكِّ أعمالهم ، وحقق بفضلك آمالهم ، إنك سميع الدعاء .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ .



١٢

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

أثر القرآن في قلب الإنسان

الحمد لله الجواد ؛ فكل ما في السماوات والأرض من خير فهو من بعض نعمه ، الوهاب ؛ فكل ما في الأكوان المترامية من شيء فهو من فيض كرمه ، المنان ؛ لا ينقطع منه لجحود جاحد ، ولا كفر كافر ، المتفضل ؛ لا يحجب بيض أياديه عناد معاند ، أو مراء مكابر ، لا يكذّب بشيء من آلائه ، ولا يجحد بصغيرة ولا كبيرة من نعمائه ، ولا يستغنى عن متواصل برّه ، ومتوالي عطائه .

أحمده وأوحده ، وأثني عليه وأمجّده ، وأضرع إليه ضراعة عبدٍ مخلص في توكلّه ، ملحٍ في توسله ، وأستقيله مما علم من عظيم جرائمي، وكثير مآثمي ، وأنيب إليه إنابة واثق بعفوه موقن بصفحه .

وأشهد أنّ لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، جل أن تجهله فطرة ، أو تخلو منه بصيرة أو يحجبه حجاب أو يوصد دونه باب ، وأشهد أنّ محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، كشف به العلل ، وحقق به الأمل ، وبعثه بخير الكتب وأفضل الملل ، صلى الله عليه وآله الذين اصطفاهم وطهّرهم ، واستخلفهم وأمّرهم .

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ

رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ .[1]﴾ .

هذا هو الأثر الأول الذي يتركه القرآن في قلب الإنسان ، إذا جال معه جولته الكبرى في آيات الله المبثوثة على صفحات الكون ، وبيّناته المعروضة في قسمات الوجود .

.. إذا جال مع القرآن جولته الكبرى في آيات الله ، وبدائع قدرته ، وشواهد علمه وحكمته ، وآثار لطفه ورحمته ، في الأفلاك السارية ، والآفاق المترامية ، والنجوم البادية ، والحركات الظاهرة والخافية ، والقوانين المضبوطة، والصلات المربوطة .. في المادة حيها وجامدها ، ومتحركها وهامدها .

إذا جال قلب الإنسان مع القرآن جولته الكبرى فيما يرى من آية ، وفيما يحسّ من هداية ، ولفته إلى عظيم القدرة ، وزوّده بنافع العبرة .

هذا هو الأثر الأول الذي يتركه القرآن في قلب الإنسان ، إذا جال معه في مظاهر عظمة الله ، وآثار جلاله ؛ خشوع وتقوى يملآن قلب المؤمن ، ويستوليان على مشاعره ، وباطنه وظاهره ..

خشوع تقشعّر له جلده ، وطمأنينة يسكن لها قلبه ..

خشوع تلتقي فيه معاني الخشية الشديدة من الله ، والإجلال العظيم لشأنه ، والتقوى البالغة منه ، وطمأنينته تظهر فيها عوامل الحبّ الشديد لله ، والرجاء الكبير له ، والفاقة الشديدة إليه ، والتوكل الكامل عليه ..

خشوع وطمأنينة دائمان دائبان ، كلما تليت عليه آيات الله ، وكلّما

---

١ – الزمر : ٢٣ .

تجدّد له ذكره : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ .﴾[1] .

هذا هو الأثر الأول الذي يتركه القرآن في قلب الإنسان ، إذا جال معه في آيات الله ، ومظاهر عظمته ، ودقائق حكمته ، ولطائف تدبيره ، وبدائع تقديره .

وما يستطيع الإنسان ، وهو يجول مع القرآن هذه الجولة ، ويستعرض قدرة الله في كل ما يحيط به من شيء ، وكل ما يحسّ به من جامد أو حي؟..

في الحبة اليابسة تنمو بقدرة الله فتصبح شجرة يانعة ..

في الأرض الهامدة تهتز وتربو بأمر الله فتصبح حديقة رائعة ..

في النطفة القذرة تتخلّق فتعود بمشيئة الله حيواناً ..

في الخلية الموحدة تتطوّر فتكون بإذن الله إنساناً ..

في الليل والنهار يتكوّنان بأمر ، ويتعاقبان بمشيئة ، ويتكوّران بسرّ..

في أرض تتحرك بأمر ربها فلا تنحرف ..

في أفلاك تدور في مداراتها فلا تختلف ..

في ملايين لا تحصى من نجوم ومجرات ، تسير بإرادة الله ، فلا تصطدم ، ولا تحيد ، ولا تزدلف ..

---

١ - الأنفال : ١ - ٤ .

في سر الوجود يغمر مهابط هذا الملكوت العظيم وأعاليه ، ومشارفه ومهاويه ..

في النظام الدقيق الذي تحتوي عليه الذرة الصغيرة ..

في سر الحياة الذي حارت به العقول الكبيرة ..

في الهباءة الهائمة ، والخردلة الحائمة ، يحيط بها علم الله أنى وقعت، وتصرّفها قدرة الله أنى سارت ، وتدبّرها قوانينه أينما اتجهت .

ما يستطيع الإنسان ، والقرآن العظيم يجول به هذه الجولة ، ويلمسه قدرة الله في كل موجود ، ويوجهّه إلى علم الله الذي تتناهى دونه الأشياء ، وتقف الحدود ؟ .

ما يستطيع الإنسان إلا أن يخشع للعظمة التي لا تحدّ ، وللقدرة التي لا تحصر مظاهرها ولا تعدّ ؟ .

ما يستطيع الإنسان إلا أن يخشع ويخضع ، وينقاد ويضرع ؟ .

وما يستطيع إلا أن يطمئن للرحمة الشاملة ، والحكمة الكاملة ؟ .

وهذه هي الظاهرة الأولى للصلة الدائمة بالله ، التي يقيمها الإسلام بين العبد وبين ربه ، والتي يؤسّس عليها منهاج التربية ، ويربط معنى العبادة .

وقد قلت : إن الإسلام منهج عبادة عامة، تشمل جميع نشاطات الحياة، والإنسان -في ظل هذا المنهج- موصول السر والجهر ، والحركة والسكون بخالقه العظيم ، فلا يتحرك ولا يسكن إلا وفق أمره ، وفي هدى شريعته ، فهو من ربّه في صلة دائمة ، وهو من حياته ونشاطاته وأعماله في عبادة قائمة .

فاتقوا الله -أيها المؤمنون- وأفيدوا من هدى القرآن ما يزكّيكم ،

واقتبسوا من مناهجه وإرشاده ما ينجيكم ، صلوا قلوبكم ونفوسكم وضمائركم بالله ، في ذلك زكاتكم ، واطبعوها بتقوى الله ، والوجل الشديد منه تبلغوا بذلك غايتكم ، وتكونوا من المؤمنين حقاً كما وعدكم ، وتفوزوا بالدرجات عند ربكم ، والمغفرة والرزق الكريم كما ضمن لكم :

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ .[1]﴾ .

اللهم بعونك تدرك المطالب ، وبتوفيقك تنال الرغائب ، وبلطفك يستدرك الذاهب ، اللهم فاجعلنا ممن أنرت بصيرته ، وأصلحت سريرته ، فخضع لك بعمله ، وتجاوزت عن خطئه وزلله .

اللهم إنا نعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة ، ومن عاجل يمنع خير الآجل ، ومن حياة تمنع خير الممات ، ومن أمل يمنع خير العمل ، فأعنّا على ما استعنّا بك عليه، وأعذنا مما استعذنا بك منه ، يا أكرم الأكرمين.

وإن أبلغ الحديث قول الله في كتابه الكريم : ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ . وَطُورِ سِينِينَ . وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ . لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ . ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ . إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ . فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ . أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ .﴾ .

[كذا في الأصل ، لم نجد الخطبة الثانية لهذه الجمعة]

---

١ – الأنفال : ١– ٤ .

قبسات

من سورة الملك

١٣

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – في سورة الملك

الحمد لله الغني فكل ما في الأكوان بسطة من جوده ، العلي فكلّ ما في العوالم أثر لوجوده ، المحيط فلا يخرج كائن في السماوات أو في الأرض عن قبضته، القيوم فلا يستغني موجود فيها عن تدبيره وحكمته، معلّل العلل ، وموقت كلّ أجل .

ظهر حتى اختفى لشدة ظهوره ، وعرف حتى جهل لشدة نوره ، وعظم حتى استحال على الحدود ، وكبر حتى امتنع من الشهود .

أناط كل مسبب بسببه ، ووصل كل موجود بغايته ، وشد كل فرع بأصله ، وقرن كل ملزوم بلازمه ، وواءم بين الكل وجزئه ، وباين المتباينات منها بحكمته ، وأقام الصلات بين الموجودات على سابق علمه ونافذ مشيئته .

فلا تتصل ذرة بذرة أخرى إلا بأمره ، ولا ينفصل شيء عن شيء إلا بتدبيره ، ولا تتقارب الجزيئات ولا تتباعد ، ولا تتفاعل ولا تتوالد ، ولا تمتزج ولا تتحد إلا بتقديره ، ولا تتخذ سبيلها من الوجود ، ولا تستوفي حظّها من الاستكمال إلا بتيسيره .

وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الظاهر فكل شيء يدل عليه ، القاهر فكل شيء قائم به وصائر إليه ، وأشهد أنّ محمّداً ﷺ عبده الذي شرّف به الخلق ، ورسوله الذي أنار به الحق ، صلى الله عليه وآله أدلة الصواب ، وحملة الكتاب ، وشفعاء يوم الحساب .

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ، الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ، ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ .﴾ .

سورة الملك من السور القرآنية الفخمة الضخمة ، الكبيرة الوقع ، الشديدة الإيقاع ، البالغة الأثر في صياغة الفرد المسلم ، وإنشاء عقيدته ، وبناء شخصيته ، وتصحيح معارفه ، وتثبيت إيمانه ، وتوجيه سلوكه ، وتحديد صلاته بالكون وبإله الكون ، وبالملك وبرب الملك ، الذي بيده الملك ، وتبيين غايته في هذه النشأة الأولى ، ونهايته التي تنتظره في نشأته الأخرى ، وتربيته تربية إسلامية حكيمة تنير له مسالك هذه الحياة ، وتضمن له سعادة ما بعد هذه الحياة ، ليسير على علم ، ويعمل على هدىً، ولينظر ببصيرة واعية ، فيكفكف من أهوائه ، ويصحح من أخطائه، وليحيى -بعد ذلك- إنّ حيّ عن بينة ، ويهلك إنّ هلك عن بينة .

والسورة مكيّة ، والسمة الغالبة التي تتصف بها السور المكية أنها -في الأكثر- تعنى بأمر العقيدة التي يقوم عليها بناء الإسلام ، وتحديد المفاهيم والعلاقات الكونية التي تبتني عليها مناهج الإسلام .

وقد ورد الحث المؤكد على تلاوة هذه السور الكريمة ، والتدبر فيها، والإفادة من معانيها .

وقد سميت في بعض الأحاديث الشريفة بالمنجية وبالواقية ، وذكر -في معنى ذلك-: أنها تقي العبد إذا واظب على قراءتها ، وعلى القيام بها في صلواته من عذاب القبر .

والحث على تلاوة آيات الكتاب ، والترغيب في قراءة سوره المباركة ، والتحريض على التأمل في معانيه ومراميه ، إنّما هو-في الدرجة الأولى- توجيه إلى هذه التربية القرآنية الحكيمة ، التي أعدّها الإسلام لأبنائه ، وانتهجها الكتاب الكريم في تنشئة أتباعه ، وترويض طباعهم ، وتنمية مداركهم ، وإعلاء صفاتهم ، وتزكية نفوسهم وأعمالهم ، والقرآن كتاب تربية وتزكية ، كما هو كتاب إيضاح وتعليم ، وكتاب هدىً وإرشاد :

﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ، وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ .(١)﴾ .

فاتقوا الله -أيّها المؤمنون-؛ وانتهجوا كتاب ربكم ، واتبعوا النور الذي أنزل إليكم ، وتدبّروا آياته ، وترسموا مناهجه ، وأفيدوا من تربيته، واستضيئوا بعلمه ، وهذّبوا نفوسكم بتهذيبه وتأديبه ، وكونوا أهلاً للمنازل الرفيعة التي أرادها لكم ربّكم ، والمقامات الكريمة التي يبتغيها لكم دينكم ، والصفات الحميدة والحياة السعيدة التي يعدّكم لها كتابكم .

والتربية الإسلامية تعتمد على بيان العقيدة الصحيحة، وتوضيح مقاطعها، وتجلية آياتها ، وإقامة البراهين الوافية بإثباتها ، وتنبيه الفكر الإنساني ، وإثارة مختلف المشاعر في نفس الإنسان ، لتتلقى الإيمان الكامل الثابت المنير ، الذي يملأ جوانب النفس ، ويضيء آفاقها .

---

١ - المائدة :١٥ – ١٦ .

وعلى بيان المفاهيم العامة التي ترتكز عليها مناهج الإسلام في التشريع ، وانظمته في الحياة ، وحلوله التي وضعها لجميع المشكلات .

وعلى تحديد مركز الإنسان في هذا الكون ، ومهمته فيه ، وعلاقاته التي تربطه بأشيائه ، وتضمّه إلى سائر أجزائه، وهذه نواح تتكفل بها -في الغالب- السور المكيّة ، وهي ست وثمانون سورة من الكتاب الكريم .

ثم تتوجه التربية إلى تطبيق العقيدة على العمل ، وبيان أثرها في السلوك ، وتحديد المناهج التي يتّبعها المسلم في حياته ، والنظم الرشيدة التي يقيم عليها صلاته ، والحدود التي تعيّن له حقوقه وواجباته .

وهذه آفاق تختص بها -في الغالب- السور المدنية ، وهي ثمان وعشرون سورة .

فطوبى لمن أفاد من كتاب ربّه تربية جامعة ، وعبرة نافعة ، وقبس من معارفه علماً صحيحاً ، واتبع من هداه نهجاً صريحاً :

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ .[1]﴾ .

جعلنا الله وإياكم من المتمسكين بكتاب الله ، المتدبرين لآياته ، المتبعين هداه ، المتأدبين بأدبه ، المقتفين لنيّر حججه ، وواضح منهجه ، انه ارحم الراحمين .

﴿بسم الله الرحمن الرحيم . وَالْعَصْرِ ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ.﴾ .

---

١ – الزمر : ٢٣ .

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الجليل ثناؤه ، الجزيل عطاؤه ، العظيمة صفاته وأسماؤه ، عرفته الأشياء بافتقارها إليه ، ووحدته بانقطاعها دونه ، وكبّرته لتناهيها سواه ، لم يبلغه عقل ليصفه ، ولم يحط به فكر ليعرّفه ، ولم يدركه لحظ ليشير إليه ، ولم يف بمعناه لفظ ليدل عليه .

بدأ الأشياء بقدرته فكل ما سواه حادث ، وصرّفها بحكمته ، وقلبّها بتدبيره فهو لها وارث ، الأول ليس معه شريك ، والآخر ليس له مثيل، والظاهر ليس له عديل ، والباطن ليس كمثله شيء ، وهو بكل شيء عليم ، وهو بكل شيء محيط ، وعلى كل شيء قدير :

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ، يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ .[1]﴾.

وأسأله إدراك أسمى الغايات من حمده ، والوصول إلى أبعد النهايات من ثنائه ، والفوز بأسنى الرغائب من جزائه ، وأضرع إليه أنّ يقيني وإياكم زلّة القدم ، ويعصمنا مما يوجب الندم .

وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تبلّغني الدرجة القصوى من توحيده ، وتدخلني في عداد الفائزين من عبيده ، وأشهد أنّ محمّداً ﷺ عبده الكريم ، وبعيثه بالدين القويم :

---

١ - الحديد : ٥ - ٦ .

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ .(١)﴾ .

صلى الله عليه وآله أبواب رحمة الله ، ومعادن حكمة الله .

أيّها المؤمنون ؛ إن الله -جلت عظمته- وصف لنا كتابه العظيم ، فقال -وهو أصدق القائلين- :﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ .(٢)﴾ .

وقال -سبحانه-: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً .(٣)﴾ .

وقال : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً .(٤)﴾ .

وقد ذم أناساً نزلت ما بينهم آيات الكتاب فلم ينتفعوا بها ، ولم يفيدوا من رشدها فقال :﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا .(٥)﴾ .

أيّها المؤمنون ؛ إن القرآن معجزة الله الخالدة ، التي قرن بها شريعته الخالدة ، وهو يقدّم للبشر هدايات الله جليّة لا لبس فيها ، ويقيم عليهم حججه نيّرة لا شبهة معها ، ويبين لهم مناهجه قيّمة لا عوج بها ،

---

١ - التوبة : ١٢٨ .

٢ - الحشر : ٢١ .

٣ - الإسراء : ٨٨ .

٤ - الإسراء : ٩ .

٥ - محمّد : ٢٤ .

فطوبى لمن استرشد بكتاب الله ، وتمسك بحبله الممدود ، وارتوى من حوضه المورود .

وإن خطب الجمعة باب كبير من أبواب الهداية ، وسبيل جَدَد من سبل الدعوة ، فتحه الله –سبحانه- لتزكية نفوس المؤمنين ، وتطهير قلوبهم ، وتهذيب جامحهم ، ودفعهم إلى التكامل ، ورفعهم إلى أعلى المنازل .

وقد رغبت –والتوفيق لي ولكم من الله- أن أتحدث إليكم في كل جمعة عن بعض آيات الكتاب ، وأسمعكم شيئاً من تفسيره ، وأسمو معكم إلى طرف من آفاقه :

﴿أَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ[١]﴾ .

وأسأل الله لي ولكم مزيداً من عونه ، ومدداً من توفيقه ، ونظرة رحيمة من لطفه ، تفقّهنا أسرار الكتاب ، وتجلو لنا معاني الآيات ، وتوفقنا لنشر دعوة الله ، وإعلاء كلمته ، واتّباع سبيله ، وابتغاء رضاه ، والتزام تقواه .

عباد الله ؛ اتقوا الله فبتقوى الله تفوزون ، والتزموا نهج الله فبإتباعه تسعدون ، وكونوا حزب الله :﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[٢]﴾ .

وجدير بالمؤمن أن يرضى بكتاب الله دليلاً ، وأن يتبع دين الله سبيلاً :﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .[٣]﴾ .

---

١ – النمل : ٩٢ .

٢ – المجادلة : ٢٢ .

٣ – التغابن : ١٦ .

اللهم صلِّ على محمّد وآل محمّد ، واملأ قلوبنا حباً لك ، وخشية منك ، وتصديقاً لك ، وإيماناً بك ، وفرقاً منك ، وشوقاً إليك ، يا ذا الجلال والإكرام ، اللهم حبب إلينا لقاءك ، واجعل لنا في لقائك خير الرحمة ، وألحقنا بالصالحين .

اللهم انك خصصتنا بالاسلام خير دين جعلته ، وهديتنا بالقران أفضل كتاب ، أنزلته وشرّفتنا بمحمد ﷺ اكرم نبي أرسلته .

اللهم فوفّقنا لشكر هذه النعمة ، والاستظلال بظل هذه الرّحمة، واجعلنا ممن عرف لنبيك واله الطاهرين حقوقهم ، ودان لك بولايتهم وادّى لك فرض طاعتهم .

اللهم أعطهم اشرف المقام ، وحباء السلام ، وشفاعة الإسلام ، وألحقنا بهم غير خزايا ولا ناكبين ، وصل عليهم بأفضل صلواتك يا ارحم الراحمين .

اللهم صلِّ وسلّم على رسولك الذي رفعت به نواظر العباد ، وأحييت به ميت البلاد ، وكشفت عن نور ولادته ظلم الأستار ، وألبست حرمك به حلل الأنوار ، سيدنا أبي القاسم محمّد المختار ﷺ .

اللهم صلِّ وسلّم على حكمة الله البالغة ، ونعمة الله السابغة ، قسيم الجنة والنار ، وسيد المتقين الأخيار ، سهم الله الصائب ، وقضاء الله الغالب ، أبي الحسنين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على الحوراء الإنسية، والطاهرة المرضية ، تفاحة الخلد ، وحليفة التقى والزهد ، قرة عين الرسول ، أم الحسنين فاطمة البتول عليها السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على الحجة العليم ، والصراط المستقيم ، السيد

المؤتمن ، والصابر في اللأواء والمحن ، رابع أهل العباء ، وثاني الأئمة النجباء ، أبي محمّد الحسن بن علي المجتبى عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على أبي الأئمة ، ونور الدياجي المدلهمة، قتيل العبرات، وأسير الكربات ، ثاني السبطين ، واحد الفرقدين ، سيدنا أبي عبد الله الحسين عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على مجمع الأنوار ، وعيبة الأسرار، أبي الذرية الطاهرة ، وصاحب الكرامات الباهرة ، إمام العالمين ، وقرة عيون الناظرين ، أبي محمّد علي زين العابدين عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على الحق الحقيق ، والإمام الصدّيق ، النور الزاهر في ظلام الدياجر ، والسحاب الماطر بصنوف المفاخر ، أبي جعفر الأول محمّد بن علي الباقر عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على خازن العلوم الربانية ، ومستودع الحِكَم الإلهية ، ينبوع العلم الدافق ، وعلم الهدى الخافق ، أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على البدر المنير ، في ظلم المطامير ، حليف التقى والجود ، وذي الساق المرضوض بحَلَق القيود ، النور الأنور ، أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على بهجة العالمين ، وإمام المؤمنين ، منقذ العباد من المهالك ، ومرشدهم إلى ارشد المسالك ، الإمام المرتضى ، والسيف المنتضى ، أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على ركن الإيمان ، وترجمان القرآن ، القدوة الذي تدرك به الهداية ، والشفيع الذي تنال به الجنة ، ذخيرة العباد ،

ليوم التناد ، أبي جعفر محمّد بن علي الجواد عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على مولى المؤمنين ، وولي الصالحين ، الأمين الوفي ، والعلم الرضي ، منهل الصادي ، وضياء النادي ، أبي الحسن علي بن محمّد الهادي عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على وارث الأئمة ، والشهيد على الأمة ، عبدك الذي ورّثته علم الكتاب ، وألهمته فصل الخطاب ، النور المضيء ، والكوكب الدريّ ، أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على جامع الكلمة على التقوى ، وباب الله الذي منه يؤتى ، والسبب المتصل بين الأرض والسماء ، ناشر الإيمان ، وعديل القرآن ، الحجة المهدي صاحب العصر والزمان عليه السلام .

اللهم اشعب به الصدع ، وارتق به الفتق ، وأمت به الجور ، وأظهر به العدل ، وزين بطول بقائه الأرض ، وأيده بالنصر ، وانصره بالرعب، وقو ناصريه ، واخذل خاذليه ، ودمدم على من نصب له ، ودمّر من غشه ، واقتل به جبابرة الكفر ، واقصم به رؤوس الضلالة ، وشارعة البدع ، ومميتة السنة ، إنك على كل شيء قدير .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات ، وألّف بين قلوبهم على الخيرات ، وأصلح ذات بينهم والمم شعثهم ، واحقن دماءهم ، واجمع على الهدى أمرهم ، وتجاوز عن ذنوبهم ، وفرّج عن مكروبهم ، وأشركنا في صالح دعائهم ، وأشركهم في صالح دعائنا ، وعمّنا وإياهم بفضلك ، وادفع عنا وعنهم بحولك ، يا ارحم الراحمين .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

١٤

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

٢ – في تفسير سورة الملك

الحمد لله منتهى ثنائه ، ومبلغ رضاه ، وكفاء نعمه ، وعداد أياديه ، ووفاء حقه ، وملء آفاقه ، وعدد مخلوقاته ، وسعة معلوماته ، وعظم مقدوراته، وزنة أرضيه وسماواته ، غاية الغايات ، ومبدأ البداءات ، وسبب كل سبب ، ومقصد كل ذي ارب .

اضطّر العقول أنّ تؤمن به كما اضطّر الأشياء أن تلجأ إليه ، وهو موئل كل طلبة لها ، ومناط كل حاجة ، ومغيث كل لهفة ، ومجيب كل دعوة ، بكل لسان ، وبكل فطرة ، وبكل لغة ، وبكل جنان ، ولا يشغله شأن عن شأن ، ولا يبعد عنه مكان ، ولا تختلف على قدرته الأكوان .

وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده ، وحده ، لا معبود سواه ، ولا مليك غيره ، أحد صمد ، ليس له صاحبة ولا ولد ، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ، وأشهد أنّ محمّداً ﷺ أكرم من اصطفى من عبد ، وسيّد من بعث من رسول، وخير من انتجب من هاد ، صلى الله عليه وآله شموس الولاية ، وأنوار الهداية .

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .﴾ .

أنزلت هذه السورة في مكة قبل الهجرة ، والمجتمع المكي كما تعرّفنا الحقائق -في يومه ذاك- غريق بالنقائص والنقائض ، والتصور المكي مليء بالأوهام والأساطير، والعقيدة المكيّة مجموعة من أهواء وضلالات.

سخف من تصورات الجاهلية ، وأوهام من سواقط العادات ، وأساطير من ملفقات الأديان ، وأضاليل من أحاديث الكهّان ، ونقائض من عبادات الأوثان .

والمجتمع العربي وراء المجتمع المكي في جميع ذلك ، والمجتمعات البشرية الأخرى لا تختلف عن العرب في كل أولئك ، فلا بد لكتاب الله -وهو المنزل لإنقاذ البشر من الظلام ، وخبط الأوهام- ان يقف من هذه المجتمعات الحائرة وقفته الصحيحة ، ويسمعها قولته الفصيحة ، يقوّم -بصوابها- أخطاءهم ، ويصحح -بهداها- آراءهم ، ويوجههم وجهة الحق في كل ناحية ، وفي كل مجال .

إنهم خابطون في أمر الخلق ، متلدّدون في تقريره ، بعيدون عن الحق في ما يتصورون ، متبعون للهوى فيما يقدّرون ، فلا بد لكتاب الله ان يرفع لهم نور الحق ، ويرشدهم إلى حكم الفطرة ، فيقول :

«تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» .

وأكثرهم يرى ان هذه الحياة هي الغاية ، وان الموت هو النهاية ، وما بعد الحياة من حياة ، وما بعد الموت من منقلب ، والحياة ميدان تغالب وتكالب ، والموت مقر همود وخمود ، فلا بد لكتاب الله ان يعرّفهم أنّ سر الموت والحياة أعمق من ذلك وأضخم ، واكبر وأعظم ، فالحكمة التي بدأت الحياة أسمى من ان تقف بها عند هذه الحدود ، والقدرة التي جعلت الموت اكبر من ان تختمه بهذه النهاية ، والمشيئة التي

أبدعت الإنسان أجلّ من أن تكتب لكمال هذه الغاية .

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ .

كل شيء بإتقان وحكمة: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ .

وكل حي إلى غاية : ﴿هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ .

وغاية الموت والحياة ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ .

وغاية العمل توفية الجزاء : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ .﴾ ، ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ .

والله هو ولي الجزاء ، وهو خالق الإنسان فهو العليم بسّره ، ولا يخفى عليه شيء من أمره : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ . ﴾ .

وهذا الإنسان المخلوق المرزوق ، الذي ذلّلت له الأرض ، ومهدت له مناكبها ، وأخرجت له بركاتها ، واعدت له أرزاقها ، وسخرت له موجوداتها ، والذي أنشئ بعد العدم ، وجعل له السمع والبصر والفؤاد وتظاهرت عليه النعم ، وتواترت عليه روافد الكرم ، ألا يعرف فضل هذا المنعم ؟، ألا يشكر حقّ هذه النعم ؟ : ﴿هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ . ﴾ .

أغرّه حلم الحليم ؟، أم صدّه كرم الكريم ؟، أألمن ان يحيق به العذاب ، وقد تقطّعت به الأسباب ؟ ، أأَمِن مَّن فِي السَّمَاء أن يَخْسِفَ بِه الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ . أ أمِن مَّن فِي السَّمَاء أن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِير .

﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا

فِي غُرُورٍ . أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ، بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾ .

وإن الله وحده هو العزيز الغالب ، المحيي المميت ، المتفرد بالقدرة ، الولي للتدبير ، فـالطَّيْرُ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ ، وهو مليك الخلق والرزق ، والفتق والرتق ، لا ينصر من دونه جند، ولا يملك من دون أمره نفع ، ولا يجير من عذابه مجير .

هذه بعض الأهداف العامة في السورة المباركة ، وهذه بعض المقاصد التي تتولى تقريرها ، والحقائق التي تتضمن تصويرها ، وجميع معاني السورة الكريمة تنبع من مطلعها العظيم ، ومن هذه التسبيحة التي يرتلها لسان القرآن فترتج لها جميع الأكوان .

«تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» .

تباركت ذاته ، وتعالى قدره ، ونفذ أمره ، وتكاثر خيره ، واستفاض بره ، فهو مصدر كل بركة ، ومبدأ كل خير ، وموئل كل رحمة .

وهو واجب الوجود ، المنزّه –بذاته– عن العلل والحدود ، هذه حقيقة الحقائق تلم بها أول كلمة من السورة ، وهي حقيقة تدركها الفطرة ، ويؤمن بها نيّر الفكرة ، ويثبتها البرهان ، كما يقررها القرآن .

وإذا آمن العقل بأن لله الكمال الأعلى في الآخرة والأولى ، أيقن مؤمناً ، واستسلم مذعناً ، بأنه الذي بيده الملك ، وانه على كل شيء قدير ، فلا بد ان ينتهي الملك إلى علة العلل ، وان يرجع التدبير إلى عالم القدرة في الأزل .

فمالكية الملك ، وعموم القدرة ، ونفوذ المشيئة ، وثبوت الإتقان والحكمة ظواهر للكمال الأعلى الذي أيقن به العبد لربه ، ووحدّ به ذاته ، وفسّر به جميع صفاته .

«بِيَدِهِ الْمُلْكُ» ، فهو موجده ومقدّره ، ومصرّفه ومدبّره ، لا ظهير له في تكوينه ، ولا شريك له في ملكه ، ولا سلطان معه في الهيمنة عليه ، ولا يخرج شيء منه عن قبضته .

«وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ، لا يحول دون إرادته حائل ، ولا يوجد بغير مشيئته موجود ، ولا يمتنع من قدرته كائن ، ومتى آمن العبد بهذه الحقيقة المنيرة حق الإيمان ، ودان لربه بهذه العقيدة حق الاعتقاد، انطبعت عليها نفسه، وانقادت لها إرادته ، فلم يخضع أبدا لمخلوق ، ولم يضرع لكائن ، ولم يخش إلا الله ، ولم يلتزم إلا تقواه ، لأنه يعلم ان ما سوى الله عبد مملوك ، لا يملك لنازلته دفعاً ، ولا يستطيع له ولا لنفسه ضراً ولا نفعاً .

فالتقوى ؛ التقوى -أيها المؤمنون-؛ فهي مضمار سبقكم ، وهي الغاية من إيجادكم وخلقكم ، كونوا كما يريد الله لكم سُمَحاء في أخلاقكم ، أزكياء في نفوسكم وأعمالكم ، واخلصوا له دينكم وثبتوا بتوحيده واتباع كتابه يقينكم ، واستعينوا به فانه قوة من استعان به ، وعصمة من التجأ إليه ، وهو هادي من تمسك بقوله ، ومنجي من اعتصم بحبله .

﴿بسم الله الرحمن الرحيم . وَالْعَصْرِ . إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ .



الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

البلاء غاية الخلق

الحمد لله بمعاني الحمد التي ذكرها في كتابه ، وصنوف الثناء التي تمدح بها لعباده ، وآفاق المجد التي دلت عليها صفاته ، وأحاطت بها أسماؤه ، وتوحدت بها كبرياؤه ، الظاهر بذاته لا بعلّة غالبة ، ولا بصفة واهبة ، عَشِيت الأبصار وبَلُهت الأفكار ، واستعلنت الأنوار ، وقصرت المعاني ، واستعجَمت اللغات ، وعقدت الألسنة ، وتصاغرت النعوت ، وعظم الجبروت ، وخضع الملكوت ، لبارئه الحي الذي لا يموت .

وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أوحدّه وأعبده ، وأصمد إليه في حوائجي ، وألجأ إليه في نوازلي ، وأشد بقوته عزيمتي ، وأثبت بمدده عقيدتي ، وأستعزّ في إيماني به ، وأكتفي بتوكلي عليه ، وأشهد ان محمدا ﷺ عبده ورسوله ، ونوره الذي أتمّه ، وابتعثه في خير أمة ، واصطفى له أكرم أئمة ، صلى الله عليه وعليهم ، ما خلد ذكرهم في الخالدين ، وما شع نورهم في العالمين .

عباد الله ؛ اتقوا الله ، واتبعوا هداه ، إن الله يصرّف لكم آياته لتهتدوا ، ويوضح لكم بيناته لتؤمنوا وتعتقدوا .

يقول -وهو أصدق قائل-: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ .﴾ .

ومعنى هذه الآية انطلاق وتفصيل لبعض آفاق الآية الأولى : «بِيَدِهِ الْمُلْكُ» ، فلا يحيى فيه حي إلا بإرادته ، ولا يموت ميت إلا بمشيئته .

فالحياة والموت مخلوقان -كما تقول الآية-، والحكمة -في خلقهما- ان يستكمل الحي في حياته ، فيستعد بالعمل الصالح لما بعد مماته .

وإذن ؛ فلا محيد من التكليف لتستوفى هذه الحكمة ، ولا محيص من بعث الرسل ، لتتم ببعثتهم هذه النعمة .

لا بد من وجود التكليف لتتحقق حكمة خلق الإنسان ، ولا بد من الرسل ليرشدوا العباد إلى الأديان :«الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ» ، ليفتح لكم مضامير السبق ، وتظهر الحكمة العظيمة من هذا الخلق .

«لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً» ، ليمتحنكم بضروب التكليف ، ويعدّ لكم موفور الجزاء ، فيتبيّن من أساء ممن اتقى ، ومن تسافل ممن ارتقى .

«وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ» ، الغالب على كل شيء ، فلا يعجزه بيان تكليف، ولا إقامة حجة ، ولا توفير حساب ، الغفور الذي يغفر ذنب من تاب ، ويقبل عذر من أناب .

وقد ورد في الحديث عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام - في قوله (تعالى) : «لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً»- قال عليه السلام .

(ليس يعني أكثر عملاً ، ولكن أصوبكم عملاً ، وإنما الإصابة خشية الله والنية الصادقة) .

ثم قال عليه السلام : (الإبقاء على العمل حتى يخلص اشدّ من العمل ، والعمل الخالص الصالح : الذي لا تريد ان يحمدك عليه احد إلا الله - عز وجل-) [١] .

---

١ - الكافي - الشيخ الكليني (قده) - ج : ٢ - ص : ١٦ .

فالبدار ؛ البدار ؛ -أيّها المؤمنون- والحذار الحذار ؛ قبل أن يفوت الأوان ، ويبوء المقصر بالخسران ، ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .[1]﴾ .

اللهم يا ذا القدرة التي دان لها كل شيء ، ورب النور الذي استضاء منه كل حي ، صلّ على أمينك ، وداعيتك إلى دينك ، محمّد سيّد المرسلين وختام النبيين .

اللهم أظهر حجته وأعل كلمته ، وبلّغه -وآله الميامين- أعلى منازل الكرامة ، وارفع الدرجات في دار المقامة ، اللهم فكما تحمّلوا الأذى في إعلاء دعوتك ، صلّ عليهم أفضل ما صليت على أحد من صفوتك .

اللهم صلّ وسلّم على المثال الأعلى للرسالة ، والمنقذ الأعظم من الضلالة، من أخذت على الأنبياء له الميثاق ، ورفعت مجده على السبع الطباق، خير من انتعل واحتفى ، أبي القاسم محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله .

اللهم صلّ وسلّم على حكم الله الفاصل ، بين الحق والباطل ، وقضائه العادل ، في جميع المشاكل ، غياث المستجير ، وصاحب تاج يوم الغدير ، أمان الهارب ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على عقيلة آية التطهير ، ووديعة البشير النذير ، السلالة الطاهرة ، والشفيعة في مواقف الآخرة ، والدة الأئمة المنتجبين ، فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين عليها السلام .

اللهم صلّ وسلّم على وارث النبي الأمين ، وخليفة الوصي المكين،

---

١ – الحديد : ٢١

السابق في حلبات الطاعة ، والمأمول في مواقف الشفاعة ، السيد الزكي ، والبرهان الجلي ، أبي محمّد الحسن بن علي عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على ثار الله المطلوب ، وحقه المغصوب ، سيّد الأباة ، وسفينة النجاة ، وأبي الأئمة الهداة ، الصديق الرشيد ، أبي عبد الله الحسين بن علي الشهيد عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على منقذ الخلق من الهلكات ، ومنجي العاصين من الدركات ، منار اليقين ، وعصمة اللائذين ، أبي محمّد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على ربي التقوى ، والفائز من السعادة بالدرجة القصوى ، الشمس التي يهتدي بنورها كل حائر ، والدليل الذي ينجو باتّباعه كل عاثر ، أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على خازن العلوم النبوية ، والقائم بالقسط في البرية ، معدن الحقائق ، وشفيع الخلائق ، أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على العدل الأعلى ، والمرتقي للمقامات الفضلى، العبد الصالح ، والسبيل الواضح ، قدوة الأولياء الأكارم ، وصفوة الأوصياء الأعاظم، أبي إبراهيم موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام.

اللهم صلّ وسلّم على شهيد الغربة ، والمؤمل لتفريج الكربة ، سيّد كل ولي ، وإمام كل حبر ملي ، منار الهدى ، وسبيل الرضا ، أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الناهض بأعباء الإمامة ، والمرتدي حلل الكرامة ، مثال النبي في الصبر والاجتهاد ، والنصيحة للعباد ، أبي جعفر

محمّد بن علي الجواد عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الحجة القاطعة ، والدلالة الساطعة ، قرين الكتاب، وحليف المحراب ، الكوكب الهادي ، لكل حاضر وبادي ، أبي الحسن الثالث علي بن محمّد الهادي عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على نور العارفين ، وكبير الصديقين ، المطهر من كل ريبة ونجاسة ، والمنزه من كل دنية ورجاسة ، الإمام الصفي ، أبي محمّد الحسن بن علي عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الآية المحكمة ، والمعدّ لقطع دابر الظلَمَة ، ولي الأمر ، والبقية من أهل الذكر ، الدين المأثور ، والكتاب المسطور ، رافع لواء الإيمان ، ومجدد حدود القرآن ، أبي القاسم محمّد بن الحسن صاحب العصر والزمان عليه السلام .

اللهم أعز به المؤمنين ، وأحي به سنن المرسلين ، ودارس حكم النبيين ، اللهم أنر بعدله ظلم الجور ، وأطفئ به نيران الكفر ، وأوضح به معاقد الحق ، ومجهول العدل ، اللهم وانصر به المؤمنين ، واجمع على التقوى أمورهم ، واغفر لهم ذنوبهم .

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ .[1]﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ .﴾ .

---

١ – الحشر : ١٠

١٥

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

٣ – في تفسير سورة الملك

الحمد لله المنان بعفوه وان حقّت الكلمة ، المتفضل بالعطاء وان استوجب العبد ان يحرمه ، الرحيم حتى بمن كفره ، الرؤوف حتى بمن أنكره ، العواد عليه بالرحمة وان تمادى في الظلم ، وانغمس في الإثم .

استوت الأشياء في الدلالة عليه ، واتسقت في الخضوع لأمره ، واتفقت في التسبيح بحمده ، والتطلع إلى رفده وطلب المزيد من عنده ، ففي كل شيء آية بينة ، وبكل شيء حكمة متقنة ، ومن كل شيء عبودية قانتة ، ومن كل شيء تسبيحة خافتة ، وابتهالة صامتة .

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً . [١]﴾ .

وأشهد ان لا آله إلا الله وحده لا خالق معه ، ولا رب فوقه ، ولا إله دونه : ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ

---

١ – الإسراء : ٤٤ .

وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ .[١]﴾ .

واشهد ان محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، ونعمته التامة ، ورحمته العامة وداعيه إلى الخير ، ودليله على الحق ، صلى الله عليه وآله أولياء عهد الله وأدلاء رشده .

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ . ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ .﴾ .

تمجد لعباده وهو أهل الكبرياء والمجد ، وأثنى على نفسه وهو أهل الثناء والحمد ، ولفتهم من بدائع صنعه إلى ما يبصرون ، وحثهم على التفكر فيما لا ينكرون .

سماوات عظيمة ، مرفوعة لا يدعمها عمد ، ونجوم مضيئة منيرة لا يحيط بها عدد ، وأفلاك مسخرة ، دائرة لا تختلف ، وحركات منظمة لا تحيد ولا تتصادم ولا تقف ، وقوانين مسيطرة مسيّرة ، بعدد ما في هذا الملكوت العظيم من نجم ومن جرم ، وبعدد ما في السماوات والأكوان والآفاق من شيء وبعدد ما في الأشياء من عنصر ، ومن ذرة ، ومن طاقة ، ومن قوة ، وبعدد صلات كل هذه الموجودات بعضها مع بعض.

وكل هذه القوانين الهائلة العدد ، مسخرة لأوقاتها ، متجهة إلى غاياتها ، لا تنتقض ولا تهدأ ، ولا تنتهي إلا حيث تبدأ .

ألا يرفع الإنسان رأسه فيبصر ؟ ، ألا يدله وجود هذه الآثار على وجود المؤثر ؟ ، ألا يرشده حسن التقدير إلى حكمة المقدّر ؟ :

---

١ – المؤمنون : ٩١ .

﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ .[١]﴾ .

كلا ؛ كلا ، إن الحقيقة أبين وأجلى ، وأسطع نوراً وأعلى .

«الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً» ، هكذا يخبر خالق السماوات عنها في كتابه وهو العليم بما خلق ، الصادق فيما نطق .

وقد قال –سبحانه– في سورة نوح : ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا . .[٢]﴾ .

وفي سورة النبأ : ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا .[٣]﴾ .

وفي سورة المؤمنون : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ .[٤]﴾ .

هكذا يكرر في الآيات ذكر سبع سماوات ، فما هذه السماوات ؟ ، وما كنهها ؟!! .

إنّ علم المخلوقين في هذا المجال وإنّ تقدم إلا انه لا يزال يحبو ، وهو في خطواته يخشى ان تزل قدمه فيكبو .

لقد كشف من عجائب السماء ملايين من المجرات ، تقوم جميعها بالقدرة ، وأحصى ملايين من النجوم الثواقب تشتمل عليها كل مجرة ، وشهد أن بعض هذه النجوم أسطع من شمسنا هذه أربعمأة مرة ، وعد

---

١ – إبراهيم : ١٠ .

٢ – نوح : ١٥ .

٣ – النبأ : ١٢ .

٤ – المؤمنون : ١٧ .

لكثير من النجوم توابعها وظلالها ، وضبط حركاتها وأحوالها ، وعين أبعادها وأقطارها وأثقالها .

لقد كشف علم المخلوقين -والهداية من الله- كثيراً من بدائع الآفاق ، وآمن بوجود مدبّرها ، وسبّح بحمد مقدّرها ، ولكن القوانين والملاحظات عرّفته ان ما يجهل لا يمكن ان يقاس به ما يعلم ، وان حدود الكون ابعد كثيراً مما وصل إليه وأعظم ، وإن سرّ التكوين أكبر مما تعرّف عليه وأضخم .

ما هي السماوات السبع ؟ ، وما تعني منها الآيات الكريمة التي أنزلها خالق السماوات ؟ .

أهي الكواكب التي تتألف منها المجموعة الشمسية ؟ ، أم هي المجرات العائمة ، التي تنتظم جميع هذه النجوم القائمة ، والأفلاك الحائمة ؟ .

إنّ الآيات القرآنية العظيمة تصف السماء الدنيا ، فتذكر أن النجوم زينة لها ، وان كانت الكواكب التي ترى كلّها من زينة السماء الدنيا ، فأين لا أين حدود السماوات العلى ؟ .

ما أصغر الإنسان !! ، وما أقل علمه ! ، وما أعظم القدرة التي يحاول ان يدرك حدودها ! ، وما أوعر المسالك التي يطلب ان يقتحم سدودها ! ، ثم ما اجهله وهو ينكر مدبر هذه الأكوان المترامية ، والبدائع غير المتناهية ، كأنه لا يبصر آثاره ولا يشاهد أنواره .

« الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ » .

وأول الآية المباركة يلقن الناس دليل الوجود ، وآخرها يعلمهم برهان التوحيد .

ما في الخلق من تفاوت ، وما فيه من فطور ، وما فيه من اختلاف ولا اضطراب ، ولا خلل ولا وهن ، في صغير منه ولا كبير ، فجميع الأشياء منسقة متفقة ، فلا تنافر بين القوانين ، ولا تصادم بين الأجرام ، ولا تضارب بين الحركات ، ولا تناقض بين الغايات ، ولا تضاد في الاتجاهات ، ولا تخالف بين الأجزاء ، ولا وهن في التركيب ، ولا خلل في الترتيب .

أفلا يدل هذا الانسجام والنظام العام على قدرة واحدة ، مصمّمة واردة منظمة ؟ .

ألا تدل هذه الوحدة الكونية على وحدة الحكمة، ووحدة الموجد؟.

إن الفاطر لو تعدّد لتعدّدت الحكمة ، وتعدّد الاتجاه ، وتعدّد السبيل ، وحصل الاختلاف ، ووقع الاضطراب .

ومد الإنسان بصره ما وسعه المد ، وقلّب فكره ما وسعه التقليب ، ولاحظ العلم البشري ما أمكنته الملاحظة ، فلم ير إلا ما يدهش من عجائب الحكمة ، ومظاهر الرحمة :

«فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ» ، والفطور هي الصدوع .

هل ترى ظاهرة تشير إلى خلل ، أو تدل على زلل ؟ .

«ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ» بحثاً ، أو ما شئت من الكرات «يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ» ، كالّ من الطلب ، خائب من الإرب .

أيّها المؤمنون ؛ إنّ معرفة الله أس دينه ، وسلّم رضاه ، وسبب تقواه

فاحكموا في نفوسكم ركائز معرفة الله ، وبينوا شواهد قدرته ، ودلائل عظمته ، واتقوه حق تقاته ، تدركوا ابعد الغايات من مرضاته .

﴿واتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ .[1]﴾ .

﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ[2]﴾ .

وفقنا الله وإياكم لإتباع سبيله ، واقتفاء دليله ، انه الموفق للخير ، الهادي للحق .

﴿بسم الله الرحمن الرحيم ، قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ .



١ - البقرة : ٢٨١ .

٢ - الزمر : ٥٤ .

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الأول لا بحدوث ، الآخر لا بنهاية ، الباقي لا بتغير ، له ذاتي الوجود ، ومطلق الكمال ، وعلو الجلال ، وسرمدية البقاء ، وأزلية الكبرياء .

فما في هذا الملكوت من زينة إنما هي قبسة من جماله ، وما فيه من عظمة إنما هي رشحة من كماله ، وما فيه من خير إنما هو نفحة من عطائه ، وما فيه من تناسق إنما هو دليل على وحدته ، وبرهان على حكمته .

القيوم فلا يختلف في قدرته صغير عن كبير ، ولا حدوث عن إبقاء، ولا إعادة عن ابتداء .

واشهد ان لا آله إلا الله وحده ، المتعالي عن النهايات فكيف يكون له شريك ؟ ، المنزه عن الحيثيات فكيف يكون له عديل ؟ ، المتقدس عن الأوصاف فكيف يكون له شبه ؟ ، المتكبر عن الفصول والأجناس فكيف يعرف له كنه ؟ . واشهد أن محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، حباه بأكرم خلّة ، وأرسله في خير ملة ، صلى الله عليه وآله المطهرين ، صلاة تبوئهم أعلى درجات المقرّبين .

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ .﴾ .

«بيده الملك» ، وهو ولي تدبيره ، والقيوم على توجيهه وتسييره ،

فما في خلق الرحمان من تفاوت ، وما في ملكوته من فطور ، وما في حكمته من قصور .

وظاهرة الجمال في بدائعه تقترن بسر الكمال في جميع صنائعه ، والكتاب الإلهي الكريم يحرّض الإنسان ليبصر ، ويتحدّاه لينتقد ، فيفيد من نظره في الكون عرفاناً ، ويكسب من دلائله إيمانا .

والسماء الدنيا اقرب السماوات إلى الأرض ، وقد زيّنها – سبحانه- بالنجوم الزاهرة ، وملأ آفاقها بالأنوار الباهرة .

هذه النضارة الكونية البهيجة التي لا يملها الإنسان من النظر ، وان ملكته الغفلة عما تحتويه من العبر .

«وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ» .

وهذا إعلان لانتهاء كهانة الكهّان ، والمجتمع الجاهلي يعلّق عليها آمالا جساماً ، وينيط بها أموراً عظاماً ، لقد بطل أمر الكهان ، وأعدّت الشهب لرجم كل شيطان ، فلا استراق لسمع ، ولا سيطرة على احد ، ولا ثبات إلا للحق ، ولا عبادة إلا لله .

وماذا تملك الشياطين ليخضع لها الإنسان، ويوقن أن بيدها نفعه وضرّه؟.

إنهم عباد مخلوقون ، مقهورون مرجومون مدحورون ، «وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ» ، تلك هي عاقبتهم في دنياهم ، وهذه نهايتهم في أخراهم ، فما بال المرء يملّكهم قياده ؟ .

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ .﴾ .

وهذه نهاية من يملّك عدوّه أمره ، لقد استبان الحق واستنار سبيله ، ووضح دليله ، ولم تبق إلا الغاية الكبرى التي ينتظرها الصابرون ،

والمغبة السوآى التي يرتقبها الكافرون :«عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ» .

﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ .﴾ .

يا لهول ما يلقون ! ، ويا لهول ما يسمعون ! ، إن شهيقها يزيد الكربة كربة ، ويضيف إلى الفزع فزعاً ، والشهيق صوت النفس يجذبه المكروب بشدة ، وكأن شهيق النار صوتها الجلجل وهي تبتلع الوقود ، وتطلب المزيد ، ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ..﴾ .

إنها غاضبة لغضب الله ، حنقةٌ على من تعدّى حدوده ، تكاد تتمزّق من شدة الغضب ، والعصاة يساقون إليها إزعاجاً ، ويلقون فيها أفواجاً ، ﴿..كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ .﴾ .

لقد ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ..[1]﴾ فكيف استوجبتم منه النقمة ؟، ومن رحمته وعدله ان لا يعذب أحدا إلا بعد الإنذار ، «أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ» ؟ .

﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ ..﴾ ، رسل مكرّمون ، أنذرونا سوء المصير ، فكذّبنا دعوتهم ، واتهمنا نصيحتهم ﴿. وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ .﴾ ، فلا رسالة ولا كتاب ، ولا بعث ولا حساب ، حتى حاق بنا سوء العذاب ، ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ .﴾ ، فالسميع العاقل هو الذي ينتفع بما سمع ، ويتدبّر ما قيل ، ويأخذ بالحذر قبل ان يقع في الخطر .

---

١ - الأنعام : ٥٤ .

﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ . . ﴾ حين لا ينفع الاعتراف ، ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ . ﴾ .

والى جانب هذا الفريق البائس اليائس ، الذي استوجب العذاب بكفره، فريق سعيد ، استوجب المغفرة والأجر الكبير ، بصبره عرف ربه فخشيه بالغيب ، وعيّن نهجه فتنزه به عن الريب ، فرفعته الخشية وطهرته التقوى :﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ . ﴾ .

وقد ورد في خطبة الرسول يوم الغدير : (إلا ان أعداءه -ويعني علياً- هم الذين قال الله (عز وجل) كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها: «أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ» ، إلا ان أولياءه هم «الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ» .

فطوبى -أيّها المؤمنون- لمن استمسك بهذه الولاية ، وسار على نهجها حتى يدرك الغاية ، طوبى للذين يخشون ربهم حين ينفردون عن غيره ، طوبى للذين يراقبون الله في السر والعلن ، وفي جميع الأمور ما ظهر منها وما بطن .

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ، أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ . ﴾ .

اللهم إنا نعوذ بك من نارٍ تغلّظت بها على من عصاك ، وتوعّدت بها من صدف عن رضاك ، ومن نارٍ نورها ظلمة ، وهيّنها أليم ، وبعيدها قريب ، ومن نار يأكل بعضها بعض ، ويصول بعضها على بعض ، ومن نارٍ تذر العظام رميماً ، وتسقي أهلها حميما .

اللهم صلّ على محمّد وآله ، وأجرنا منها بفضل رحمتك ، وأقلنا

عثراتنا بحسن إقالتك ، ولا تخذلنا يا خير المجيرين .

اللهم صلّ على محمّد وآله إذا ذكر الأبرار ، وصل على محمّد وآله ما اختلف الليل والنهار ، صلاة لا ينقطع مددها ، ولا يحصى عددها ، صلاة تشحن الهواء ، وتملأ الأرض والسماء ، صلى الله عليه وآله حتى يرضى ، وصلى الله عليه وآله بعد الرضا ، صلواةً لا حدّ لها ولا منتهى.

اللهم صلّ وسلّم على أكرم السابقين إليك ، واقرب المرسلين لديك ، خير من لبّى وسعى ، وسيّد من بلّغ ودعا ، وأبان الدلالة لمن وعى ، شفيع يوم الدين ، أبي القاسم محمّد خاتم النبيين ﷺ .

اللهم صلّ وسلّم على المولى الجليل ، الذي نطق بولايته التنزيل ، وشهد له بالطهارة والتفضيل ، خليفتك الذي به تثيب وتعاقب ، ونورك الذي جلوت به الغياهب ، وجمعت له غر المناقب ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على شجرة العصمة ، اليانعة بثمار العلم والحكمة ، التي طهّرها الله في الكتاب ، ونادتها الملائكة وهي قائمة تصلي في المحراب ، الإنسية الحوراء ، أم الحسنين فاطمة الزهراء عليها السلام .

اللهم صلّ وسلّم على نور حدقة الرسول ، ومهجة قلب البتول ، أصدق الناس لساناً ، وأعظمهم علماً وإيمانا ، وأنصعهم حجة وبرهاناً ، الوصي الولي، أبي محمّد الحسن بن علي عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الولي الموعود بشهادته ، قبل استهلاله وولادته، شهيد الغربة ، وقتيل الكربة ، وطاهر التربة ، كوكب الاهتداء، وأبي الأئمة السعداء ، أبي عبد الله الحسين سيّد الشهداء عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الكهف الذي يأمن به الخائفون ، والركن

الذي يستلمه الطائفون ، والنور الذي يهتدي به العارفون ، كعبة الوافدين . وشرعة الواردين ، أبي محمّد علي زين العابدين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على المخصوص بالوصية ، والمنزلة الرضية ، والفرع النامي من الدوحة المحمدية ، موضح أسرار الكتاب ، وقائد الخلق إلى الصواب ، الغيث الهامر ، بالندى والمآثر ، أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على المطهر التقي ، وإمام كل سعيد وشقي ، والذي أودعته علم ما مضى وعلم ما بقي ، ذي الشأن الكبير ، والعلم الغزير ، الولي السابق ، في مضامير الحقائق ، أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الآية المحكمة ، الذي بموالاته تمت الكلمة ، أمين الله على خفيات العلوم ، وصاحب المكان المحمود والمقام المعلوم ، الطاهر المطهر ، أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على ركن التوحيد ، وعدة يوم الوعيد ، وأمان الخائف من الهول الشديد ، وليك الذي ارتضيته للغيب ، وعصمته من الريب، الولي المجتبى ، والرضي المرتضى أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على ذي الشرف الذي لا يوازن في يوم الفخار ، والمجد الذي لا يماثل في سمو ولا مقدار ، الغيث الذي تحيى به البلاد ، وتسعد به العباد ، أبي جعفر محمّد بن علي الجواد عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على حليفي الفضائل ، والكريمين اللّذين ارتفعا عن المماثل ، عديلي القرآن ، وركني الإيمان ، وحجتي الرحمان ، على

الأنس والجان ، الإمامين بالبرهان القوي ، والنص الجلي ، أبي الحسن علي بن محمّد وأبي محمّد الحسن بن علي عليهما السلام .

اللهم صلّ وسلّم على خليفة الله في الأرضين ، والبقية من الأوصياء المرضيين ، خاتم الأنوار الزاهرة ، وابن الأعلام الباهرة ، النور المستور ، والنصر المذخور ، ولواء الحق المنشور ، الكعبة التي يستقبلها ذوو الإيمان ، والعدل الذي تشفى به الأضغان ، أبي القاسم محمد بن الحسن صاحب العصر والزمان عليه السلام .

اللهم أظهر به دولتك ، وأعز به دعوتك ، وابسط بخروجه رحمتك .

اللهم إنا نشكو إليك فقد نبينا ، وغيبة ولينا ، وكثرة عدونا ، وقلة عددنا ، وشدة الفتن بنا ، وتظاهر الزمان علينا ، فصل على محمّد وآل محمّد ، وأعنا على ذلك بفتح منك تعجله ، وبضرّ تكشفه ، ونصر تعزّه، وسلطان حق تظهره ، ورحمة منك تجللناها ، وعافية منك تلبسناها ، برحمتك يا ارحم الراحمين .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، وأصلح شؤونهم ، وحقق برحمتك ظنونهم ، واكفهم بغي الباغين وظلم الظالمين ، انك على كل شيء قدير .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ .



١٦

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

٤ – في تفسير سورة الملك

الحمد لله الذي أعز المكوّنات بصلتها به ، ورفعها بذلتها له ، وأغناها بفقرها إليه ، وأسعدها بعبادتها إياه ، وكرّمها بإقرارها به ، وفضلها بانقيادها لأمره ، وكفاها بلجوئها إليه ، تأله بذاته فكلٌ معترف بالعبودية ، واستحمد فكلّ مقرّ بالنعمة ، وتجلّى فكل مشرفٌ بنوره ، وتفرّد فكل متعلق بتدبيره ، وقدّر فكل يسأل المعونة منه ويلجأ في الملمّات إليه .

وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، عرفته المعلولات بذواتها ، وتوجهت إليه بجبلاتها ، ودانت له بضروراتها ، وشهدت بفقرها على غناه، ودلّت بحدوثها على أزليته ، وبنقصها على كماله ، وبفنائها على بقائه ، وبضعفها على قوته ، وأشهد أن محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، حباه واجتباه ، واصطفاه من كل صفوة ، وجعله أعلى مثل وقدوة ، صلى الله عليه وآله الذين اختارهم الله على علم ، وبرأهم من الإثم . ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ .﴾ .

أيّها المؤمنون ؛ ذكر الله –سبحانه- في هذه السورة الكريمة مقام

الأشقياء قبل ان يذكر مقام السعداء ، وفصّل عاقبة أولئك بأكثر مما فصّل به عاقبة هؤلاء ، ولعلّ السر في ذلك ان السورة -كما قدَّمتُ- أنزلت في مجتمع كافر ألحد بعض أهله فأنكر وجود ربه ، وضل بعضهم فأشرك في عبادته ، واحتكمت بهم الأهواء ، وهوت بتفكيرهم الأخطاء، فكان من حكمة الله ان يبين لهم من آيات الكون ما ينبّه الفطرة ، ويصحح الفكرة ، وكان من الحكمة أن تفصّل لهم عاقبة العاصين ليحذروها ، وعاقبة الطائعين ليبصروها..

لعلّ شهيق جهنم ينبّه غافلاً ، ويرشد جاهلاً ، لعلهم يرون جهنم وهي تغيظ وتفور فيخشوا ربهم بالغيب ، ويستوجبوا المغفرة والأجر الكبير .

والذي يخشى ربه بالغيب هو الذي آمن بربه ، وأيقن بأنه مليك أمره ، وولي نفعه وضره ، والرقيب على سره وجهره ، وانه مميته ومحييه، ومحاسبه ومجازيه ، فراقبَ الله في عمله وإن أمن المطّلع ، ومنعته خيفة الله أن ينحرف أو يتضع ، ومن أولى من هذا بمغفرة الله ، والفوز عنده ، والأجر الكبير لديه ؟ .

وخشية الله -على هذا الوجه- تنزه المرء عن الرياء ، وتمحضه الإخلاص ، وإذا اتقى الله في سره كان أحرى بأن يتقيه في جهره ، وان يستكمل الإيمان من شتى وجوهه .

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ .﴾ .

هذه هي الزجرة الإلهية المؤدبة ، التي توقظ الضمير وتملأه بالرهبة ، وتتركه دائم اليقظة ، دائم الحذر ، دائم المراقبة والمحاسبة للإنسان على أعماله وأقواله .

والضمير هو الحاسة الفطرية القوية التي خلقها الله –سبحانه– في نفس كل إنسان ، ترشده إلى فعل الخير ، وتحذّره من فعل الشر ، وتراقبه في جميع الأفعال ، وفي كل مجال .

ولكن هذه الحاسة تكون شديدة اليقظة في الإنسان عندما يعتاد عمل الخير ، وتضعف وتهن ، بل وقد تخمد وتموت ، في الإنسان عندما يكثر من أعمال الشر ، حتى يصبح وهو لا يشعر منها برقابة ، ولا يحس بتأنيب .

«وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ» ، واستخفوا بأعمالكم أو أظهروها، وأكنوا نياتكم أو أعلنوها ، واكتموا سرائركم أو ابدوها ، فرقابة الله محيطة ، وعلمه شامل ، لا تخفى عليه نبضة قلب ، ولا همسة سرّ ، ولا وسوسة نفس ، ولا ذات صدر .

والقبضة التي أحاطت بالملك ، فلم تخرج عن علمها ولا عن حكمها ذرة من ذراته ، لا يمكن ان تشذ عن علمها خاطرة في قلب إنسان ، ولا خالجة في صدره ، «إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» .

أليس هذا الإنسان بعض مخلوقات الله ، وهو خالق جوارحه ، ومركّب جوانحه ، ولا تخطر في نفس الإنسان خاطرة إلا بأمره ، ولا تمر في قلبه همسة إلا بتقديره ، فكيف لا يحيط بها علماً ؟ .

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ .﴾ .

ويلتفت السياق إلى الأرض ليعقدها بالسماء في تصور الإنسان وبناء عقيدته ، وتثبيت إيمانه .

فالمشيئة القاهرة التي كونت الملكوت الأعلى بأفلاكه وسماواته ، وسواكنه ومتحركاته ، وزينت الآفاق ، ورفعت السبع الطباق ، هي

التي أبدعت الأرض ، وذللت مناكبها ، وسهّلت مصاعبها ، ومهّدتها لتحتضن سر الحياة ، وملأتها بصنوف الحيوان والنبات ، وفجّرت صخورها بالمياه العذبة ، وأحالت أحجارها اليابسة تربة خصبة .

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ .﴾ .

«جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا» ، وازَن حركاتها وجذبها ، وضغطها وشكلها ، والغازات التي تتبعها ، والجو الذي يشيعها ، والعناصر التي تحتويها ، والحاجات التي تقتضيها ، وأبعادها عن الكواكب السائرة ، وموقعها من الأفلاك الدائرة .

نعم ؛ وإن لهذه الأرض لحركات ، وإن لها لجذباً ، وإن لها لضغطاً، وإنّ لها لأبعاداً ، وعناصر وغازات ، وقد وازنتها يد الرحمة ، في كل ذلك على أدق ما يكون من الحكمة ، ولو اختلّت النسب في بعض ذلك ولو بأدنى قليل لم تقم على الأرض حياة ، ولم يوجد على ظهرها حيوان ولا نبات .

وجعلها ذلولاً طوّع قوانينها لخدمة الإنسان ، وسخر أشيائها وأحياءها ، وبحارها وأنهارها ، وأجواءها ومحتوياتها لمنافعه ، وذلّلها لإرادته ، وفتح له سبلها ، ودله على خزائنها ، ووفر له خيراتها .

«هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» .

ومَن هو المبدأ حقيقٌ بان يكون إليه المنتهى ، والقدرة التي بدأت الكون لن تعجز عن إعادته .

ثم ماذا -أيّها الإنسان- ؟ .. ثم ماذا -أيّها المخلوق الضعيف- بعد هذه النعم ، وهذا التقدير والتسخير ، أتكبّر على العلي القدير ؟ ، أعتوّ

على اللطيف الخبير ؟، أكفرٌ بالنعمة ؟، أإعراض عمّن ابتدأك بالرحمة ؟، أتماد في الغرور ، وانغماس في النفور ؟! .

﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ .﴾.

هو الذي ذللها لكم ، وثبتها لمسيركم ، فلا يمتنع على قدرته ان يخسفها بكم ، ويزلزلها تحت أقدامكم .

أأمِنتُ ﴿مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾؟.

هو الذي طوّع قوانين الأرض والسماء لمنافعكم ، فلا يكبر عليه ان يرميكم منها بحاصب كما أرسل الرجوم على من طغى ، وصبّ نقمته على من بغى، ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ .﴾ .

اليقظة ، اليقظة -عباد الله-؛ والتقوى ، التقوى ؛ والعبرة ، العبرة ؛ إن الله يعظكم بما وعظ به من قبلكم ، ويحذّركم كما حذّرهم ، وكفى بالله واعظاً ، وكفى بكتاب الله نذيراً ، ومن أصدق من الله حديثاً .

﴿بسم الله الرحمن الرحيم . أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ . حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ . كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ . لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ . ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ .﴾.



الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

عجيب خلقة الطير

الحمد لله الذي ألهم الخلق أن تعبده، ووجه الفطر ان تثبته وتوحده، فاستوجب الحمد بإلهامه ، وضاعف به ضروب إنعامه .

الإله قبل ان يوجد أي مألوه ، المعبود قبل ان تسجد له الجباه والوجوه ، المسبح قبل ان تخلق الألسنة ، وتبرأ العقول والأفئدة ، النور قبل أن تشرق الأنوار ، وتبدو الآثار .

استوت الأشياء في قدرته ، فليس شيء أيسر عليها من شيء ، وتكافأت في محيط علمه فليس شيء أعرف لديه من شيء ، وتماثلت في صلتها بتدبيره فليس شيء أدنى إليه من شيء .

وأشهد ان لا آله إلا هو ، أوحّده عن من سواه ، وأنزّهه عما لا يرضاه ، وأشهد أن محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، اختصّه بالمقام الأسمى ، وانتجبه للرسالة العظمى ، صلى الله عليه وآله أدلّة اليقين ، وأئمة المتقين .

أيّها المؤمنون ؛ وجه الله –سبحانه– في سورة الملك نظرة الإنسان إلى السماء ليعتبر بآياتها ، ثم وجهه إلى الأرض ليفيد من خيراتها ، ويقبس من بركاتها ، وهو ما بين ذلك يتعهّد فكرته ليصلحها ، ويتوجه إلى عقيدته ليصححها .

ولفته بعد ذلك إلى مابين السماء والأرض من آيات ناطقة ،

وشهادة صادقة ، وعجائب التكوين في الجو لا يأتي عليها حساب .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ . ﴾ .

كيف استطاع هذا المخلوق الضعيف ، بهذا العدد الذي نسّق على جناحيه من الريش الخفيف ، ان يتغلّب على نظام الجذب وعلى قوانين الضغط ، فيصف جناحيه ويقبض ، ويرفع ويخفض ؟ .

من طوّع لإرادته الضعيفة قوانين الجو ، وسخر له متن الهواء ؟ ، ومن علّمه بهذا التسخير ليقلّب جناحيه آمناً كيف يشاء ؟ .

فليست عجيبة التسخير بأكبر من عجيبة الإلهام ، وليس التنظيم بأدل على القدرة من تعريفه سر النظام ، ما يمسكهن في موقعهن الا الرحمان، انه بكل شيء بصير ، يدبر كلّ شيء وينظمه ويزوده بما يقومه.

ألا تُعَرِّفُ الإنسان هذه الآيات بعظمة ربه ، فيخفّف من خطبه ، ويستغفر من ذنبه .

أَيحْسَبُ أن يُتْرَكَ سُدًى ، وقد تبين له الغي من الهدى، أم يظنّ أن قبضة القدير لن تناله ، ولن توفيه أعماله ؟ .

﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ، أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾ .

هيهات ؛ هيهات ؛ لن يعصم من أخذة الله عاصم ، ولن يوجد بعد رحمته راحم ، كل ما في الملكوت تحت قبضته ، فمن ينصر من دونه إذا غضب ؟ ، وكل ما فيه من رزق فهو من جوده ، فمن يملك معه شيئاً إذا سلب ؟ .

عباد الله ؛ بمعرفة الله يرتقي المرتقون ، وبالتأمل في أسرار كونه ، وشواهد حكمته ، ومظاهر قدرته ، يهتدي المهتدون ، وبالتفكّر في معاني كتابه ، ومراشد آياته ، يبصر الموقنون ، وباتّباع دينه ، واقتفاء شريعته ، ينجو السالكون ، وبابتغاء رضاه ، والتزام تقواه ، يفلح المؤمنون ، ويفوز الفائزون ، ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ .

اللهم أنت المبتدئ بالنعم وأنت الموفق للشكر عليها ، وأنت الآمر بالتقوى وأنت ميسّر السبيل إليها ، فلك الحمد على ما ابتدأت به من نعمة ، ولك الشكر على ما هديت له من تقوى ، ولك المنة على ما ارتضيت لنا من دين .

اللهم فكما مننت علينا بالإسلام ديناً ، فاملأ قلوبنا بحقائقه معرفة ويقيناً، وكما دللتنا برسولك محمّد ﷺ إلى الهدى ، وأنقذتنا بشريعته من الردى ، فعرّفنا حقه ، واجزل عنا كرامته .

اللهم ارفع له ولآله الطاهرين أسمى الدرجات في جنانك ، وابلغ بهم الغاية القصوى من رضوانك ، وآتهم من لدنك اشرف المقام ، وابلغهم عنا أفضل التحية والسلام .

اللهم صلّ وسلّم على راسم طريق النجاة ، ومبلغ دين الحياة ، اصدق العالمين قيلاً ، وأقومهم إلى الحق سبيلاً ، الصادق الأمين ، والمبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا أبي القاسم محمّد خاتم النبيين ﷺ .

اللهم صلّ وسلّم على وصيّه القائم بحجته ، وبرهانه المصدّق لدعوته ، سيّد الصدّيقين ، والصفوة من سلالة النبيين أبي الحسنين علي أمير المؤمنين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على جوهرة القدس ، والمبرأة من الرجس والمفضلّة على نساء الجن والإنس ، بضعة خير الأنبياء ، وقرينة سيّد الأوصياء ، أم الحسن والحسين سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام .

اللهم صلّ وسلّم على أمين الله وابن أمينه ، وقيّمه على ودائع دينه، سيّد من ظلم فصبر ، وأسيء إليه فغفر ، الحليم الرضي ، سيدنا أبي محمّد الحسن الزكي عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على دليل رحمتك ، والمستشهد لإعلاء كلمتك ، النور المستودع في الأصلاب الشامخة ، والأمين على البينات الراسخة ، البر التقي أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الأواه الحكيم ، والصابر الحليم ، ميزان القصاص وسفينة الخلاص ، سيّد المتهجدين ، وولي المسلمين ، أبي محمّد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على زكي المجد والحسب ، ورفيع القدر والنسب، الدليل المبين ، على العلم اليقين ، المنتجب من أكرم العناصر ، والمحبو بساميات المفاخر ، أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على مفتاح الخيرات ، ومعدن البركات ، وصاحب الحجج والدلالات ، ذي القدر السامق ، والفضل السابق ، أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على إمام الأبرار ، ومستودع الأنوار ، والمخلص لله في الإعلان والإسرار ، الصابر على الشدائد والعظائم ، أبي إبراهيم موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على النور الأزهر ، والأمان يوم الفزع الأكبر ،

القائم بحقك، والشهيد على خلقك ، عبدك المرتضى ، وسيفك المنتضى، أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الشفيع الذي تنال به الجنة ، والعلم الذي أقمت به السنة ، والهادي الذي أتممت به المنة ، نور الله في البلاد ، والمجاهد في الله حق الجهاد، أبي جعفر الثاني محمّد بن علي الجواد عليه السلام.

اللهم صلّ وسلّم على بابي الرجا ، وبدري الدجى وطودي الحجى ، المطهرين من كل زلة ، والمبرأين من كل ظلة ، الراشدين الزكيين ، أبي الحسن علي بن محمّد ، وأبي محمّد الحسن بن علي العسكريين عليهما السلام .

اللهم صلّ وسلّم على عينك الناظرة ، وآيتك القاهرة ، الإمام الظاهرة للعاقل حجته ، والثابتة في اليقين معرفته ، المحتجب عن أعين الظالمين ، والمغيب عن دولة الفاسقين ، أمين الرحمان ، وحارس القرآن ، المهدي المنتظر صاحب العصر والزمان عليه السلام.

اللهم أعد به الإسلام جديداً بعد الانطماس ، والقران غضاً بعد الاندراس ، اللهم مكن له في الأرض ، وأقم به الفرض ، وابسط به العدل ، في الطول والعرض ، اللهم واحشرنا في زمرته ، واحفظنا على طاعته ، واحرسنا بدولته ، وأتحفنا بولايته ، وانصرنا على أعدائنا بعزته.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات ، وأصلح لهم أعمالهم ، وحقق برحمتك آمالهم ، وقهم كل فتنه ، واكفهم كل محنة ، واصرف عنهم نوائب الدهر ، وخفي المكر ، انك ذو رحمة واسعة ، وفضل عميم ، وإحسان قديم .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

١٧

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

٥ – في تفسير سورة الملك

الحمد لله المنعم لا لجزاء يبتغيه على نعمه ، ولا لثناء يرتجيه من مظاهرة كرمه ، جل عن مقارضة الثناء ، ومقابضة العطاء ، وعظم عن ان يكتسب المجد اكتساباً ، أو يدرك الكمال غلاباً .

فهو الجواد شكرت نعماؤه أم كفرت ، المتفضل عرفت أياديه أم انكرت ، وهو القاهر لا يقوى بطاعة العباد سلطاناً ، ولا يحذر بعصيانهم هواناً ، ولا يخشى من تمردهم خذلاناً ، ولكنه أمر بالحمد إيفاءً بالحق ، وتبييناً للفضل ، وتعريفاً بالنعمة ، واستكمالاً للعبد ، وتأهيلاً له للمزيد ، وتمييزاً للمطيعين من العبيد .

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده ؛ وحده ؛ جل عن ان يحتوي شيئاً أو يحويه شيء ، أو يلد حيّاً أو يلده حي ، أو يكون له نديدٌ أو شبيه ، أو يوصف إلا بالإجلال والتنزيه ، وأشهد ان محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، ارتضاه سفيراً داعياً ، وابتعثه نوراً هادياً واستخلصه طبيباً شافياً ، صلى الله عليه وآله أدلّة الرشد ، وحملة ألوية الحمد .

﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ .

أيّها المؤمنون ؛ هذه الآية الكريمة تعرّف الناس انه لابد لهم في هذه الدنيا من دين .. لا بدّ لهم من سبيل إلى الغاية التي حدّدت لهم في التكوين .

وهذه حقيقة يجري عليها كل كائن ، ولا يختلف عن قانونها متحرك ولا ساكن ، فكل صغير وكبير في هذا الكون العظيم إنما يجري إلى غاية، وكل منها له سبيل معين يسلكه إلى النهاية ، هذه هي السنة العامة التي أنشأ الله الوجود عليها ، وساق الموجودات بقدرته وحكمته إليها ، والإنسان موجود من هذه الموجودات ، فلا بد له في تكوينه من غاية محددة ، ولا غناء له للوصول إلى تلك الغاية من طريق ممهّدة .

وإذا لم يكن له محيد من الدين ، ليتحقق له بإتباعه سر التكوين .

«أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ» ؟.

إن إصابة الرشد تقتضي التوفر على أمرين ، ولن يبلغ الهدف إلا بهما مجتمعين :

أوّلهما : الاهتداء إلى السبيل السويّ ، وثانيهما : اتباع ذلك السبيل بالسلوك الرضي .

الاهتداء إلى المنهج القويم الذي يسلمه من الأخطار ، ثم سلوك ذلك المنهج سلوكاً يقيه من العثار ، فإن هو لم يهتد إلى المنهج القويم فقد ضلّ ، وان عرف السبيل ولكنه لم يحسن إتباعه فقد زل ، وأضل الضلال وأعمى العمى أن يضل الأمرين ، فلا يجد السبيل ، ولا يجيد المسير ، فيمشي مع هواه مكباً على وجهه ، لا يقوم إلا ليكبو ، ولا يُقبل إلا ليُدبر ، ولا يسير إلا ليزداد حيرة ، ويتضاعف حسرة ، فلا نور يبصر به من ظلام، ولا دليل يهتدي به من عمى ، ولا منقذ يأخذ بيده من كبوة.

«أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى ، أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ» ؟ .

إن الحياة لا بدّ لها من النهج ، فأي هذين السالكين أهدى ؟ ، وأيهما بالفوز أحرى ؟ .

وهذا سؤال يوجهه القرآن إلى الإنسان ، ينبّه به فطرته الغافلة ، ويرشد بصيرته الجاهلة ، فلن تقول فطرة سليمة : إن العمى خير من الهدى ، وأحق ببلوغ المرام وأجدى ، ينبّه به فطرته فلعلّه يرعوي لحكمها ، ويجلو به بصيرته لعله ينتفع برشدها .

ويعود السياق ليذكّر الإنسان بالنعم الكبرى ، التي لن يقدّرها حق قدرها، ولن يستطيع وفاء شكرها ، نعمة إيجاده وإسعاده ، وتزويده بمؤهلات الكمال وإمداده :﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ .﴾ .

«هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ» ، أما في هذا ما يجلو الريبة ، ويثبّت الإيمان ، بوجود الإله الرحمان ؟ .

أنشأ الإنسان العاقل المفكّر ، العالم المبصر ، وأهّله للمقام الرفيع من هذا الكون ، واختصّه بالمنزلة الكبيرة بين الموجودات ، أفلا يدلّه ذلك على ان من أوجده متصف بالكمال الأعلى ، وانه أحق بشكره وأولى؟.

«أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ» .

وها هنا العجائب الكبرى التي تستوقف العلم باهتاً ، وتترك المفكر البصير صامتاً .

أنشأكم .. مم أنشأ ؟، وكيف أنشأ ؟، وفي مَ أنشأ ؟، وعلى مَ

أنشأ؟، وما هي الأدوار والأطوار التي أمر بها الإنسان حتى أنشأ ؟ .

« وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ» .ما السمع ؟، وما البصر؟، وما الفؤاد ؟، ما هي الأدوات التي بها يدرك ؟، ما جزيئاتها ؟، وما تراكيبها ؟، وكيف يحس بسببها هذا المخلوق ؟، وكيف يعلم ؟، وكيف يلتذ ؟، وكيف يألم ؟، وكيف يتصور؟، وكيف يفهم ؟ ، أعاجيب لم يحط بأكثرها خبراً ، ولم يكشف عن عامتها سراً .

ألا يغنيه تأمل هذه الحقائق الواضحة عن ان يفترض الفروض ، ويرتكب الغموض ؟ .

«قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ» ، أليست كل هذه نعماً تستوجب الشكر للمنعم ؟ ، أليست كلّها آيات شاهدةً بالموجد ؟ .

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ . ﴾ .

«ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ»: من ترابها تخلقون ، وعلى ظهرها تنشأون ومن عناصرها تغتذون ، وفي نعمها تتقلبون ، وبخزائنها وأشيائها تنتفعون .

فمن هذا الذي ذرأه وبرأه ؟، ودبّره وقدّره ؟، أفمادّة الأرض هي التي كونته -كما يقول الإنسان المتمدّن في القرن العشرين- ؟ .

فمن خلق المادة ؟، ومن سواها ؟، ومن طوّرها ؟، ومن أحياها ؟، وهل من الممكن ان يلد العدم وجوداً ، وأن يوجد الجهل علماً ، والصمت نطقاً ؟ .

ما أعمه هذا الإنسان حين يتبع هواه ، ويصدّه جهله عن مولاه ، الذي خلقه فسواه !! .

«هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» .

منه المبدأ ، واليه النهاية ، وهو مالك النشر والحشر ، وبعد الحياة حياة ، وبعد العمل جزاء ، وهو ولي كل أولئك ، ومجازي كل ناج وهالك .

فيا حبذا المتقون ، المسارعون إلى رضوان الله ، الورعون عن مساخطه ..

يا حبّذا الآخذون بحظوظهم ، القائمون بمفروضهم ، الموفون لله بعهودهم ، الشاكرون له نعمة وجودهم ..

يا حبّذا العاملون بالصالحات ، الحريصون على الطيبات ، المؤمنون بربّهم ، المتواصون بحقّه ، المؤدون أمانته إلى خلقه .

﴿بسم الله الرحمن الرحيم . وَالْعَصْرِ . إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ .﴾ .



الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله معين من عَبَدَهُ ، وموفّق من حَمِده ، فلم يعبده العابدون إلا بعونه ، ولم يحمده الحامدون إلا بهدايته ومنّه .

المتفرّد بالكمال ، المتوحد بالجلال ، الذي لا يعجزه سؤال ، ولا ينقصه نوال ، ولا تعترضه أحوال ، ولا تحدّده آجال ، المحيط بمقصد كل قائل ، العليم بسريرة كل عامل ، السميع لدعوة كل سائل :

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ .[1]﴾ .

وأشهد ان لا اله إلا الله ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ .[2]﴾ أحسن الخالقين .

وأشهد ان محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، ونذيره وسفيره ، ختم به رسالات السماء ، وزيّن به ديوان الأنبياء ، صلى الله عليه وآله مصابيح الحكمة ، ومفاتيح الرحمة .

«قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» ، ذرأ الإنسان ، وما الإنسان ؟ .

ذرّة حائمة في هذا الملكوت ، فكيف يستعصي على القدرة التي

---

١ – الشورى : ٢٥ .

٢ – غافر : ٦٤ .

دبّرت الملك ، ورفعت أفلاكه ، وأنشأت أملاكه ؟! ، وكيف يكذّب بنشأته الأخرى ، وهو يوقن بنشأته الأولى ؟! ، ان مالك المبدأ هو مالك الختام ، وإنّ وليّ الرحمة هو ولي الانتقام .

فليفكّر ، فإنّ القول فصل ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ ، وليجد فقد أوشكت النهاية أن تبين ، وان يبدو العلم اليقين ، وليأخذ حذره قبل ان يكشف الجهل ستره .﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ .﴾ .

يسألون عن ميقات النشور ، وأي جدوى في كشف هذا المستور ؟، وإنما الحكمة أن يكون علمه محجوباً ليحذر من وقوعه أهل الحذر ، وليتأهب المتقون لحلول الخطر .

﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ .﴾ .

علم يوم الساعة لله وحده ، وهو المقدر قربه أو بعده ، وإنما على النذير ان ينذر ، وعلى السامع ان يحذر ، وما معذرة العبد إذا فات الأوان وهو مسرف في الطغيان ؟ ، ما معذرته إذا أعلن النفير ، واستبان صدق النذير ؟ .

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾.

حان الوعد ، وبان الأمر ، ورأوا الهول ، فتجهمت الوجوه ، وذعرت القلوب ، وحرجت الصدور ، وانقطعت المعاذير .

«وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ» ، لقد حق ما كنتم به تكذّبون وحاق بكم ما كنتم به تستهزؤن .

وقد ورد عن أبي جعفر عليه السلام في معنى الآية: (فلما رأوا مكان

علي عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله سيئت وجوه الذي كفروا ، يعني الذين كذبوا بفضله)[١] .

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ .﴾ .

لقد أعيا على المشركين من قريش أمر الرسول صلى الله عليه وآله ، فلم يكونوا يستطيعون ان يقوموا لحجته ، ولم ترض أهواؤهم أن تصدّق بدعوته ، ولم تصرفه عن الجهر بكلمة الله قوة ولا سطوة ، ولم تنل من عزيمته معاندة ولا مكابرة ، ولا إيذاء ولا استهزاء ، فكان قصارى تفكيرهم ان يقولوا : هو ﴿شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ ، سيموت محمّد ، وتموت معه دعوته ، وتعودون لأصنامكم وأحلامكم وادعين آمنين .

والآية الكريمة تأمر الرسول ان يعرّفهم ان الأمر أعظم من ذلك وأضخم ، فليست الدعوة دعوة محمّد ، ولكنها كلمة رب محمّد ، ورب محمّد لا يفنى ولا تتحول سنته ، ولا تتزلزل دعوته .

«قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا »، فنحن عباد مربوبون لله ، منقادون لأمره ، خاضعون لقهره ، يُحيينا -إن شاء- برحمته ، ويفنينا -إذا أراد- بعزّته ، فهو القاهر على عباده .

ولكن ما يجدي ذلك لمن كفر بربه العظيم ، «فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ» ؟ .

﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ﴾ ، فلن يسلمنا لهلكة ، ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ ، فلن

---

١ - الكافي - الشيخ الكليني (قده) - ج : ١ - ص : ٤٢٥ .

يخذلنا في نازلة ، ولن يضلّنا بعد ان هدانا للإيمان به والتوكل عليه .

هذه هي الوشيجة الـتي تصـلنا بربنـا ، وتكسـبنا رضـاه ، أمـا انـتم ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ .

ستعلمون فالموعد قريب ، وستندمون فالعذاب اليم .

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ ، هذه الضـرورة العظيمـة الـتي تقتضيها حياتكم ، وتفتقر إليها مزارعكم وأنعامكم ، من الـذي يسّـرها ووفّرها لكم ، فأرسلها من السماء أمطاراً ، وفجّرها من الأرض عيونـاً وانهاراً ؟ .

﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ .﴾ .

ألا يشعر الإنسان أنه مفتقر إلى ربه في كـل صـغيرة وكـبيرة ؟ ، ألا يفيد بذلك بصيرة ، فيراقبه في كل علانيـة وسـريرة ، ويرهبـه ويخشـاه ، ويدّرع تقواه ؟ .

أيّها المؤمنون ؛ احذروا الله بقدر ما ترجونه ، واخشوه بقدر ما تحبونه، واتقوه بقدر ما تؤمّلونه ، فلا يخاف من اتقاه ، ولا يخيـب مـن رجـاه ، ولا يضل من خشيه ، ولا يخسر من أحبه ، ولا يبعد من أراد قربه .

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ .[1]﴾ .

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ .[2]﴾ .

---

١ – الأعراف : ٢٣ .

٢ – آل عمران : ١٤٧ .

اللهم فكما خصصتنا بدينك القويم ، وهديتنا صراطك المستقيم ، فاجعلنا اللهم من حملة كتابك الكريم ، وأشياع نبيك العظيم .

اللهم اجعلنا ممن اقتفى سيرته ، واتبع سنته ، والتزم عترته .

اللهم شرّف بنيانه ، وعظّم برهانه ، وأفلج حجته ، وارفع درجته .

اللهم فكما اصطفيته وآله الطاهرين من جميع برياتك ، فاصطفِ لهم أزكى الزاكيات من تحياتك ، واشرف الشرائف من صلواتك .

اللهم صلّ وسلّم على المصطفى بين البرية طفلاً ، وخيرها شاباً وكهلاً، أطهر المطهرين شيمة ، وأجود المستمطرين ديمة ، الذي أقمت به الرسالات ، وأوضحت به الدلالات ، خير من قام بأمر الله ، وسيد من وفى بعهد الله ، سيدنا أبي القاسم محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله .

اللهم صلّ وسلّم على آية الله الباهرة ، ومعجزة الله القاهرة ، يعسوب الدين ، وعصمة المتقين ، والمتصدق في صلواته بخاتمه على المسكين ، أبي الحسنين علي أمير المؤمنين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على لؤلؤة تاج الكمال ، وواسطة عقد الشرف والجلال ، أكرم العالمين أباً ، وخيرهم إذ ينسبون نسباً ، أم الأئمة النجباء سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام .

اللهم صلّ وسلّم على لساني الحكمة ، وريحانتي نبي الرحمة ، الذين لم تشرك فيهما فتن الأهواء ، ولم تدنسهما الجاهلية الجهلاء ، السيدين الزكيين ، أبي محمّد الحسن ، وأبي عبد الله الحسين عليهما السلام .

اللهم صلّ وسلّم على أمين الله وأبي أمنائه ، وخليفته وأبي خلفائه، مصباح المهتدين ، وخازن علوم الدين ، أبي محمّد علي زين العابدين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الإمام الرشيد ، والقصر المشيد ، كاشف الكُرَب ، ورفيع الرتب ، الفلك الدائر ، بالفضائل والمآثر ، أبي جعفر الأول محمّد بن علي الباقر عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الكتاب المبين ، والحق المستبين ، وزعيم الصالحين ، أمين الله على الحقائق ، وشهيده على الخلائق ، أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على سيّد البرية ، والموفي لله بحقوق العبودية ، مطعم الطعام على حبه ، والصابر على الأذى في جنبه ، الإمام العالم ، أبي إبراهيم موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الصادق الذي أوجب الله الكون معه ، والهادي الذي فاز من اتبعه ، نور الهدى ، ومنقذ العباد من الردى ، أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الموفي بعهد الله وذمته ، والخازن لأسرار حكمته ، بركة الله في البلاد ، وأمانة الله في رقاب العباد ، أبي جعفر الثاني محمّد بن علي الجواد عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الوصيين اللذين لم يعثرا في مشكل ، ولم يهفوا في معضل ، الدليلين اللذين أقام الله بهما الحجة ، وسد بهما الفرجة ، إمامي كل عدوّ وولي ، أبي الحسن علي بن محمّد ، وأبي محمّد الحسن بن علي عليهما السلام .

اللهم صلّ وسلّم على حافظ أسرار رب العالمين ، وبقيته من الصفوة المنتجبين ، فاتق كل رتق ، وموضح كل حق ، الشافع الذي لا ينازع ، والولي الذي لا يدافع ، بهجة الزمن ، ومحيي الفروض والسنن،

أبي القاسم الحجة المنتظر محمّد بن الحسن عليه السلام .

اللهم أظهر كلمته ، وأعل دعوته ، وأتم نوره ، وعجل ظهوره ، وأعزز به أولياءك ، واكبت بسيفه أعداءك ، اللهم بلغه آماله في خاصته وعامته ، واجعلنا من أهل طاعته .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، واشف غيظ صدورهم ، واجمع منتشر أمورهم ، وأصلح فاسدهم ، وانصر مجاهدهم ، ولقهم خير الدنيا، وارزقهم رضوانك في الأخرى ، انك ذو رحمة واسعة وفضل عميم .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ .﴾ .

۞ ۞ ۞

قبسات

من سورة الواقعة

١٨

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – في ظلال سورة الواقعة

الحمد لله الذي عَرَفته الكائنات باضطرارها إليه ، ووحّدته بقيامها به، وألّهته بدلالتها عليه ، وتعبّدت له بانقيادها لأمره ، وخضوعها لتدبيره ، لا تعصيه في حركة ولا سكون ، ولا يعترضها في طاعته إبطاء ولا حرون ، ولا تتعرض لمقته ، ولا تأمن بطشه ، ولا تقوم لغضبه .

له أزلية الوجود ، وسرمدية البقاء ، وأحديّة الذات ، وعينيّة الصفات ، برأ الأشياء فكيف لا يعلم حقائقها ؟ ، وأوجد المركبات فيكف لا يحصي دقائقها ؟ ، وحدّد الأمور فكيف لا يحيط بآجالها ؟ ، وأنشأها بعد العدم فكيف لا يجلّ عن أمثالها ؟ .

وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الأحد الذي تستحيل تثنيته ، الفرد الذي يمتنع تشبيهه ، المقتدر الذي لا تردّ مشيئته ، وأشهد أنّ محمّداً ﷺ عبده وحبيبه ، ورسوله ونجيبه ، صلى الله عليه وآله المخصوصين بالكرامة ، المنتجبين للإمامة .

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ . لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ . خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ .﴾ .

هذه السورة الكريمة من أهم السّور التي تُعنى بأمر العقيدة ، وإقامة

البراهين الواضحة عليها ، ودفع الشبهات الموجهة إليها .

وقد روي عن النبي ﷺ قال : (من قرأ سورة الواقعة كتب ليس من الغافلين) [١] .

وعنه ﷺ : (من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً) [٢] .

وورد عن الإمام أبي جعفر عليه السلام : (من قرأ سورة الواقعة قبل أن ينام لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر) [٣] .

وعن أبي عبد الله عليه السلام : (من قرأ الواقعة في كل ليلة جمعة أحبه الله وحببه إلى الناس أجمعين ، ولم ير في الدنيا بؤساً أبداً ، ولا فقراً ، ولا آفة من آفات الدنيا ، وكان من رفقاء أمير المؤمنين عليه السلام) [٤] .

والواقعة اسم من أسماء القيامة ، ولهذا اليوم العظيم أسماء كثيرة ذكرت في التنزيل ، تدل على شدة الكرب والأهاويل .

فمن أسمائه في الكتاب ، يوم الآزفة ، ويوم ترجف الراجفة ، ويوم الفصل ، ويوم تكون السماء كالمهل ، والواقعة ، والقارعة ، والغاشية ، والحاقة ، والصّاخة ، والطامة ، فليحذرها المؤمن جهده ، وليعدّ لها أكمل عدة ، وليقدم لها أحسن زاد ، وأتم بلغة .

عباد الله ؛ إنّ خير الزاد لهذا اليوم هو زاد التقوى ، وإن أقوى العدد التي تعصم من أهواله هي خشية الله ، فاتقوا الله تأمنوا رواجفه ، وخافوا الله تكفوا مخاوفه .

---

١ – مستدرك الوسائل – الميرزا النوري – ج : ٤ – ص : ٣٥١ .

٢ – مستدرك الوسائل – الميرزا النوري – ج : ٤ – ص : ٢٠٤ .

٣ – وسائل الشيعة – الحر العاملي – ج : ٦ – ص : ١١٣ .

٤ – وسائل الشيعة – الحر العاملي – ج : ٦ – ص : ١١٢ .

إن الله ضمن لكم بتقواه غفران ذنوبكم ، وتأذّن بنجاح مطلوبكم ، فهلمّوا -رحمكم الله- إلى الأبواب التي فتحها ، وإلى السبل التي يسّرها وأوضحها .

عباد الله ؛ ما بعد فرصتكم هذه من فرصة للعمل ، وما بعد وسيلتكم هذه من وسيلة للأمان ، وما بعد أيامكم هذه المنصرمة إلا نعيم مقيم ، أو عذاب اليم ، فماذا تأملون وما تنتظرون ؟ .

«إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ، لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ، خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ» .

ما أفضعه حديثاً ! ، وما أهوله حادثاً ! ، يصك المسامع ، ويجري المدامع ، يقفّ الشّعر لذكره ، ويبرق البصر لهوله ، إيجاز يكفي عن الإطناب ، وإجمال يغني عن التطويل .

«وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ» ، ووقعتها حق ليست كاذبة .

وهي -إذا وقعت- «خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ» ، تخفض أقواماً كانوا عند أهل الدنيا في منزلة عالية ، وترفع أناساً كانوا لديهم في مرتبة دانية ، فيكشف الستار وتتبين الأقدار ، وإذا برفيع المنزلة ينخفض إلى أسفل درك ، وإذا بداني القدر يرتفع إلى أسمى درجة ، وإذا بالحقائق تنكشف عن نتائج ليست في موازين أهل الدنيا .

إذا زجرت الزجرة ، وأعلنت الكرّة ، وحل يوم الحسرة ، وماذا بعد وقوع الواقعة ، ونزول القارعة ؟ .

إنّ السياق الكريم يحذف الجواب فلا يذكره ، ووقوع الواقعة ثم وصفها بأنها «خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ» يغني عن أي جواب ، فهو يوم الفوز والخسران : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾[1] .

---

١ - الرحمن : ٣٩ .

وإذا كان يوم الجزاء لا يبتدئ إلا بالهول والمحنة ، فإن النتائج لابد وان تكون أشد هولاً ، وأعظم محنة .

﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجّاً . وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً . فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثّاً . وَكُنْتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاثَةً .﴾ .

هكذا تقع الواقعة ، وتحين الفاجعة ، يبتدئ الهول بالأرض الصلبة فيرجّها رجة تزلزل أقطارها ، ويدكدك سهولها وأوعارها ، ويفجر عيونها وبحارها ، وبالجبال الراسية فيبسّها بسّاً ، وينسفها نسفاً ، ويجعلها (هَبَاءً مُنْبَثّاً) ، غباراً متطايراً ، لا تلاقي ما بين جزيئاته ، ولا اتصال ما بين ذراته .

وفي سورة الحاقة يقول -عزّ اسمه- :﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ . وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً . فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ . وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ .[1]﴾ .

رجت الأرض فبدلت أوضاعها ، وبست الجبال فنسفت قلاعها ، وانكدرت النجوم فانطفأ إشعاعها ، ونشرت الأموات وأعلن اجتماعها، وتجلّى ربّ الناس بهيبته ، وتولّى حسابهم بعظمته ، وساق كلاّ لقبيله ، والحق كلاّ برعيله .

﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاثَةً . فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ . وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ . وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ، فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ .﴾ .

---

١ - الحاقة : ١٣ - ١٦ .

أصناف ثلاثة صنفتهم أعمالهم التي قدّموها في دار الدنيا ، فاقتسموا المنازل ، واستوجبوا الجزاء عليها في الأخرى ، أصحاب ميمنة ، وأصحاب مشأمة ، وسابقون مقرّبون .

قوم أوتوا كتابهم باليمين ، فكان ذلك يمناً عليهم وبركة ، فهم «أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» .

وأناس أوتوا كتابهم بالشمال ، أو من وراء الظهر ، فكان ذلك شؤماً عليهم وبؤساً ، فهم «أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ» .

وفائزون سبقوا في كل المضامير ، فلم يوقفوا لعرض ، ولم يحضروا لحساب ، فهم السابقون المقربون «فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ» .

فالعمل ، العمل -عباد الله- ؛ والسعي ، السعي .

﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [1]﴾ .

جعلنا الله وإياكم من السابقين إلى رضاه ، المدرعين تقواه ، المتوكلين عليه ، الراغبين فيما لديه ، وأعاننا وإياكم على تقويم أنفسنا باتّباع أمره ، والتدبر في محكم ذكره .

﴿بسم الله الرحمن الرحيم . إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا . وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا . وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا . يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا . بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا . يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ . فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ .﴾ .

---

١ - الحديد : ٢١ .

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

فضل صلاة الجمعة

الحمد لله الذي أحاط فلم تخف عليه خافية ، ولم يغب عنه سر ولا علانية ، ظهر فلم تشك فيه البصائر ، وخفي فلم تدركه الأبصار ، وبطن فعلم ما توسوس به النفس ، وبَعُد فلم تنله الأوهام ، ودنا فكان أقرب من حبل الوريد ، لم يوار منه شيء شيئاً ، ولم يحجب عنه كون كوناً ، ولم يكشف له وجود وجوداً ، ولم يقرّب من كائن كائناً ، ولم يشغله شأن عن شأن ، أجرى كل شيء وفق حكمته ، وأناطه بعلّته ، ووقّته بأمده : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ .[1]﴾ .

أحمده بصنوف المحامد التي يرضاها ، وأثني عليه بضروب الثناء التي يحبّها، واسأله صدق الإيمان ، وصدق اللسان ، وصدق العمل .

وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، المتفرد بالكمال الأعلى ، ومستوجب الحمد في الآخرة والأولى ، وأشهد أنّ محمّداً ﷺ عبده رسوله ، الذي عظّم أخلاقه ، وطهّر أعراقه ، وأخذ على النبيين ميثاقه ، صلى الله عليه وآله أئمة الأنام ، وحملة لواء الإسلام .

عباد الله ؛ إن منابر الجمعة من أهم وسائل الإسلام لتربية أبنائه ، وتقويم أخلاقهم ، وترويض طباعهم ، وتزويدهم بالمعارف الصحيحة ،

---

١ – الحجر : ٢١ .

وهدايتهم إلى الجادة القويمة ، ودلالتهم على سبل السعادة ، في الحياة الدنيا والحياة الأخرى ، وإرشادهم إلى الوجوه الصحيحة لحل مشكلاتهم ، وتعزيز صِلاتهم .

ومن اجل هذه الغاية الكبيرة أوجب الله الخطبتين في صلاة الجمعة، يوضح الإمام فيها للناس جانباً من معارف الإسلام ، ويشرح بعض حقائقه ، ويحثهم على التمسك بها ، والحفاظ على العمل بموجبها ، وأوجب -سبحانه- على الأمة السعي إليها ، والإصغاء لها ، ولم يرخص لأحد في تركها إذا اجتمعت شرائطها ، إلا لذوي الأعذار ، وضاعف المثوبة على حضورها ، وشدّد العقوبة والنكير على التقصير بها .

ومن أجل عظيم شأن الخطبتين جعلهما بدل ركعتين ، فلا بد للحاضر من الإصغاء لهما ، والجد الكامل للانتفاع بهما ، ولا معذرة له في أن يتشاغل أو يتساهل ، فانه إذا تشاغل عنهما ، أو تساهل في أمرهما، أو أخذه نوم أو سنة ، فاتته فائدة صلاة الجمعة ، وحرم من غايتها العظيمة ، التي شرعت من أجلها ، وأصبح عمله قشراً لا لباب فيه ، بل وفاته كثير من ثوابها ، كما فاته المهم من آدابها ، غير أنّ جمعته صحيحة مجزية ، تسقط عنه الفرض ، ويعود من الصفقة بالبعض .

فاجهدوا -رحمكم الله- أنّ لا تفوتكم الغاية ، وقد سعيتم إليها ، وان لا تحرموا من الدرجات الرفيعة وقد توجهتم لها ، استمعوا معارف الإسلام حين تتلى عليكم ، وانتفعوا بمناهجه حين تذكر لكم ، ولا يفتكم شيء منها ، ثم تذكّروها في خلواتكم ، وهذّبوا بها نفوسكم، واستقيموا عليها في حياتكم.

عباد الله ؛ إن الله قد ناداكم فلبيتم نداءه ، وأمركم بالسعي إلى ذكر الله فامتثلتم أمره ، فاحرصوا أنّ لا يفوتكم الغرض الأسمى من هذا

التشريع ، خذوا نصيبكم من هذه النعم الموفّورة ، وادخلوا من أبواب هذه الرحمة الميسّرة .

اتقوا الله ؛ فتقوى الله هي الحصن الذي يعصمكم من النوازل ، والملاذ الذي يحلّ لكم جميع المشاكل ، والباب الذي يؤدي بكم إلى أرفع المنازل .

اتقوا الله ؛ فبتقوى الله فاز الفائزون من قبلكم ، وبها ينجح الناجحون من بعدكم ، لا سبيل إلى النجاة سواها ، ولا باب إلى الفوز عداها . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ .[1]﴾ .

يا من إذا سأله عبد أعطاه ، وإذا أمّل ما عنده بلغه مناه ، وإذا أقبل عليه قرّبه وأدناه ، وإذا جاهره بالعصيان ستر عليه ذنبه وغطّاه ، وإذا توكل عليه أحسبه وكفاه .

إلهي من الذي نزل بك ملتمسا قراك فما قريته ؟ ، ومن الذي أناخ ببابك مرتجياً نَداك فما أوليته ؟ ، أيحسن أن أرجع عن بابك بالخيبة مصروفاً ، ولست أعرف سواك مولىً بالإحسان موصوفاً ؟ ، كيف أرجو غيرك والخير كله بيدك ؟ ، وكيف أؤمل سواك والخلق والأمر لك ؟ .

الهي فاقبل وسيلتي ، وارحم بلطفك قلة حيلتي ، أنلني من توفيقك ما يسددني ، وأمدني من عفوك بما يخلصني .

اللهم يا من لا يخفى عليه إغماض الجفون ، ولا لحظ العيون ، ولا ما استقر في المكنون ، نسألك أنّ تصلي على خيرتك من بريتك كما هو أهله ، وعلى الطيبين من عترته ، ووديعته في أمته .

---

١ – الحديد : ٢٨ .

١٩

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

٢ – في سورة الواقعة

الحمد لله الذي خلق الإنسان ، علّمه البيان ، ألهمه خاصة النطق ، وميّزه بها على سائر الخلق .

أعدّ له لذلك جهازاً عجيباً ، ركبّه بقدرته تركيباً غريباً ، شفتين ولساناً، وفكاً وأسناناً ، ورئتين وشعباً ، وحنجرة وقصباً ، طوّعها لإرادته ، وهيأها لحاجته ، وألهمه كيف يخرج الهواء من رئته على قدر ، ويمرّ به من الشعب والقصبة الهوائية لقضاء الوطر ، ويطلق حنجرته لتعمل في أعمالها ، وتحكّم لتكييفه حبالها ، وينطلق الهواء صوتاً عالياً أو خافتاً كما يريد ، ويحكم فيه مشيئته من إرسال أو تقييد ، ثم يشكل الصوت بشفتيه ولسانه ، وفكه ولسانه فيقيمه حروفاً لها أجراسها ، ويركب الأحرف ألفاظاً لها قياسها .

وعرّفه كيف يدلّ باللفظ على معناه ، وكيف يؤلف من الألفاظ عبارة تدلّ على مقصده ، أسرار مستورة ، وأياد مشكورة ، ونعم موفورة ، لا تحصى بعدّ ، ولا توفّى بحمد .

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، دلّ كل شيء عليه ،

وقام كلّ شيء به ، وهلك كل شيء إلا وجهه ، وأشهد أنّ محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، أرسله باباً لرحمته ، ومتماً لنعمته ، صلى الله عليه وآله الهداة المهديين ، والقادة المرضيين .

﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ، وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ، فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ .

هذا هو القدر الذي تذكره السورة الكريمة في وصف يوم الحشر ، فهي لا تفصّل عرضاً ولا موقفاً ، ولا تذكر موازين ولا صحفاً ، ولكنها تذكر هذه الأهوال التي تغيّر أنظمة الكون ، وتبدّل أوضاع الأرض ، فتزلزل زلزالها ، وتدكدك جبالها ، وتخرج أثقالها .

ثم تمر السورة إلى ذكر النتائج ، وتبين العواقب ، وتكتفي بذلك عن أي تفصيل للعرض والسؤال ، ونصب الموازين للأعمال .

﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ ، والأزواج هنا هي الأصناف ، أي كنتم أصنافاً ثلاثة .

هكذا تعلن النتائج إعلاناً ، ويصنّف العباد أصنافاً ، فاوتت ما بينهم أعمالهم التي قدموها ، وساقتهم إلى النهايات التي استوجبوها .

فريق غلبت حسناته على سيئاته فرجح ميزانه ، وابيضّ ديوانه ، فهؤلاء هم أصحاب اليمين .

وفريق رجحت سيئاته على حسناته ، فهوت كفته ، واسودت صحيفته، وهم أصحاب الشمال .

وفريق ثالث سما في إنسانيته فلم تصبه سقطة ، ولم تهو به حِطّة ، ففاز بالرهان ، ونجح في الامتحان ، وهؤلاء هم السابقون .

﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ ، تصفهم الآية بهذا الوصف

تيمناً لهم بالعاقبة الحميدة ، والحياة السعيدة ، ثم تقرن ذلك باستفهام يدل على التعجيب والتعظيم ، يعجّب الناس من أمرهم ، ويحثهم على اتباع خطوهم .

«فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ، مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» ؟ .

﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ، مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ .﴾ ، وهكذا تذكر الآية هؤلاء هذا الوصف تشاؤماً عليهم بما يستوجبونه من خزي عظيم ، وما ينالونه من شقاء وعذاب أليم ، ثم تقرنه بهذا الاستفهام ، تعجّب الناس به من شأنهم، وتحذرهم من عملهم .

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ .﴾ .

والوصف الذي عرّفتهم به الآية الكريمة وحده ، ثم تكراره فيها ، يكفي في الإشارة إلى علوّ قدرهم ، وعظم خطرهم ، ورفيع رتبتهم .

إنهم السابقون في كل مضمار من مضامير الخير ، المجلّون في كل حلبة من حلبات الصلاح ، فلا بد وأنهم هم الأعلون في الدرجة ، الأرفعون في المنزلة ، الأسمون في الغاية .

«أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» ، هذا هو النعيم الأكبر الذي استوجبوه بسبقهم، والسعادة العظمى التي استحقوها بسعيهم .

النعيم الأكبر الذي لا يوازنه نعيم ، والمقام الأسمى الذي لا يساويه مقام ، نعيم القرب من الله ، وان العبد ليجد في القرب من الله من السعادة ما لا يجده في الجنان ، وما تشتمل عليه من لذائذ ، وما تحويه من متاع ، وما تتصف به من خلود .

﴿أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ، فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ، فهم يجمعون بين السعادتين ، ويفوزون بكلتا المنزلتين .

وجنات النعيم متفاوتة المنازل ، متباعدة المراتب ، والمقربون في أعلاها منزلة ، وأرفعها مرتبة ، وأسناها مقاماً .

فمن هم السابقون ، الذين يستوجبون هذه الكرامة ، ويحتلون هذه المقامة ؟ .

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ، وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ .﴾ .

إنهم جماعة مصطفون يتألفون من ثُلَّةٍ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ، وَقَلِيلٍ مِّنَ الْآخِرِينَ ، هم أهل الدرجة الأولى من أتباع الإيمان ، وأنصار الحق ودعاته ، وحملة لوائه، الذين لم تتزلزل لهم قدم في نصرة الله ، ولم يتضعضع لهم ركن ، ولم تضعف لهم بصيرة .

ثلّة ، أي جماعة من الأولين ، وقليل من الآخرين .

﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ، مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ .﴾ .

هذا بعض النعيم المعدّ لهم في جنات النعيم ، فهم على سرر موضونة ، محكمة النسج ، مصنوعة من أثمن المعادن ، وأنفس الأحجار، متكئون متقابلون ، تحدق بهم مباهج الحياة الهنية ، ومتع العيشة الرضية ، مما تدركه حواس أهل الدنيا وما لا تدركه، وما تبلغه معارفهم وما لا تبلغه ، ومما خطر على قلوبهم وما لم يخطر ، متكئون متقابلون ، جلسة الأحباب المنعّمين المطمئنين .

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ، بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ، لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ، وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ، وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ، وَحُورٌ عِينٌ ، كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ .﴾ .

خدمهم ولدان مخلدون ، وأزواجهم حُورٌ عِينٌ ، كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ، وطعامهم فَاكِهَةٌ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ، وَلَحْمُ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ، وشرابهم مِنْ مَعِينٍ، من خمر لذة للشاربين ، لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنْزِفُونَ ، إنها السعادة التي لا تقاس بحدود ، والنعيم الكامل المقترن بالخلود .

يطوف عليهم -وهم على سررهم الموضونة- ولدان مخلّدون ، لا ينال منهم زمن ، ولا تغيّر من جمالهم أحداث .

«يَطُوفُ عَلَيْهِمْ» «بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ ، وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ» ، من خمر صافية لا غصص فيها ، ولا رنق ، ولا ألم ، ولا كدر .

«لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنْزِفُونَ ، وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ، وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ» ، فكل شيء تحت اختيارهم ، وكل أمنية طوع إرادتهم ، لا يُصدّون عن طلبة ، ولا يحجبون عن رغبة .

«وَحُورٌ عِينٌ ، كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ» ، كأمثال اللؤلؤ المخزون في صدفه ، المصون في منابته ، لم تمسسه أيدٍ ، ولم تصبه أعين .

﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . ﴾ .

هذا جزاء سبقهم ، ووفاء حقهم ، هناءً غير محدود ، وعطاءً غير ممنوع ولا منكود ، وتكريماً غير مقطوع ولا مصدود .

فاتقوا الله -أيّها المؤمنون-؛ وانظروا لأنفسكم ، واعملوا لعاقبتكم، إنّ عواقبكم منوطة بأعمالكم ، وكل سعي تسعونه فستجدون مغبته ، وتوفّون جزاءه :

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ

بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً ، وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ .[1]﴾ .

بادروا -رحمكم الله- قبل انتهاء الأمد ، واعذروا من قبل أنّ لا تعذروا ، واعملوا من قبل أنّ لا تقدروا ، وانتفعوا بموعظة الله العظيم ، في كتابه الكريم:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم . وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ .﴾ .



١ - آل عمران : ٣٠ .

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

نعيم الجنة

الحمد لله الذي كرم بني آدم ، وحملهم في البر والبحر ، ورزقهم من الطيبات ، وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلاً .

كرّم هذا المخلوق ، فسخر له الأفلاك الدائرة ، والنجوم السائرة ، وخلق له ما في الأرض جميعاً ، وأحلّه بين موجوداتها مقاماً رفيعاً ، وفضّله على كثير ممن خلق ، فمنحه لساناً معبراً ، وعقلاً مفكراً ، واختياراً مدبراً ، وقلباً حافظاً وذكاءً ، ومواهب جمة تقوّم شخصيته ، وتدعم إنسانيته .

ثم زاده تكريماً وتفضيلاً ، فجعل له دينه ، وشرع له شريعته ، ليبلغ به الغاية القصوى ، ويتسربل سربال التقوى ، ويجمع سعادة الدنيا والأخرى ، فهو المحمود على ما ابتدأ به من نعم ، وما عاد به من كرم ، وعلى ما أحسنه من تقويم ، وما ضاعفه من تكريم .

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، ﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ، الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ، ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ .[1]﴾ .

---

١ – السجدة : ٦ – ٩ .

وأشهد أنّ محمّداً ﷺ عبده وسيد رسله ، الداعي إلى أقوم سبله ، صلى الله عليه وآله مصابيح الظلام ، وقادة السلام .

أيّها المؤمنون ؛ ويستمر الحديث في سورة الواقعة الكريمة في وصف الدرجات التي ينالها السابقون المقربون في جنات النعيم ، والمنازل الكريمة التي يحلّونها ، والسعادة المضاعفة التي يسعدونها ، والمناعم الكاملة التي ينعمونها ، جزاءً بما كانوا يعملون ، ومكافأة على ما كانوا يكسبون .

والمناعم والمباهج في جنات النعيم كاملة ، لأن الجنة دار الكمال ، ولا تقاس بها ملاذ الدنيا ومبهجاتها ، لأن الدنيا دار النقص والزوال ، فكل ما فيها ناقص محدود ، لا يقاس بنعيم دار الخلود .

ونعيم الجنة يختلف باختلاف درجاتها ، ويتفاوت بتفاوت طبقاتها ، والسابقون المقربون يفوزون بأوفرها نصيباً من اللذة ، وأعظمها كمالاً في المتعة .

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً ، إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً .﴾ ، وهذا جانب آخر من السعادة التي يرونها ، والحياة الطيبة التي يحيونها .

إنهم في دار خالية من الصخب والشغب ، نقية من الحقد والغلّ ، فكل ما فيها حب ووئام ، وكل محتوياتها سعادة وسلام ، فلا هموم ولا غموم ، ولا حزن ولا كدر ، ولا ما ينقص السكينة ، أو ينغّص الطمأنينة ، أو يشوب الحياة الأمينة .

«لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً ، إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً» ، فهم في راحة كاملة ، وبهجة شاملة ، وسلام يعمّ الآفاق ، ويغمر الحياة كلها على الإطلاق ، فهي دار السلام التي وعدهم ربهم ، وهم أهل السلام

الذي صفّاهم من الحقد، ونقاهم من الغش :

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ .[1]﴾ .

فاتقوا الله -أيّها المؤمنون-؛ وارغبوا في الدرجات التي أعدّها ، والغرفات التي مهّدها .

راقبوا الله ، وكونوا شهداءه على أنفسكم قبل أن تكونوا شهداء له على غيركم .

راقبوا الله في السر والجهر ، وفي الحركة والسكون ، فانه يقول :

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ، أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ .[2]﴾ .

ويقول : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ .[3]﴾ .

اتقوا الله ؛ فبتقوى الله تصيبون رشدكم ، وتدركون قصدكم ، وبتقوى الله تسلكون أقوم المناهج ، وترتقون أسمى المعارج .

ضعوا للأهواء حداً قبل أنّ تغلبكم على نفوسكم ، وقبل أن تضلكم عن سبيلكم ، وقبل أن توصد الأبواب التي فتحها الله لنجاتكم.

الحذار ؛ الحذار ؛ فإن المنطلق لا يأمن العثار .

عودوا إلى الله أيّها المبتعدون عنه ، المولعون بارتكاب مساخطه ،

---

١ - الحجر : ٤٧ .

٢ - الملك : ١٣ - ١٤ .

٣ - ق : ١٦ .

عودوا إلى الله فانه يقبل العائد ويقيل العاثر :

﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ، إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .[1]﴾ .

﴿إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ .[2]﴾ .

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ .[3]﴾ .

﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ، رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ .[4]﴾ .

اللهم صلِّ على محمّد عبدك ورسولك ونبيك ، بما انتجبته له من رسالتك وأكرمته به من نبوتك ، ولا تحرمنا النظر إلى وجهه ، والكون معه في دارك ومستقر جوارك .

اللهم كما أرسلته فبلّغ ، وحمّلته فأدّى ، حتى اظهر سلطانك ، وآمن بك لا شريك لك ، فضاعف –اللهم- ثوابه ، وكرّمه بقربه منك كرامة يفضل بها على جميع المخلوقين ، وصل عليه وعلى آله المطهرين، صلاة تبقى إلى يوم الدين .

---

١ – هود : ٣ – ٤ .
٢ – آل عمران : ١٦ .
٣ – آل عمران : ١٩٢ .
٤ – آل عمران : ١٩٤ .

اللهم صلِّ وسلّم على خير الخيرة ، وخازن المغفرة ، سيد الأنبياء البررة ، الذي غمسته في بحر الفضيلة ، وحبوته بالمنزلة الجليلة ، أكرم الدعاة إلى الله ، وسيد القوامين بأمر الله ، سيدنا أبي القاسم محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله .

اللهم صلِّ وسلّم على وليد الكعبة ، وعلي الرتبة ، قالع الباب ، وهازم الأحزاب ، ومحيي الليل البهيم بالتهجد والاكتئاب ، سهم الله الصائب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

اللهم صلِّ سلم على المعصومة الطاهرة ، والمظلومة الصابرة ، قرينة الأوصياء في العصمة ، ووارثة الأنبياء في العلم والحكمة ، بضعة الرسول ، سيدتنا أم الأئمة فاطمة البتول عليها السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على سيدي الشهدا ، والإمامين بأمر الله قاما أو قعدا ، معدني الجود ، وكريمي الآباء والجدود ، الطاهرين المطهرين ، أبي محمّد الحسن وأبي عبد الله الحسين عليهما السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على نور العارفين ، وقرة أعين الناظرين ، والمحجوب من خوف الظالمين ، إمام الهدى ومقرّ الندى ، أبي محمّد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على البرهان المنير ، وأمان الله لكل خائف مستجير ، النور الظاهر ، ودليل النجاة في اليوم الآخر أبي جعفر الأول محمّد بن علي الباقر عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على أمين الله في البرية ، وحكمه العادل في كل قضية ، زاكي الزكاة ، وشفيع العصاة ، إمام المغارب والمشارق ، أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على الأمين المؤتمن ، والناصح لله في السر والعلن ، ترجمان الوحي ، والمستحفظ من الله على الأمر والنهي ، باب المكارم أبي إبراهيم موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على ذي القدر الوجيه ، والنازح عن تربة جده وأبيه ، ثامن الأنوار ، وخازن الأسرار ، باب الرضا ، أبي الحس الثاني علي بن موسى الرضا عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على معدن الوفاء ، وفرع الأزكياء ، ينبوع الحِكَم، والنور الذي تخرق به الظلَم ، قائد العباد إلى منهج الرشاد ، أبي جعفر الثاني محمّد بن علي الجواد عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على هاديي الأمة ، وكاشفي الغمة ، المبرّأين من العيوب ، والمؤتمنين على السر المحجوب ، الزاهدين التقيين ، والرضيين الزكيين ، أبي الحسن علي بن محمّد ، وأبي محمّد الحسن بن علي العسكريين عليهما السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على مجلي الظلمة ، والصادع بالحكمة ، كاشف البلوى ، وجامع الكلم على التقوى ، المعدّ لأوتار الأنبياء ، والمرتجى لكرامة الأولياء ، نصر الله المدّخر ، وعدل الله المشتهر ، أبي القاسم محمّد بن الحسن المنتظر عليه السلام .

اللهم عجل ظهوره ، وأتم نوره ، وأزل به الجور ، وأذل به الجبارين، اللهم أظهر به الحق ، وأقر به أعين الخلق ، واجمع به منتشر أمر الدين ، وأحي به قلوب المؤمنين .

اللهم انصرهم به نصراً عزيزاً ، وافتح لهم به فتحاً قريباً ، واجعل لهم من لدنك سلطاناً نصيراً .

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.[1]﴾ .

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ.[2]﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.﴾ .

۞ ۞ ۞

---

١ - آل عمران : ١٤٧ .

٢ - الحشر : ١٠ .

٢٠

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

٣ – في سورة الواقعة

الحمد لله الذي شخصت الأبصار إليه بالآمال ، وخشعت الألسن لعظمته بالسؤال ، وامتدت الأيدي بالضراعة والابتهال ، وأمّته الأشياء بمقاصدها ، من أحيائها وجوامدها ، تنزل به فقرها ، وتستكشف به ضرّها ، فلم تعيه الطلبات ، ولم تغلّطه الحاجات ، ولم تلتبس عليه اللغات، ولم تشتبه عليه الأصوات ، فهو قبلة كل قاصد ، وحصن كل خائف ، وبُلغة كل آمل ، وغياث كل سائل ، يجيب المضطر ، ويكشف الضر ، وينجح السؤل ، ويبلّغ الأمل ، ويكفي من كل شيء ، ويفرّج كل شدة ، ويقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات ، ويعلم ما تفعلون .

وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ، خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ[1]﴾ .

وأشهد أنّ محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، خير من نصح لعباده ،

---

١ – الزمر : ٤ – ٥ .

وجاهد فيه حق جهاده ، صلى الله عليه وآله الكواكب المنيرة بالهدى ، المشعة بالتقوى .

أيّها المؤمنون ؛ وينتقل الحديث في السورة المباركة إلى الصنف الثاني من الناس ، وتفصيل حالهم ، وذكر منزلتهم وما لهم .

والصنف الثاني هم أصحاب اليمين .. هم الذين ثقلت موازينهم ، ورجحت حسناتهم ، فأوتوا كتبهم باليمين ، ثم سيقوا إلى الجنة التي أزلفت للمتقين ، ولكنهم -في المنزلة والكرامة- دون السّابقين المقربين .

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۔﴾ .

ويبتدأ الحديث عنهم بهذا السؤال -كما صنع في أول السورة- تعظيماً لأمرهم ، وإشادة بذكرهم ، وحضاً للعباد على القدوة بهم ، والفوز بمأربهم .

﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ، وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ، وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ، وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾ .

والحديث في الآيات الكريمة على ما يألفه المسلمون يوم نزولها عليهم ، فهم يرون النعيم في الشجر الحسن المنظر الطيب الثمر ، وفي الظل الممدود والماء المسكوب ، وفي بعض الأحاديث نظر المسلمون إلى وج ، وهو وادٍ مخصب في الطائف فأعجبهم سدره ، وقالوا يا ليت لنا مثل هذا فنزلت الآية الكريمة تعدهم بما يتمنون .

والسدر والطلح معروفان عندهم ، ولكن الآيات تعدهم بنوع جديد ، فالسدر مخضود لا شوك فيه ، والطلح منضود فلا عنت في اقتطاف ثمره ، ولا نقص في حسن منظره ، والمنضود الذي نضد ثمره بعضه على بعض فهو مذلل القطوف ، مضاعف البهجة .

﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ، وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ، وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ، وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾ .

في جنان ملتفّة الشجر ، طيبة الثمر ، نقية من الكدر ، وارفة الظلال مذلّلة القطوف ، موفورة الهناء ، مطـرّدة الأنهـار ، وفاكهـةٍ كـثيرة ، لا مقطوعة ولا ممنوعة .

فاكهة كثيرة الوجود ، كثيرة الأنواع ، مما لم يعرفه أهـل الـدنيا ، ولم يخطر على قلب بشر ، وهي غير مقطوعة عنهم أبدا ، ولا ممنوعـة ، فـلا تختص بوقت دون وقت ، ولا تتهيأ بمكـان دون مكـان ، وهـي ميسـورة الحصول ، متجددة اللّذة ، متنوعة الطّعم ، فلا ملل ولا سأم ، ولا حذر ولا ألم ، لا مقطوعة عنهم في حال ، ولا ممنوعة عليهم في مجال .

﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ ، عالية الأمكنة ، عالية الكرامة .

وفي هذه الفرش المرفوعة ما يناسب رفعتها مـن الأزواج المطهّـرة ، من الحور العين ، أو من نسائهم في الدنيا اللّاتي استوجبن دار المتقين .

﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً . فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ ، لم يمسسهن احد .

﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ ، والعَروب من النساء: المتحببة إلى زوجهـا ، المتحننـة عليه، والأتراب : اللدات المتقاربة في السن .

﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ ، أنشأنا هذه الأزواج لهـم إنشـاء ، فهـم في غبطـة دائمة ، ونعمة خالدة ، جزاءً لهم على عملهم ، وإثابة لهم على سعيهم .

وأصحاب اليمين الذي يستحقون هذه الكرامة ، هم ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ . وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ .﴾ .

جماعة من هؤلاء، وجماعة من هؤلاء ، فهم أكثر عدداً من السّابقين.

عباد الله ؛ هكذا يصف الله لنا حال السعداء من أهل النعيم لنقتدي بهم، ونسير على منهجهم ، وهكذا يشوقنا إلى الكرامة التي فازوا بها ، والمنزلة التي صاروا إليها .

فالجد ؛ الجد -أيّها المؤمنون-؛ والسعي ؛ السعي ؛ فإن الله لم يشوّقكم إلى هذه الدرجات إلا وقد فتح أبوابها لكم ، ولم يدعُكم إلى هذه الكرامة إلا وقد هيأ أسبابها لكم ، فكونوا من أهلها كما أهّلكم ، وجدّوا للحصول عليها كما أمركم ، اتقوا الله واستعينوا به يمددكم بتوفيقه ، ويهدكم سواء طريقه ، استرشدوا بإرشاد الله ، واستدلّوا بدلالته ، واهتدوا بهداه ، واستضيئوا بنوره .

عباد الله ؛ إنما انتم بين أمرين لا ثالث لهما ، ولا خيار بعدهما : نجاة وهلكة ، وفوز وخسران ، وسعادة وشقاء ، والأمر منوط بأعمالكم، فانظروا أي العاقبتين تختارون ، وبأي الأمرين على أنفسكم تحكمون ، فوز أو خسار، ونجاة أو بوار ، وجنة أو نار .

أفيقوا فكل شيء يدعوكم للإفاقة ، قبل يوم الفقر والفاقة ، قبل يوم المذلة والمسكنة ، قبل يوم كان مقداره خمسين ألف سنة .

إلى الله أيّها المؤمنون به ، المصدّقون بوعده .

إلى الله ؛ إنه يدعوكم إلى كرامته ، فأجيبوا دعوته ، ولا تعرّضوا أنفسكم لمقته .

انظروا لأنفسكم ، فإن المرء لن ينجو من الهلكة إلا بنظرة حازمة ، وتوبة حاسمة ، والله عون عبده إذا التجأ إليه ، وهو حسبه إذا توكّل عليه .

اللهم بك نستجير من غضبك ، وبقوتك نستعين على بلوغ رضاك،

وبكفايتك نعتصم من النوازل ، وندّرع من جميع المخاوف ، فآمنا بلطفك مما نخاف ، وحقق لنا برحمتك ما نرجو ، وتحنن علينا بما أنت أهله ، يا أرحم الراحمين .

﴿ربَّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربَّنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربَّنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنّا ، واغفر لنا ، وارحمنا ، أنت مولانا ، فانصرنا على القوم الكافرين .[1]﴾ .

ألا وإن أحسن الحديث ، وأبلغ العظات ، قول الله العظيم ، في كتابه الكريم :

﴿بسم الله الرحمن الرحيم . ويل لكل همزة لمزة . الذي جمع مالاً وعدّده . يحسب أن ماله أخلده . كلاّ لينبذن في الحطمة . وما أدراك ما الحطمة . نار الله الموقدة . التي تطّلع على الأفئدة . إنها عليهم مؤصدة . في عمد ممدّدة .﴾ .



---

١ – البقرة : ٢٨٦ .

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

نهي الصلاة عن الفحشاء

الحمد لله الذي أخرس الّلسن ، وحيّر الفَطِن ، وأربك الذّكاء ، وأعيى الألبّاء ، واستوقف العلم والعلماء ، وأذهل الألباب ، وأعجز الكتّاب ، وقطع الحساب والحُسّاب أنّ تجد معنىً واحداً من معاني كماله ، أو مجلىً مفرداً من مجالي جلاله ، أو منحىً من مناحي قدرته ، أو غوراً من أغوار حكمته ، أو يداً واحدة من متواتر أياديه ، أو جانباً من مستور فضله وباديه .

أحمده ، وأوقن أنّ حمدي إياه بعض آلائه عليّ ، فلولا هدايته لم أهتد إليه عرفاناً ، ولولا اقداره لم أملك له بياناً ، ولولا توفيقه لم أكد أدرك منه إرباً ، أو أبلغ شأناً ، وأشكره وأعلم أنّ شكري له بعض فضله، قيّد بالشكر نعمه أن تفرّ ، وأوجب به المزيد لمن شكر ، وأسأله أن يقترن القول مني بالعمل ، والنية بالإخلاص ، والعقيدة بالدعوة ، والسر بالجهر .

وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، هو المبدأ واليه المنتهى ، ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى . وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا . وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى . مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى .[1]﴾ .

---

١ – النجم : ٤٣ – ٤٦ .

وأشهد أنّ محمّداً ﷺ عبده الذي اصطفى ، ونبيّه الذي اجتبى ، ورسوله الذي شرّف وأعلى ، وكرّم وزكّى ، صلى الله عليه وعلى آله أئمة الهدى ، وأولي الحجى ، ومصابيح الدجى .

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ .(١)﴾ .

هذه بعض آثار الصلاة في تربية النفس وتزكيتها ، إنها قوة عاصمة تمنع المسلم -إذا أقامها على وجهها الصحيح- أن يرتكب فحشاً ، أو يأتي منكراً ، أيّ فحش ، وأي منكر ، ولذكر الله أكبر .

ولكن الصلاة -أيّها المؤمنون- إنّما تنتج هذا الأثر العظيم ..

.. إنّما تكون للمسلم قوة ، وعصمة تصونه أن يزيغ في خُلقه ، أو ينزلق في دينه ، أو يخالف أمر ربه ..

.. إنّما تصبح للمصلي مدداً متصلاً من الخير ، وكهفاً واقياً من الشر ، وحرزاً مانعاً من الضعة .. إنّما تنتج له هذا الأثر العظيم إذا أتى بها على وجهها كاملة المعاني ، مستجمعة الشرائط ، موفورة الصفات والسمات .

.. إذا عرج المؤمن بها من الحدود الضيقة التي تحيط به ، فإذا هو في عالم رفيع ، فياض بالخير ، مفعم بالحق ، مشعّ بالنور ..

.. إذا عرج المؤمن في صلاته إلى عالم لا يعرف الحدود ، ولا الغايات ، ولا السّدود .

---

١ - العنكبوت : ٤٥ .

نعم ؛ وهذا معنى قول المعصومين (عليهم أفضل الصلاة والسلام): (الصلاة معراج المؤمن)[١] .

إذا اتصل روح العبد -في صلاته- بخالقه العظيم ، فاستمدّ القوة من قوة الله التي لا تغلب ، واستمد العزة من عزة الله التي لا تضام ، واستمد النصرة من قدرة الله التي لا يمتنع منها شيء ، واستمد الحق والخير ، والبر والنور ، من عطاء خالقه العظيم ، ومن معاني كماله الأعلى ، وصفاته الحسنى ..

إذا اتصل روح العبد -في صلاته- بخالقه ، فاستمد من هذه المعاني الرفيعة ما يرتقي به إلى الغايات ، ويسمو به عن السقطات ، ويأخذ بيده إلى الخير في شتى المجالات .

هذا هو أثر الصلاة -أيّها المؤمنون- إذا أقيمت بحدودها .. إنه ترتبط العبد بربه ، وتغمره بقربه ، ثم تعمره بحبه ، وترفعه إلى الدرجة الكاملة ، وتحوطه بالرحمة الشاملة .

وهذه الدرجة -أيّها المؤمنون- من العبد المؤمن قريب من قريب ، وأكثر ما يحتاج إليه في بلوغ هذه الغاية ، أن يتمحض لله في صلاته غاية التمحض ، وان يخلص في نيته وعمله غاية الإخلاص ، وان يستشعر عظمة الله وجلاله .

فاتقوا الله -عباد الله-، وتعرّضوا لهبات الله في مواضعها ، والتمسوا مواهبه من مواقعها ، ولا يقعد بكم ضعف الهمم عن غاياتٍ أعدّت لكم ، ومنازل أزلفت إليكم .

ارتقوا فإن الإسلام دين الارتقاء والاستكمال ، وأخلصوا فإن

---

١ - مستدرك سفينة البحار - ج : ٦ - ص : ٣٤٣ .

المقاصد الرفيعة لا تدرك إلا بالجد ، ولا تنال إلا بالإخلاص ، واعملوا من قبل أنّ لا تطيقوا عملاً ، ولا تدركوا غاية .

اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد ، ونسألك خشيتك في السر والعلانية ، وكلمة الحق في الغضب والرضا ، والقصد في الفقر والغنى ، ونسألك نعيماً لا ينفد ، وقرة عين لا تنقطع ، ونسألك الرضا بالقضاء ، وبركة الموت بعد العيش ، وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك ، وشوقاً إلى رؤيتك ولقائك ، من غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة ، يا أرحم الراحمين .

اللهم إنك اصطفيت محمّداً ﷺ من جميع خلقك للرسالة ، وانتجبته للهداية والدلالة ، فقام بأمرك ، وتحمل الأذى في جنبك ، وجاهد الأقربين والأبعدين في سبيلك ، اللهم فاجزه عنا أفضل ما جزيت رسولاً عن أمته ، اللهم أعطه وآله الميامين الفضل والفضيلة ، والدرجة والوسيلة ، وامنحهم أعظم هباتك ، وخصّهم بأفضل صلواتك .

اللهم صلّ وسلّم على بعيثك بالحق ، ورسولك بالصدق ، شهيد يوم الدين ، وحجتك الكبرى على العالمين ، المتوج بالوقار ، والمكسو بحلل الأنوار، أبي القاسم محمّد المختار ﷺ .

اللهم صلّ وسلّم على أول المسلمين ، وعصمة المؤمنين ، والمتصدق في ركوعه بخاتمه على المسكين ، مظهر العجائب ، وموضح المشكلات الغرائب ، أبي الحسنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على المطهرة من الرجس ، وسيدة النساء من الجن والإنس ، الجوهرة الكريمة ، والصابرة على المصائب العظيمة ، البتول العذراء أم الحسنين فاطمة الزهراء عليها السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على فرع الشجرة الطاهرة ، ومفزع المذنبين في الآخرة، علم الهدى ، وبحر الندى ، كاشف البلوى والمحن ، والملجأ من صروف الزمن، الإمام الزكي أبي محمّد الحسن عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على من طهّره الجليل ، وافتخر به جبرائيل ، المحتسب الصابر ، والمظلوم بلا ناصر ، زكي الجدين ، وكريم الحسبين ، سيد شباب أهل الجنة أبي عبد الله الحسين عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على كاشف الغمم ، وقدوة الأمم ، وسيد من قام على قدم ، سيد الساجدين ، وإمام المجاهدين ، وعصمة البررة الزاهدين ، أبي محمّد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على زين العترة الهادية ، والناصح لله في السر والعلانية، بدر الدجى ، والغوث المرتجى ، ملاذ الحائر ، وقرة عين الناظر ، أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على ربيب العصمة ، وباب الرحمة ، معدن العلم والحكمة ، ملاذ الأمة حين تشتبه الطرائق ، ومنار الحق حين تلتبس الحقائق ، أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على العبد الصالح ، والإمام الناصح ، إمام الأبرار . وحليف التهجد والاستغفار ، مجمع المكارم ، وسيد الكبراء الأعاظم ، أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على سيد أهل العرفان ، وسند أهل الإيمان ، القيم على التنزيل ، والمخصوص بعلم التأويل ، كهف الورى ، وإمام التقى ، أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على رضي الله وزكيه ، وسفير الله ووليه ، نور

الله الساطع في الدياجي ، والحصن الذي يعتصم به اللّاجي ، كعبة الوفّاد ، وسلالة الأمجاد ، أبي جعفر محمّد بن علي الجواد عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على المطهر من العيب ، والمنزه من الريب ، والمستخلص في الغيب ، أمين الله على شرائعه ، وقيّمه على ودائعه ، الدليل الهادي للحاضر والبادي ، أبي الحسن علي بن محمّد الهادي عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على السلالة النبوية ، والموفي بشرائط الوصية ، ومثال العدل الأعلى في البرية ، السيد الرضي ، والإمام التقي ، أبي محمّد الحسن بن علي العسكري عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على دعوة الله القائمة ، ورحمة الله الدائمة ، سيف الحق الذي لا تفل مضاربه ، وغوث الله الذي لا يخيب نادبه ، سفينة النجاة ، وعين الحياة ، ناشر ألوية الإيمان ، ومعلن أحكام القرآن، أبي القاسم محمّد بن الحسن صاحب العصر والزمان عليه السلام .

اللهم أحي بوليك القرآن ، وأرنا نوره سرمداً لا ليل فيه ، وأحي به القلوب الميتة ، واشف به الصدور الوغرة ، واجمع به الأهواء المختلفة ، وأقم به الحدود المعطّلة ، والأحكام المهملة ، حتى لا يبقى حق إلا ظهر، ولا عدل إلا زهر ، واجعلنا يا رب من أعوانه ، ومقوية سلطانه ، والمؤتمرين لأمره ، والراضين به ، إنك المنان بالجود .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، وانظر إليهم بعينك ، وتفضل عليهم بمنك ، وظاهر عليهم نعماءك ، ووفقهم لنيل رضاك ، يا أرحم الراحمين .

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ .﴾ .

٢١

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

٤ – في سورة الواقعة

الحمد لله ولي كل نعمة ، ومصدر كل رحمة ، وسبب كل خير ، ومبدأ كل فضل ، فلا يؤمل الخير إلا منه ، ولا يرجى الفضل إلا من لدنه ، ولا ينشر الرحمة سواه ، ولا يولي النعمة عداه ، ولا يصرف السوء إلا هو ، ولا يجيب الداعي غيره .

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ [1]﴾ .

أمر عباده باللّجوء إليه وهو العليم بفقرهم ، وحثهم على دعائه وهو الخبير بحوائجهم ، ليعترفوا بالفاقة ، ويقوموا بشرط العبودية ، فينالوا منه كريم الجزاء ، وجزيل الحباء ، زيادة على إجابة الدعاء .

وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الذي ﴿مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا . ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا . [2]﴾ .

---

١ – النحل : ٥٣ .

٢ – الفرقان : ٤٥ – ٤٧ .

وأشهد أنّ محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، نزل عليه الفرقان ليكون للعالمين نذيرا ، صلى الله عليه وآله الذين برأهم من الذنوب ، واذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً .

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ . فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ . وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ . لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ .﴾ .

هؤلاء هم الصنف الثالث من الناس ، أصحاب الشمال الذين يؤتون كتابهم بشمالهم ، ويساقون إلى النار جزاءً لأعمالهم .

يعود الحديث إليهم ، ويعود السؤال ليحذر الناس عاقبتهم التي استحقوها ، وينذرهم غايتهم التي استوجبوها .

((وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ)) .

هؤلاء هم الصنف الخاسر من الناس ، المسرف في زلله ، المتردّي في الهاوية جزاءً لعمله ، فما هي عاقبته التي استوجبها ؟ ، ثم ما هي سيئاته التي ارتكبها ، وخطيئاته التي اكتسبها ؟ .

((فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ، وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ، لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ)) .

في ريح لافحة شديدة الحر ، شديدة اللفح ، من أعاصير جهنم ، ومن شواظها المضطرم ، ومن أنفاسها المحرقة ، وزفيرها المتتابع ، تدخل في المسام ، وتشوي الوجوه والأجسام .

هذا هو السموم فما هو الحميم ؟ .

ماء من مياه جهنم ، قد غلا من وقودها ، وأسن من صديدها ، ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا .﴾ .

«فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ، وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ» ، قيل : هو دخان جهنم الأسود المتراكم .

وقيل : جبل في النار يستغيث أهلها إلى ظله ، وماذا يجدي ؟ ، وماذا يدفع ويقي ، وهو ظل من يحموم ، لا بارد ولا كريم ؟ ، فلا جدوى فيه لمستقيل ولا كرامة لنزيل .

وفي سورة المرسلات : ﴿انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ .[1]﴾ لا ضليل ولا يغني من اللهب .

عباد الله ؛ وإنها لمقارنة تسترعي النظر ، وتوجب العبرة لمن اعتبر ، يذكرها السياق الكريم بين عقبى أصحاب اليمين وحبورهم ، ونُزُل أصحاب الشمال ومصيرهم .

فإذا كان مأكل أولئك من سدر مخضود وطلح منضود ،وفاكهة كثيرة ، فإن هؤلاء الآكلون من شجر من زقوم ، ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ .

وإذا كان مشرب أولئك من ماء مسكوب ، فان هؤلاء شاربون ﴿عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ . فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ .﴾ .

وإذا كان مقيل أولئك في ظل ممدود ، فان هؤلاء في ظل من يحموم ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ .

هذه عاقبتهم السوأى التي يجب علينا أن نحذرها ، فما هي أعمالهم وعاداتهم التي يجب علينا أن نتركها ونذرها ؟ .

---

١ - المرسلات : ٣٠ .

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ . وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ . وَكَانُوا يَقُولُونَ : أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ، أَوَآبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ . ﴾ .

هذه عاداتهم التي استوجبوا بها الدركات ، ووردوا الهلكات .

«إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ» ، والمترف هو الذي تبطره النعمة ، فينكر حق المنعم ، والذي يشغله الترف فيتمادى في الغي ، ويصدف عن الأمر والنهي ، فلا يزدجر ولا يعتبر ، ويترك الواجبات طلباً لراحة بدنه، وينغمس في المحرمات انطلاقاً مع ترفه وسرفه .

والكثير من أصحاب الشمال ، الذي استحقوا الوبال ، لم يكونوا من المترفين ، ولكن المترفين هم الفئة المجاهرة ، والطبقة المتنفّذة الآمرة ، وهم الذين يقابلون دعوة الله بالهزء والاستخفاف ، ويعارضون دين الله بالاستكبار والاستنكاف ، فهم المؤسسون للخلاف على الله ، وسواهم تابعون .

«وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ» ، يخالف أحدهم أمر ربه ، ثم يصر على ارتكاب ذنبه ، فلا يقلع ولا يتوب ، ولا يرجع ولا يؤب ، فلا نعمة تمنعه أن يقابل منعمه بالكفر ، ولا خشية تصدّه أن يعارض خالقه بالعصيان ، لا خجل ولا وجل ، ولا رهبة ولا توبة ، بل معصية وإصرار ، وعتو واستكبار .

«وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ، أَوَآبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ» .

هكذا يبلغ بهم الإصرار والعناد ، أن يجحدوا أمر المعاد .

وما هي حجتهم التي يرجعون إليها ؟ ، وما هي دعواهم التي

يعوّلون عليها ؟ .

حجة مدحوضة ، ودعوى منقوضة ، «وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ، أَوَآبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ» .

كأن القادر الذي أنشأهم أول مرة فوهب لهم الحياة ، عاجز عن أن ينشئهم خلقاً جديداً بعد الممات ، لقد خلقكم وصوركم بعد أن كنتم تراباً هشيماً ، فكيف يعجز عن بعثكم وإنشائكم بعد أن تكونوا عظاماً رميماً ؟ .

فاتقوا الله -أيّها المؤمنون- واحذروا الأعمال التي تبعدكم عن ربكم ، وتوجب لكم انتقامه ، وتعرضكم لأخذه .

اتقوا الله ؛ فإن الله لا يرضى بانتهاك حدوده ، ولا يعذر أمناً لوعيده .

إن الله جعل لكم غايات عليكم أن تدركوها ، وعيّن لكم سبلاً إلى غاياتكم فعليكم أن تسلكوها ، وعرفكم مزالق تعترض سبيلكم فعليكم أن تتجنّبوها وتتركوها .

ألا وإن الغاية لن تبلغ بغير جد ، وإن السبيل لن تقطع بغير حزم ، وإن المزالق لن تُتَوقى بغير انتباه ، فانتبهوا -رحمكم الله- تُكفَوا العقبات، وخذوا بالحزم تتّبعوا السبيل ، وجدّوا في السعي تبلغوا الإرب، وتنالوا القصد .

لا تسوّفوا فإن التسويف إضاعة للفرصة ، وتعرض للهلكة .

اللهم إنا نعوذ بك من نار تغلظت بها على من عصاك ، وتوعّدت بها من صدف عن رضاك ، ومن نار نورها ظلمة ، وهيّنها أليم ، وبعيدها قريب ، ومن نار يأكل بعضها بعض ، ويصول بعضها على

بعض ، ومن نار تذر العظام رميماً ، وتسقي أهلها حميماً ، ومن نار لا تبقي على من تضرع إليها ، ولا ترحم من استعطفها ، ولا تقدر على التخفيف عمن خشع لها ، واستسلم إليها ، تلقي سكّانها بأحر ما لديها من أليم النكال ، وشديد الوبال .

اللهم صلِّ على محمّد وآل محمّد ، وأجرنا منها بفضل رحمتك ، وأقلنا عثراتنا بحسن إقالتك ، ولا تخذلنا يا خير المجيرين ، وأرحم الراحمين .

إن أصدق الحديث قول الله العظيم ، في كتابه الكريم :

﴿بسم الله الرحمن الرحيم . وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ .﴾ .



الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

دحض حجج أصحاب الشمال

الحمد لله الذي لا تملك أن تحدّد عبارة ، ولا تستطيع أنّ تعيّنه إشارة ، له الوحدة الحقة فلا يشوبها تعدد ، ولا تؤلّفها أجزاء ، والوجود الثابت فلا يطرأ عليه تحول ولا يناله فناء ، والكمال الخالص فلا يعروه نقص ، والقدرة المحضة فلا يلحقها عجز ، والعلم المطلق فلا يدنّسه جهل ، والحكمة الكاملة فلا ينتقصها وهن .

فطر الأشياء كما يشاء ، ميّز جواهرها وأعراضها ، وقدّر أجزاءها وأبعاضها ، وحدّد غاياتها وأغراضها ، أمدّها بما تفتقر ، وهيّأها للكمال الذي تنتظر ، وخلق كل شيء بقدر ، وتركها ﴿آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ .[1]﴾.

وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزيز العليم ، ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ، وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ .[2]﴾ .

وأشهد أنّ محمّداً ﷺ عبده الذي هدى به الخلق إلى سواء الحق ، ورسوله الذي كشف به ظلم الباطل بنور الصدق ، صلى الله عليه وآله

---

١ – القمر : ١٥ .

٢ – الزخرف : ١٠ – ١١ .

جملة الوديعة ، ومفاتيح أسرار الشريعة .

﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ، أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ ، هذه حجتهم التي بها يتعلقون ، ووسيلتهم التي بها يتذرعون، وهي كذلك حجة من ينكر البعث من أهل الزمان الحاضر ، إسفاف في التفكير ، وعدم مبالاة بسوء المصير ، وأكثر مقاطع هذه السورة الكريمة محاسبة لهم على هذه النظرة ، وجواب لهم عن هذه الفكرة .

﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ . لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ . ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ . لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ . فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ . فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ . فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ .﴾ .

هذا هو الجواب الذي ينبّه العاقل ليعتبر ، ويوقظ الغافل ليفتكر ، إنّ الأمر جد وما هو بالهزل ، وإنه للحق الثابت وما هو بالكذب ، وإنه للصدق الذي لا يقبل المراء ، ولا يزلزله الافتراء .

«إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ، لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ» ، لمجموعون إلى ميقاتهم ، وإنهم لمجزيون على أعمالهم ، لا فرق بين أول وآخر ، وماض وحاضر ، يعيدهم من ابتدأهم ، ويجمعهم من أنشأهم .

«ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ» عن رشادهم ، المكذبون بمعادهم .

«لآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ» ، فما شجر الزقوم ؟ .

يصفها خالقها –سبحانه– في سورة الصافات فيقول : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ . إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ . طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ[1]﴾ .

---

١ – الصافات : ٦٣ – ٦٥ .

وحسبهم بها شجرة شائكة الملمس والمطعم ، وحشة المنبت والمنجم، هائلة المنظر والمقدم .

((إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ)) ، وكفى بذلك هولاً .

((طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ)) ، وكفى بذلك بشاعة وفضاعة ، وهم مضطرون إليها اضطراراً ، مجبرون على الأكل منها إجباراً .

((لآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ)) ، وكأنها -على خشونتها- لا تدفع ألم الجوع ، فهم يأكلون منها ويطلبون المزيد .

((فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ، فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ)) ، من ماء ينبع من قعر جهنم ، ويخزن في طبقاتها ، ويُغلى بحرّها ، وهو -على شدة حره- لا يزيل علة ، ولا يبرد غلّة ، فهم يشربون منه ، ويفغرون عطشاً.

((فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ)) ، شرب الإبل التي أصابها الهيام ، فهي تشرب ولا تروى ، حتى تموت في دائها .

﴿هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ ، هذا جزاؤهم بما قدّموا ، ووفاؤهم بما أجرموا، لم يغنوا في شيء منه ولم يظلموا .

فاتقوا الله -عباد الله-؛ واحذروا الغفلة ، فما هلك أكثر من هلك إلا بطول غفلتهم ، واعملوا للنجاة فما أدرك الغاية من أدرك إلا بحسن عملهم ، واخشوا ربكم وعظيم نكاله ، فما بلغ الدرجات العالية من بلغها إلا بعظيم خشيتهم ، ولا تقنطوا من رحمته فقد ابتدأكم بالإحسان على غير استحقاق ، وغمركم بالتفضل على غير استيهال ، وقد حد لكم حدوداً وجعل نجاتكم في الوقوف عندها ، وشرع لكم شريعة وجعل رشدكم بالرجوع إليها ، فاسعوا في ذلك جهدكم ، وارضوا بما عنده عوضاً عما عندكم .

اللهم طالما عودتنا الحسن الجميل ، وأعطيتنا الكثير الجزيل ، وسترت علينا القبيح الوبيل ، فصل على محمّد وآل محمّد ، وأقلنا عثراتنا ، وارحم عبراتنا واردُدنا إلى أفضل عادتك عندنا ، واستقبل بنا صحة من السقم ، وسعة من العدم ، وسلامة شاملة في أبداننا ، وبصيرة نافذة في أدياننا ، وأعنا على استغفارك واستقالتك قبل أنّ يفنى الأجل ، وينقطع العمل ، وأعنّا على الموت وكربته ، وعلى القبر ووحشته ، وعلى الميزان وخفته ، وعلى الصراط وزلّته ، وعلى يوم القيامة وروعته ، انك على كل شيء قدير ، وبكل شيء بصير .

اللهم يا عظيم السلطان ، ويا شديد الأركان ، أدِّ لنبيك الكريم عنا حقه، وتول برحمتك عنا جزاءه ، اللهم فكما تحمّل الأذى في سبيلك ، وتجرع الغصص في إعلاء كلمتك ، وكما دفعت به الشقاء ، وكشفت به الغمّاء ، وأجبت به الدعاء ، ونجيّت به من البلاء ، خصّه من فضلك بالكرامة العظمى، واعدّ له الشفاعة الكبرى ، وتفضل عليه بما هو أهله يا أرحم الراحمين ، وصل عليه وآله الأكرمين .

اللهم صلِّ وسلّم على المنتجب في الميثاق ، والمصطفى من طاهر الأعراق ، أكرم الشفعاء ، وخيرتك من الأنبياء ، شاهدك الأعلى ، وكلمتك الحسنى ، سيدنا أبي القاسم محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله .

اللهم صلِّ وسلّم على سيد المتقين الأخيار ، ووالد الأمناء الأبرار ، خير الأوصياء ، والمزوّج في السماء بسيدة النساء ، الشهاب الثاقب ، والنور العاقب ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على الصديقة المعصومة ، والتقية المظلومة ، حبيبة المصطفى ، وقرينة المرتضى ، ووالدة الأئمة الأمناء ، أم الحسن والحسين ، سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على سبطي الرحمة ، ومفتاحي الحكمة ، والوليين اللذين أتممت بهما النعمة ، الفرقدين اللذين نصبتهما للهداية ، والنيرين اللذين انتجبتهما للولاية ، الإمامين السندين ، والعالمين السيّدين ، سيدنا أبي محمّد الحسن ، وسيدنا أبي عبد الله الحسين عليهما السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على حليف الخشوع والعبادة ، ومظهر الورع والزهادة ، أمينك على الدين ، وقدوة الزاهدين ، سيدنا أبي محمّد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام.

اللهم صلِّ وسلّم على دليل الرحمة ، ومستودع العلم والحكمة ، باقر العلم ومنار أهل التقى والحلم ، برهانك الجلي ، وأمينك الولي ، سيدنا أبي جعفر محمّد بن علي عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على نور الله في الظلمات ، ومنقذ العباد من الهلكات ، إمام الهدى وغياث الورى ، علم الإسلام المؤيّد ، وصرح العلم المشيّد ، سيدنا أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على معدن الوحي المبين ، وصاحب العلم اليقين، خليفتك المأمون ، والمعذب في قعر السجون ، الطاهر المطهّر ، وشفيع يوم المحشر ، سيدنا أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على عديل القرآن في الطاعة ، والمدّخر للنجاة في يوم الشفاعة ، عصمة الأولياء وعماد الأتقياء ، الإمام المرتضى ، والنور الذي به يستضاء ، سيدنا أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على ترجمان الكتاب ، وحجة الله على من كفر وأناب، وارث النبيين وعلم المهتدين ، حجتك الولي ، ووليك الزكي ، سيدنا أبي جعفر الثاني محمّد بن علي عليه السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على المخصوصين بكرامتك ، والحافظين لأمانتك، شاهديك على البرية ، وأمينيك لحل كل قضية ، الهادين المهديين ، والطاهرين الزكيين ، سيدنا أبي الحسن علي بن محمّد ، وسيدنا أبي محمّد الحسن بن علي العسكريين عليهما السلام .

اللهم صلِّ وسلّم على الدين المأثور ، والكتاب المسطور ، كلمتك التامة ورحمتك العامة ، نورك الذي لا يطفأ ، وحجتك التي لا تدحض ولا تخفى ، الحق المشتهر ، والعدل المدّخر ، سيدنا أبي القاسم محمّد بن الحسن المنتظر عليه السلام .

اللهم قرّب بُعده ، وأنجز وعده ، وأوفِ عهده ، واكشف عن بأسه حجاب الغيبة ، اللهم وقدّم أمامه الرعب ، وثبّت به القلب ، وأقم به الحرب وأيده بجند من الملائكة مسوّمين ، وسلّطه على أعداء دينك أجمعين.

اللهم وثبتنا على معرفته ، ووفقنا لنصرته ، وحقق لنا آمالنا بحرمته.

اللهم اغفر لنا ولجميع المؤمنين والمؤمنات ، ما أعلنّا وما أسررنا ، وما كتمنا وما أظهرنا ، وأقبل إلينا بوجهك الكريم ، واقبل تقرّبنا إليك، وانظر إلينا نظرة رحيمة ، نستكمل بها الكرامة عندك ، ثم لا تصرفها عنا ، بجودك يا كريم .

بسم الله الرحمن الرحيم ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .



٢٢

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

٥ – في سورة الواقعة

الحمد لله أول الوجود وآخره ، وباعث الكون ووارثه ، ومبدئ الخلق ومعيده ، ومحيي كل حي ومميته ، ومنشئ كل شيء ومقيته ، ومؤقت كل أجل ومبلّغه ، ومحصي كل رطب ويابس ، وعالم كل صغير وكبير ، وفالق الحب والنوى ، وبارئ كل سبب ومسبب ، وفاطر كل بسيط ومركب ، وخالق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون .

أحمده حمداً يحقق لي من رضاه سؤلي ، ويبسط لي من توفيقه مددي ، ويوفر لي من هداه قسطي ، ويتم لي من الأيمان به نوري ، وينجح لي في كلتا النشأتين أملي ، وأساله لي ولكم نوراً يضيء لنا ظلم الحوالك ، ويبصرنا خفي المسالك وقوة تعصمنا من المهالك .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ[١]﴾ .

---

١ – الجاثية : ١٢ – ١٣ .

وأشهد أن محمداً ﷺ عبده الذي رفع درجته ، ورسوله الذي أنار للعالمين حجته ، صلى الله عليه وآله المنتجبين ، والأمناء على الوحي المبين .

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ ، أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُون ، أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ .﴾ .

بهذه الآيات الكريمة يبتدئ الدرس الثاني من دروس هذه السورة العظيمة ، وهذا الدرس يعنى أشد العناية ببناء العقيدة ، وبسط فكرتها السديدة ، ونشر دلائلها الإيمانية الرشيدة .

وللعقيدة في القرآن ، وفي نظر الإسلام وحدة متكاملة ، لا تجزئة بين أبعاضها ، ولا تفكك بين أغراضها ، فليس لأحد أن يؤمن ببعض دون بعض، أو يصدق بغاية دون غاية.

الإيمان بالله وحده ، والتصديق بكتابه الكريم ، وبجميع كتبه التي أنزلها ، وبرسوله العظيم ، وبجميع رسله التي أرسلها ، ثم الإيقان بالحشر والنشر والحساب والجزاء ، هذه عقيدة الإسلام لا بد من الإيمان بها كاملة ، ولابد من الإيمان بشؤونها وشروطها ، وإسسها وخطوطها.

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ، لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ . .[1]﴾ .

---

١ – البقرة : ٢٨٥ – ٢٨٦ .

وللقرآن طريقة فريدة في تجلية العقيدة ، وإقامة الأدلة عليها ، وسوق الفطرة الصافية إليها .

فهو يلفت الإنسان إلى أمور مألوفة لديه ، مبثوثة بين يديه ، لا يكلفه النظر إليها عناء ولا تعباً ، ولا يقتضيه بحثاً ولا طلباً ..

لا تحوجه إلى أكثر من أن يجيل فيها نظره ، ويردد في جوانبها فكره..

إلى هذه الأمور المألوفة الميسورة التي يجدها كل ناظر ، ويراها كل بادٍ وحاضر ، يلفت نظره إليها ، ليريه سرّ التكوين الهائل ، وأثر الحكمة الماثل.

ليريه دليل قدرة الله ، وبرهان حكمته ، وأثر رحمته .. ليريه دليل وجود الله ظاهراً غير مستور ، قائماً غير مغمور ، جلياً غير خفي .

وهي طريقة لا يستعصي فهمها على أحد ، ولا يستطيع أن ينكرها أحد، وهي احد الأدلة على عظمة القرآن ، والتي تتفق مع عموم رسالته.

«نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ، أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ، أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ» ، هذه إحدى الظواهر المكرورة التي يشاهدها كل إنسان ، ولا تغيب عن أي فطرة ووجدان .

لقد خلق الإنسان العاقل المفكر ، السميع المبصر المدرك الذكي ، الذي سخرت له الطبيعة ، واستخدم قواها ، واكتشف قوانينها ، ومخازن طاقاتها .

لقد خلق هذا الكائن العجيب ، فكيف خلق ؟ ، وكيف صور ؟ ، ومن خلقه وصوره ؟ .

ألا يدلّه ذلك على أن له خالقاً مصوراً ، هو أعظم منه في الكمال ، وأتم منه في القدرة ؟ .

ألا يشعره ذلك بان خالقه ومصوره ليس هو المادة الميتة ، التي لا تسمع ولا تبصر، ولا تدرك ولا تعقل ، ولا تملك لنفسها موتاً ولا حياة ولا نشوراً؟.

«نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ ؟ ، أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُون ؟ ، أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ» ؟ .

هذا الماء المهين الذي تشترك في إعداده شتى غدد وأجهزة ، وتدخل في تركيبه شتى عصارات مفرزة، ويمر في شتى قنوات وأوعية ، وأعصاب وأغشية، هذا الماء المهين ، هل يعلم الإنسان مم خلق ؟ ، وأي عوامل تعمل فيه حتى يتم إعداده فيدفق ؟ .

هل يعلم أن كل دفقة من هذا الماء يدفقها الرجل السوي ، تحتوي على مأتي ألف ألف ، إلى خمسمائة ألف ألف خلية من الحيوانات الجهرية ، كل واحدة منها تحمل سر الحياة ، وسر التكوين ، وتكفي لإيجاد الجنين ؟ .

هل يعلم أن كل واحدة من هذه الخلايا الدقيقة ، التي لا يمكنه أن يرى جسمها إلا بمجهر يضاعف له حجمها .. هل يعلم أن كل واحدة من هذه الخلايا -على تناهيها في الصغر- تحمل جميع خصائص نوع البشر ، وتحمل جميع خصائص الآباء والأجداد ، لتنقلها بالوراثة إلى الأبناء والأحفاد ؟ .

إن هذه النطفة المهينة لم يقض العلم بعد في كشف أسرارها إرباً ، ولن يقضي المفكرون من تقصي غرائبها عجباً .

«أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُون ؟ ، أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ» ؟ .

«أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ» ، من مواده الأولى ، حتى يصبح ماءً دافقاً ، ثم تخلقونه وهو ينتقل في أطوار الأجنة ، وظلم الأرحام ، حتى يكون بشراً ناطقاً ؟ .

«أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ، أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ» ؟ .

وما عمل الإنسان في ذلك ؟ ، وما سعيه ؟ .

وجلّ عمله يلقي النطفة في مستقرها ثم يكلها إلى خالقها ، وولي أمرها ، يطورها بقدرته ، ويصوّرها بحكمته ، ويقدّرها بعلمه ، ويرعاها برحمته ، حتى تنتشئ وتكتمل ، وتتقوم وتتعدل ، وينفخ فيها من روحه، ويشع عليها من نوره .

أليس القادر على أن يبدأ الحياة من نطفة تمنى ، بقادر على أن يعيدها بعد موتها نشأة أخرى ؟ .

ألا يكفكف هذا المغرور من غربه ، فيوقن بعظمة ربه ، لا يقف عند حدوده التي لا صلاح له بتعديها .

ألا يشعر بقدرة خالقه ومكونه ، فيكف عن تحديها ؟ .

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ . الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ . فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ . [1]﴾ .

قف -أيها المغرور- فقد آن لك أن تقف ، واكفف من عصيانك وتفريطك فقد حان لك أن تكف .

---

١ - الانفطار : ٦ – ٨ .

إنك لا تستطيع أن تقوم لأخذة الله ، فكيف تتعرض لغضبه ؟ ، وإنك لا تملك أن ترد حكم الله ، فكيف تتهاون بأمره ؟ .

قف -أيها المغرور- قف ؛ إن الانطلاق خطر عليك ، وان نفسك رهينة بعملك .

قف ، إن الحافظ عليك لا يغفل ، وان الشاهد عليك لا ينسى ، وان الحاكم لا يظلم .

اتق الله ، فتقوى الله هي التي تزلفك لديه ، وخف الله ، فان خيفة الله هي التي تعصمك من سخطه ، وتؤمنك من عذابه .

اللهم يا من غمرني بالنعم على غير استحقاق مني ، وجللني بالستر على غير استيجاب للستر عني ، خاب عبد لم تجعل له من توفيقك عضداً ، وخسر امرؤ لم يتخذ من رحمتك ومغفرتك سنداً .

يا كافي عباده وان لم يعرفوه تحنناً منه وعطفاً ، ويا قاضي حوائجهم وان لم يسألوه براً منه بهم ولطفاً ، هب لي يا سيدي ما أجرمت ، واكفني ما علمت ، وقني شر نفسي ، وأعني في يومي على أن أتلافى ما فاتني في أمسي ، وقوني على الصالحات حين أصبح وحين أمسي ، يا أرحم الراحمين .

ألا وإن خير الكلم ، قول من انشأ الأشياء من العدم :

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

۞ ۞ ۞

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

حكمة الموت

الحمد الذي إليه انقطعت كل علة ، وله انتهت كل قدرة ، ولإرادته خضعت كل إرادة ، وبه تعلق كل سبب ، وإليه توجه كل طلب ، ورجع كل أمر ، فهو الله رب العالمين ، ومالك أزمّتهم أجمعين .

اكتملت الأشياء بعبوديتها له ، وعظمت بتصاغرها إليه ، وعزت بتذللها بين يديه ، وسعدت بتوكلها عليه ، وأمنت بلجوئها إلى حصنه ، وإيوائها إلى ركنه ، فهو قوة كل ذي قوة ، ومدد كل ذي مدد ، وبه حول كل ذي حول ، ومنه طول كل ذي طول .

أحمده ؛ وأسأله أن يذيقني حلاوة حمده ، وأوحده ؛ وأضرع له أن يدرك بي مقام الفائزين بتوحيده ، وأعبده وأدعوه أن يسعدني بكرامته المخلصين في عبادته .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ . وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ . وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ . وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ .[1]﴾ .

وأشهد أن محمدا ﷺ عبده ورسوله ، بعثه بخير الأديان ، وأيده

---

١ - الشعراء : ٧٨ - ٨٢ .

بمعجزة القرآن ، صلى الله عليه وآله سادات الإنس والجان .

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ، عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

هذه هي النهاية التي تشاهدونها ، ولا تشكّون فيها .

والنهاية كالبداية خلق وتقدير ، وحكمة وتدبير .

والتفكير بالموت كالتفكير في الحياة ، يقود الإنسان المفكر إلى الاعتراف بأن خالق الموت هو خالق الحياة ، ومالك المبدأ هو مالك النهاية ، وواضع الشيء هو واضع الغاية .

إنهما ينشآن من حكمة واحدة ، حلقات لا بد من تكاملها ، وأدوار لا محيد من تتابعها ، حياة فموت ، ثم حياة ونشور بعد الموت :

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .[1]﴾ .

«نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ» ، ما نحن بمسبوقين في تقدير الموت ، وما نحن بمسبوقين بتقدير الحياة ، كلاهما من وضع الحكمة المطلقة ، وإبداع القدرة الكاملة ، لم تسبقها حكمة ، ولم تتقدمها علة .

«عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ ، وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ» ، هذا بعض آفاق حكمة الموت وتقديره على العباد .

إن ركب البشرية مطرّد متتابع ، فلا بد من أن يرحل السابق ، ليحل محله اللاحق ، و إلا تزاحم الركب ، وضاق به الفضاء الرحب ،

---

١ - البقرة : ٢٨ .

وسدت عليه مسالك الحياة ، وتعذرت عليه أسباب الرفاه .

«عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ ، وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ» ، ونتبع أجيالكم فيتصل الركب ، وتستمر الحياة إلى أن يصل يومها الموعود ، وينقطع (وينقضي) أجلها المحدود .

«وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ» ، ننشئكم النشأة الأخرى ، في طريقة لا تعلمون قوانينها ، ولا تعرفون مواعيدها ولا موازينها .

هي غيب يرجع أمرها إلى عالم الغيب ، ونبأ لا شك في وقوعه ، ولا ريب . ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ .﴾ .

فاعرفوا النشأة الآخرة من الأولى ، وتذكروا أن المنشئ هو المنشئ ، وأن القدرة هي القدرة ، وأن الحكمة هي الحكمة .

فطوبى لعبد تذكر فاستبصر ، وخاف ليأمن الفزع الأكبر ، واتقى الله حق تقاته ، وعمل لنجاته وسعى لحياته .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ .[1]﴾ .

فاتقوا الله -أيها المؤمنون- واعملوا فان الفرصة سانحة ، والتجارة رابحة ، وبادروا الذنوب ، قبل أن تطبع على القلوب ، أو قبل أن يبوء الخاسر بالحوبة ، وقد أغلق دونه باب التوبة .

واعلموا أن الاستغفار مفتاح للبركات في الدنيا ، كما هو مرقاة للدرجات في الأخرى .

---

١ - الأنفال : ٢٤ .

ألا تسمعون قول نوح لقومه : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً .[1]﴾ .

اللهم يا من لا يصفه نعت الواصفين ، ويا من لا يجاوزه رجاء الراجين ، ويا من لا يضيع لديه أجر المحسنين ، أتوب إليك من كل ما خالف إرادتك ، أو زال عن محبتك ، من خطرات قلبي ، ولحظات عيني، وحكايات لساني ، وسيئات عملي ، توبة تسلم بها كل جارحة على حيالها من تبعاتك ، وتأمن مما يخاف المعتدون من سطواتك .

اللهم فصل على محمد وال محمد ، وشفع في خطاياي كرمك ، وعد على سيئاتي بعفوك ، ولا تجزني في جزائي من عقوبتك ، وافعل بي فعل عزيز تضرع إليه عبد ذليل فرحمه ، أو غني تعرض له عبد فقير فنعشه ، يا أرحم الراحمين .

اللهم كما خصصتنا بدينك القويم ، وهديتنا صراطك المستقيم ، فاجعلنا اللهم من حملة كتابك الكريم ، وأشياع نبيك العظيم .

اللهم اجعلنا ممن اقتفى سيرته ، واتبع سنته ، والتزم عترته ، اللهم وشرف بنيانه ، وعظّم برهانه ، وأظهر حجته ، وأعل درجته .

اللهم وكما اصطفيته وآله الطاهرين من جميع برياتك ، فاصطف لهم أزكى الزكيات من تحياتك ، وأشرف الشرائف من صلواتك .

اللهم وصل وسلم على المصطفى بين البرية طفلا ، وخيرها شابا وكهلا ، أطهر المطهرين شيمة ، وأجود المستمطرين ديمة ، عبدك الذي

---

١ - نوح : ١٠ — ١٢ .

أقمت به الرسالات ، وأوضحت به الدلالات ، خير من قام بأمر الله ، وسيد من وفى بعهد الله ، أبي القاسم محمد بن عبد الله ﷺ .

اللهم صل وسلم على آية الله الباهرة ، ومعجزة الله القاهرة ، يعسوب الدين ، وعصمة المتقين ، والمتصدق في صلاته بخاتمه على المسكين ، أبي الحسنين علي أمير المؤمنين عليه السلام .

اللهم صل وسلم على لؤلؤة تاج الكمال ، وواسطة عقد الشرف والجلال، أكرم الخلق أباً ، وخيرهم إذ ينسبون نسباً ، أم الأئمة النجباء ، سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام .

اللهم صلّ وسلّم على لساني الحكمة ، وريحانتي نبي الرحمة ، اللذين لم تدنسهما الجاهلية الجهلاء ، ولم تشرك فيهما فتن الأهواء ، السيدين الزكيين أبي محمّد الحسن ، وأبي عبد الله الحسين عليهما السلام .

اللهم صلّ وسلّم على أمين الله وأبي أمنائه ، وخليفته وأبي خلفائه، مصباح العالمين ، وخازن وصايا المرسلين ، أبي محمّد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الإمام الرشيد ، والقصر المشيد ، كاشف الكُرَب ، ورفيع الرتب ، الفلك الدائر ، بالفضائل والمآثر ، أبي جعفر الأول محمّد بن علي الباقر عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الكتاب المبين ، والحق المستبين ، وزعيم الصالحين ، أمين الله على الحقائق ، وشهيده على الخلائق ، أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على سيد البرية ، والموفي لله بحقوق العبودية ، مطعم الطعام على حبه ، والصابر على الأذى في جنبه ، الإمام العالم ، أبي إبراهيم موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الصادق الذي أوجب الله الكون معه ، والهادي الذي فاز من اتبعه ، نور الهدى ، والمنقذ من الردّى ، أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الموفي بعهد الله وذمته ، والخازن لأسراره وحكمته، بركة الله في البلاد ، وأمانة الله في رقاب العباد ، أبي جعفر الثاني محمّد بن علي الجواد عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الطاهرين اللذين لم يعثرا في مشكل ، ولم يهفوا في معضل ، الدليلين اللذين أقام الله بهما الحجة ، وسدّ بهما الفرجة ، إمامي كلّ عدوّ وولي ، أبي الحسن علي بن محمّد ، وأبي محمّد الحسن بن علي عليهما السلام .

اللهم صلّ وسلّم على حافظ أسرار رب العالمين ، وبقية الله من الصفوة المنتجبين ، فاتق كلّ رتق ، ومحقق كلّ حق ، الشافع الذي لا ينازع ، والولي الذي لا يدافع ، بهجة الزمن ، ومحيي الفروض والسنن، أبي القاسم الحجة المنتظر محمّد بن الحسن عليه السلام .

اللهم أظهر كلمته ، وأعل دعوته ، وأتم نوره ، وعجل ظهوره ، وأعزّ به أولياءك ، واكبت بسيفه أعداءك ، اللهم بلّغه آماله في خاصته وعامته ، واجعلنا من أهل طاعته .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، واشف غيظ صدورهم ، واجمع منتشر أمورهم ، وأصلح فاسدهم، وانصر مجاهدهم ، ولقهم خير الدنيا، وارزقهم رضوانك في الأخرى ، إنك ذو رحمة واسعة ، وفضل عظيم .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ .

٢٣

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

٦ — في سورة الواقعة

الحمد لله ذي الملك الدائم ، والسلطان القائم ، والقدرة الغالبة ، والكبرياء الأبدية ، لا ينازع ولا يضارع ، ولا يضاد ولا يدافع ، اضطرّت الأشياء كلها إليه فأقرّت بملكيته ، واستغنت به عمن سواه فاعترفت بأحديته .

هو الذي خلقها جميعاً بعد ان كانت معدومة، فكيف يملكها غيره؟.

وانفرد بتصريفها وتدبيرها ، فكيف يشاركه فيها سواه ؟ .

أخلص له ديني ، وامحضه عبادتي، وأدين له بتوحيدي، وأسلم له وجهي .

وأشهد ان لا آله إلا الله وحده لا شريك له ، إليه المنتهى ، وهُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى . وَالذي أَمَاتَ وَأَحْيَا . وَالذيُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأنثَى مِن نُطْفَةٍ إذا تُمْنَى ..

وأشهد ان محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، ختم به رسالته ، وأتم به نوره، وأكمل به نعمته ، وأوضح به سبيله ، صلى الله عليه وآله ، سفراء الله ومجاري فيضه ، وأنواره في ظلمات أرضه .

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ . أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ .﴾ .

كانت العجيبة الأولى التي لفت القرآن أنظارهم إليها ، هي عجيبة خلق الإنسان ، عجيبة الماء المهين الذي يبدأ منه تكوين هذا المخلوق .

.. النطفة الدقيقة : كيف تخلق ؟ ، وكيف تتركب ؟ ، وكيف تتصور؟، وكيف تتقلب ؟ ، وماذا تحوي من سر التكوين ؟ ، وكيف تتطور حتى ينشأ منها الجنين ؟ .

لفت القرآن نظر الإنسان إلى هذه الخليقة ، ليتعرّف بها على سرّ الحقيقة، هذا الماء الدافق ، لن يتكون ثم لن يتطور حتى يصبح إنساناً كاملاً دون مبدع خالق ، فانظروا ان كنتم تعقلون ، «أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ» ؟ .

وهذه عجيبة أخرى ، يألفها الإنسان ويعرفها ، وهي أُخت تلك في الدلالة على التقدير ، وعظم التدبير .

عجيبة الزرع الذي تنشق عنه الأرض الهامدة ، والقشرة الصلبة الجامدة.

كيف يبدأ هذا الزرع ؟ ، وكيف يونع ؟ ، وكيف يجذر ؟ ، وكيف يفرع ؟، وكيف ينبت ؟ ، وكيف يمرع ؟ ، وممّ تتكون الحبة التي منها انفلق، وعنها انبثق ؟ ، وماذا تحمل في بطنها من جنين ؟ ، وما يتركب منه جنينها من جزيئات تكثر على التبيين ؟ .

«أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ؟ ، أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ» ؟ .

هذه الحبة الصغيرة التي تحرثون الأرض ثم تضعونها ، وتزعمون أنكم تزرعونها ، هل تعلمون على أي من العناصر تنطوي ؟ .

وكم من مقادير هذه العناصر تشتمل وتحتوي ؟ .

هل تعلمون عديد العوامل التي سُخِّرت في تهيئة الحبة ، حتى تكتمل فتودع التربة ؟ .

هل تعلمون كيف يختزن سر الحياة في أجزائها ؟ ، وأين يقع جنين النبات في أحشائها ؟ .

هل تعلمون أن كل حبة ، وكل نواة تحمل في بطنها جنيناً كاملاً لذلك النوع من النبات ، قد تكاملت أجزاؤه ، وتخلّقت أعضاؤه ، وتم تلقيحه من خلية أنثى وخلية ذكر ، كالخلية الملقحة التي يخلق منها البشر؟ .

هل تعلمون أن كل جنين من أجنة النبات ، يتكوّن في جوف حبة أو نواة ، يحمل جميع خصائص نوعه ومنازعه ، وصفاته ومنافعه ، ومواريثه وطبائعه ؟ .

ثم هل تدركون أين تقع هذه الأسرار الخطيرة من هذا الجنين الصغير ؟ ، وأين موضع هذه البدائع من هذا الكائن الحقير ؟ .

«أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ؟ ، أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ» ؟ .

تلقى الحبة في موضعها ، وتُغرَس النواة في مزرعها ، وتسقى بالماء الكافي ، وتُتَعَهّد بالغذاء الوافي ، وإذا بالتربة تهتز وتربو ، وإذا بالحبة تنفتح وتنمو .

ثم تنشق الأرض شقاً ، وتفلق الحبة فلقاً ، ويبدو من جوفها جنين ناحل، ونشءٌ متكامل ، فيمد منه جذيراً ، ويرفع ساقاً ، ثم يفرع غصوناً وأوراقاً ، ويمتص أغذيته من أملاح الأرض وعصاراتها ، ويقبس حاجته من أشعة الشمس وطاقاتها ، ويأخذ نصيبه من عناصر البيئة وغازاتها ،

ويأخذ سبيله لإعادة نوعه بتدبير خالقه وصنعه ، لا ينحرف عن طريقه ولا يلتوي ، ولا يحيد عن أمر صانعه ولا ينزوي .

وإذا بالحبة الجافة الصغيرة قد أصبحت شجرة ناضرة كبيرة ، تؤتي أكلها كاملاً غير منقوص ، وعاماً غير مخصوص ، وتنتج أكداساً من أمثال حبتها الأولى ومن نوعها ، لإعادة الحياة فيها بعد زرعها .

أين كانت هذه الشجرة المبهجة من تلك الحبة اليابسة ؟ .

وأين كانت هذه النخلة السحوق من تلك النواة الجامسة ؟ .

وأين كان هذا الثمر الشهي والمنظر البهي ؟ .

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ، أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً . ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً . فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً . وَعِنَباً وَقَضْباً . وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً . وَحَدَائِقَ غُلْباً . وَفَاكِهَةً وَأَبّاً . مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ .[1]﴾ .

من دبّر البذرة هذا التدبير ، واستودعها هذا السر الكبير ؟ .

«أَفَرَأَيْتُم مَا تَحْرُثُونَ ؟ ، أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ» ؟ .

أأنتم جعلتم هذه الحكمة ، ونشرتم هذه الرحمة .

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ .[2]﴾ .

أفيقوا من سباتكم ، إن الأمر لا يحتاج إلى بعد تفكير ، لاستجلاء هذا الأمر الخطير .

---

١ - عبس : ٢٤ - ٣٢ .

٢ - الأنعام : ٩٥ .

إن ربّ البذرة الذي فلقها وصورها ، هو رب السماء والأرض الذي خلقها وفطرها .

عباد الله ؛ هكذا يوضح الله للخلق دلائله ، وهكذا يبين لهم شواهده ، نهج لا يخفى ، ونور لا يطفى ، ومعالم لا تعفى ، فتدبّروا آيات الله ، وانتهجوا هداه، والتزموا تقواه ، وعودوا إليه بالتوبة ، فقد أسرفتم على أنفسكم في عصيانه ، وأمعنتم في التمرد على سلطانه ، عودوا إليه بالتوبة التي تنقي القلوب ، قبل ان يسودها متراكم الذنوب .

عباد الله ؛ لقد أوشكت الصحائف ان تختم ، وأوشكت الظهور بالأثقال أن تقصم ، وأوشكت الأعمار بالمنية ان تهدم .

فالبدار ، البدار ؛ الحذار ، الحذار ؛ فما بعد هذه المهلة التي أمهلكم ربكم إلا جنة أو نار ، وفوز أو خسار .

إلهي ألبستني الخطايا ثوب مذلتي ، وجللني التباعد منك لباس مسكنتي ، وأمات قلبي عظيم جنايتي ، فأحيه بتوبة منك يا أملي وبغيتي ، ويا سؤلي ومنيتي، فوعزتك ما أجد لذنوبي سواك غافراً ، ولا أرى لكسري غيرك جابراً ، وقد خضعت بالإنابة إليك ، وعنوت بالاستكانة لديك ، فإن طردتني من بابك فبمن ألوذ ؟ ، وإن رددتني عن جنابك فبمن أعوذ ؟ ، فوا أسفاه من خجلتي وافتضاحي ، وواهفاه من سوء عملي واجتراحي .

أسالك يا غافر الذنب الكبير ، ويا جابر العظم الكسير ، أن تهب لي موبقات الجرائر ، وتستر عليّ فاضحات السرائر .

ألا وإن اصدق الحديث قول الله العظيم ، في كتابه الكريم :

﴿بسم الله الرحمن الرحيم . قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ .﴾ .

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

عجيبة خلق النبات

الحمد لله الذي عظم حتى امتنع على العقول ان تتصوره ، وظهر حتى استحال على البصائر أن تنكره ، وخفي حتى دق على الأوهام أن تتوهمه ، وقهر حتى قام كل شيء به ، واتجه كل كائن إليه ، ودل كل موجود عليه ، سبق لا بزمان ، وعلا لا بمكان ، وغلب لا بأعوان ، وخلق لا بآلة، وقدّر لا بتفكر .

له الحجة البالغة على خلقه ، بما ركب فيهم من فطرته ، ودلهم عليه من حكمته ، وأظهر لهم من بدائه قدرته ، وآثار رحمته .

وأشهد ان لا آله إلا الله وحده لا شريك له ، المبدئ المعيد ، الفعال لما يريد ، الذي ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ . وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ .﴾ .

وأشهد ان محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، شرّف ببعثته البشر ، وأنار بشريعته الفكَر ، وأتم بكتابه النذُر ، صلى الله عليه وآله ميامين الغرر ، الذين مدحتهم محكمات السور .

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ، أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ . لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ . إِنَّا لَمُغْرَمُونَ . بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ .﴾ .

هذا الزرع الذي تحرثون وتستنبتون ، أأنتم أعددتم حبّه فخلقتموه ، وأخرجتم نبته وأنميتموه ، ثم أظهرتم ثمره فأنضجتموه ؟ .

«أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ، أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ» ؟ .

من الله ، وبقدرته المحيطة ، بدأ فأينع ، ونبت فأمرع ، وأجذر وأفرع، ثم أثمر فأمتع ، ولا يدَ لكم في إخراجه ، ولا في إنتاجه ، وجلّ عملكم أنكم تثيرون التربة ، وتغرسون الحبة .

من الله وحده ، وبقدرته المحيطة ، وبحكمته المدبّرة ، ومالك المبدأ هو مالك الختام ، وواضع المادة هو واضع النظام ، ربط الشيء بغايته ، ولو شاء لقطعها ووصل الأمر بنتيجته ، ولو شاء لمنعها .

«لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ» .

لو نشاء لأمرنا بعض العوامل أن تقطع عنه مدّها ، واضطررنا بعض الفواعل أن تمنع منه رفدها ، فإذا بالزرع الأخضر هشيماً حطاماً ، لا يؤتي ثمراً، ولا يصلح طعاماً .

لو نشاء لأصبناكم بذنوبكم ، فجعلنا زرعكم حطاماً بائداً ، وتركنا بركاتكم (.....) [كذا في الأصل فراغ] هامداً .

«فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ» ، تتنوعون في الحديث من شدة الحيرة ، تقولون : «إِنَّا لَمُغْرَمُونَ» ، لغارمون خاسرون ، بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ، محارفون في الحَظ ، ممنوعون من الرزق ، مباعدون من الخير .

أفلا تفكرون في هذه النعمة ، فيقودكم التفكير فيها إلى وجوب شكرها، والوفاء بالحق لولي أمرها .

ألا تعرفون عظم الخالق بعظم الخلق ، وجلال الصانع ببديع الصنع؟.

ألا تؤمنون بان من يعيد حياة النبات من بذرة تزرع ، قادر على ان يعيد حياة الإنسان من ذرات تُجمع ؟ .

فاتقوا الله -أيّها المؤمنون-، وآمنوا بكتابه ، واستمعوا لخطابه ، وانتفعوا بموعظته وتحذيره ، وارتدعوا بإنذاره وتذكيره .

تورّعوا عن المحارم ، واحترسوا عن الوقوع في المظالم .

إن مظالم العباد -أيّها المؤمنون- من أعظم الموبقات ، وأشد المهلكات ، وإذا كان عفو الله يقتضي أن يتجاوز الله عن حقوقه عند عبده ، لأنه ارحم الراحمين ، فان عدل الله يقتضي أن لا يجاوزه ظلم ظالم من الناس ، لأنه أحكم الحاكمين .

أدّوا حقوق العباد إليهم ، واحترسوا عن مظالمهم من قبل أن لا تطيقوا، فان الحكم دقيق ، وان الحساب عسير ، وان العقاب شديد كبير، وإن الوفاء هناك ليس بأموال تقبض ، ولكنه بأعضاء تقرض ، وألسنة من النار تعرض وحسنات من أعماله توزّع ، وخطيئات من أعمال المظلومين تضاعف عليه وتجمع .

احترسوا -عباد الله-؛ فإنكم لا تطيقون ، وان الأمر أعظم مما تتصوّرون .

اللهم بعونك تتحقق الآمال، وبتوفيقك وهداك تصلح السرائر والأعمال، وأنت الذي فتحت أبواب الرجاء للسؤال .

اللهم فأصلح منا ما يضرّنا فساده ، وبلّغنا ما يضرنا فوته ، ويسّر لنا ما يصعب علينا بلوغه ، وأعنّا على ما يجب علينا تداركه ، إنك على كل شيء قدير ، وبكل شيء بصير .

اللهم وصلّ على نبيك الأعظم ، ونورك الذي كشفت به الظُلَم ، وعلى أهل بيته الطاهرين .

اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد كما هديتنا به ، وصل عل محمّد وآل محمّد كما أحييتنا به ، وصل على محمّد وآل محمّد كما أعززتنا به ، اللهم بيّض وجهه ، وأعلِ كعبه ، وأفلج حجته ، واستجب دعوته ، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته ، اللهم واسلك بنا سبيله ، وتوفّنا على ملته ، واجعلنا ندين بدينه ، ونقتدي بسنّته ، واجعل صلواتك الدائمة عليه وعلى أطائب عترته .

اللهم صلّ وسلّم على صاحب المقام المحمود ، والمنهل المشهود ، والورد المورود ، خاتم أنبيائك وسيد أصفيائك ، وخالص أخلائك ، نور الأنوار ، وسيد المرسلين الأطهار ، أبي القاسم محمّد المختار ﷺ .

اللهم صلّ وسلّم على عبدك ودليلك ، وسيد المجاهدين في سبيلك، أخي نبيك وصهره ، والولي من بعده على أمره ، أول المسلمين ، وخير الوصيين ، أبي الحسنين علي أمير المؤمنين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على والدة الأئمة ، ووديعة الرسول في الأمة ، وخفرة حجال العصمة ، الزكية الرضية ، وحبيبة خير البرية ، أم الحسن والحسين سيدتنا فاطمة التقية عليها السلام .

اللهم صلّ وسلّم على إمامي الأمة ، ولساني الحق المعبرين عنه بالحكمة ، الوليين الناصحين ، والمجاهدين الكادحين ، واللذين لم يشركا بالله طرفة عين ، سيّدنا أبي محمّد الحسن ، وسيدنا أبي عبد الله الحسين عليهما السلام .

اللهم صلّ وسلّم على ولي الله الذي ابتلاه ، وأولاه من الفضل ما أولاه ، الخيرة من الخيرتين ، والصفوة المنتجبة من الصفوتين ، سيدنا أبي محمّد علي بن الحسين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على محيي معالم الإسلام ، وموضح أسرار

الأحكام ، ذي القدر السامي ، إلى ابعد الغايات والمرامي ، الدر الفاخر، والفضل الذي ليس له آخر ، أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الذاب عن توحيد الله ، والمجاهد عن حدود الله ، حجة الله على الخلائق ، ودليله الهادي إلى أقوم الطرائق ، سيدنا أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الوصي الهادي إلى سبيلك ، ومن أورثته غوامض تأويلك ، وديعة النبي المأمون ، المودعة في غيابات السجون ، المرتقي إلى أعلى مراتب المكارم ، أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على العلم الذي أوضحت به الشرعة ، والبرهان الذي أبطلت به كل ضلالة وبدعة ، بعيد المثوى ، والضامن لمن زاره جنة المأوى ، دليل الهدى ، وسبيل الرضى ، أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الفائز في مقامات العبادة ، والحائز على أرفع درجات السعادة ، والمحتوي على أسمى مؤهلات السيادة ، قامع كلمة أهل الإلحاد، ورافع شبه أولي العناد ، أبي جعفر الثاني محمّد بن علي الجواد عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على عيني الهدى الناظرتين بالرحمة ، الساهرتين لإسعاد الأمة ، كلمتي الله اللتين الزمهما أهل التقوى ، ووليبه اللذين كشف بهما البلوى ، الهادين الزكيين ، أبي الحسن علي بن محمّد ، وأبي محمّد الحسن بن علي العسكريين عليهما السلام .

اللهم صلّ وسلّم على البقية من الذرية الدريّة، والطالب بالدماء

الزكية، الحق الذي لا ريب في ظهوره ، والقسط الذي لابد من إتمام نوره ، سيّد البشر ، والنور الثاني عشر ، سيدنا أبي القاسم محمّد بن الحسن المنتظر ، عليه السلام .

اللهم أظهر به العدل الذي ترتضيه ، وأنر به السبيل الذي لا عوج فيه ، وحقق به الغاية التي أقمت الدين عليها ، وجدد به الشريعة التي دعوت عبادك إليها ، اللهم أدرك بيديه ثارات الهدى ، وأوضح بنوره معالم الحق لمن اقتدى .

اللهم أذلّ به الجبارين ، وأبر به الكافرين ، ومقوية الباطل أجمعين ، واجعلنا من خالص من اتبعه ، والخيرة الصابرين معه .

اللهم أنر به بصائرنا، وأصلح علانياتنا وسرائرنا ، ووفقنا لاتباع سيرته، والثبات على الحق في غيبته .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، وتجاوز عن سيئاتهم ، واكفهم مهماتهم ، وأصلح لهم في ذرياتهم ، واردد عنهم بغي الباغين ، وطغيان الطاغين ، فإنك أرحم الراحمين .

بسم الله الرحمن الرحيم ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ .



٢٤

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

٧ – في سورة الوقعة

الحمد لله الذي لا يتناهى حمده ، ولا يوفى حقه ، ولا تفنى نعمه ، ولا تنتهي محامده ، ولا تضمحلّ شواهده ، عرّفنا حقه ، وألهمنا حمده ، ورضي بالقليل من حمدنا وفاءً للكثير من نعمه ، فزاد بذلك نعماءه نعماً، وأضاف إلى كرمه كرماً .

ألهمنا حمده وأمرنا به ، وحثنا عليه ، لا لحاجة به إلى حمد الحامدين من عباده ، أو منزلة يبلغها بثناء المثنين ، وشكر الشاكرين ، ولكن ليتابع عليهم فضله ، فيجزل لهم مثوبته ، ويبسط عليهم رحمته ، ويضاعف عليهم نعمته .

فهو المحمود لما بدأ به وما أعاد ، وما ضاعف وما أزاد .

وهو المحمود قبل ذلك وبعده ، لعظيم كماله ، وقديم جلاله ، وحكيم فعاله .

وأشهد أن لا آله إلا الله وحده لا شريك له ، ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ.[(١)]» .

وأشهد ان محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، خير من نصح للأمة ، ودعا إلى سبيل ربه بالحكمة ، صلى الله عليه وآله الشموس الساطعة، والبراهين القاطعة.

«أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ، أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ» .

هذه ثالثة العجائب التي يلفت القرآن نظر الإنسان ليفكر فيها ، ويستجلي الأسرار المدهشة التي تحتويها ، ثم ليتعرف منها نظام الوجود المفرد ، وسر التكوين الموحد ، وليتبين من وحدة النظام وحدة المنظّم ، ومن وحدة طريقة الإيجاد وحدة الإله الموجد .

أي سر تحتويه كل واحدة من هذه العجائب المحيّرة ؟ ، وأية حكمة تدل عليها هذه البدائع المقدرة ؟ .

وثالثة العجائب هذه -التي يذكرها القرآن ليوجّه إليها نظر الإنسان- هي عجيبة الماء الذي تشربون ، يذكرها له بعد أن ذكّره بعجيبة خلقه ، وعجيبة رزقه ، ليقرن له نعمة وجوده بنعمة طعامه ونعمة شرابه .

أيّ يدٍ له أو لغيره من المخلوقين في هذه الأمور ، وهي أشد الضرورات له ، وأمسّ الحاجات به .

«أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ» ؟ .

هذه النعمة الموفورة ، والحاجة الميسورة ، التي لا غناء لحي عنها ، ولا بقاء لحي بدونها ، ولا استقامة للحياة كلها إلا بها ..

---

١ – لقمان : ١٠ .

هذه الضرورة التي تكون الحياة بدونها مستحيلة ، ولا تنفع مع فقدها أية حيلة ..

هذه النعمة العظمى التي لا وجود بعدها لحيوان ولا لنبات ، ولا لحركة في هذا الكون تدل على حياة .

وقد أثبت العلم أن الماء أصل الحياة ، وقد قال –سبحانه– في كتابه الكريم : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ..[1]﴾ .

هذا الماء الذي تشربون ، وتستنبتون به زروعكم ونباتكم ، وتسقونه دوابكم وأنعامكم ، وتقوّمون وتصلحون به حياتكم ، «أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ» ؟ .

وإنزال الماء من المزن هو أيسر المراحل في إعداد الماء وتهيئته للشاربين ، وإلا فهل يعلم الإنسان بسائط هذا السائل وعناصره ؟ ، وكيف تتحد هذه العناصر وكيف تأتلف ؟ ، وكيف تتوافق المقادير من ذراتها فلا تختلف ؟ ، وأي قوى توحد هذه العناصر لتكون ماءً ؟، وممَّ تتكون جزيئات السحاب؟، وكيف تجتمع ؟ ، وبأي يد تتحرك وترتفع؟.

من سخّر الريح لتثيره سحاباً ، وتسوقه رباباً ؟ ، من سخّر البرق فيلتمع، ويوحد بين عناصر الماء المتفرقة بعد ما ترتفع ؟ .

من أوحى للمعصرات أن اعصري ، وأمر المزن أن اهمري .

«أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ، أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ» ؟ .

---

١ – الأنبياء : ٣٠ .

ان هذه أمور تجري نصب عين الإنسان ، وملء إحساسه وإدراكه ، وإن كان أكثر الناس لا يحيطون بدقائقها خبراً ، ولا يفقهون من أسرارها سراً ، ولكن ألا تدلّهم على وجود حكمةٍ تديرها ، وقدرة غالبة بيدها مبدؤها ومصيرها ، وحركتها ومسيرها .

وشاءت الحكمة أن تتم النعمة ، فأنزلته من المزن عذباً فراتاً سائغاً للشاربين ، يقوّم الحياة ، وينمي الزرع ، ويهنئ المعيشة ، ولو شاءت لجعلته ملحاً أجاجاً لا يسعد حياة ، ولا يقيم زرعاً .

﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ .﴾ .

أليست هذه نعمة يجب أن تشكر ؟! ، وأقل ما يجب للمنعم أن يعرف فلا ينكر .

إن منشئ الماء في هذه الأرض ، ومنزله من المزن عليها ، هو منشئ الحياة على ظهرها ومخرج النبات .

وإن مكوّن جنين الإنسان من نطفته ، هو مكون جنين النبات في حبته .

وإن مركب الخلية الحية من جزيئاتها ، هو مركب وحدة الماء من عناصرها ، فطريقة التكوين في جميع ذلك طريقة واحدة ، ووجهة الحكمة فيها جميعاً وجهة واحدة ، تعرب عن قدرة واحدة ، وتنتهي إلى إرادة واحدة.

نظمٌ موحدة متشابكة ، يشد بعضها بعضاً ، ويمد بعضها بعضاً ، ولو كان الموجد أكثر من واحدٍ لبان الاختلاف ، وحصل التفاوت ، وتعدد الاتجاه ، فلكل صانع حكمته ، ولكل حكيم وجهته .

إن الاتجاه الواحد في طريقة الإيجاد يدل على وحدة الموجد ، وإن الوحدة الملموسة المحسوسة في سر التكوين ، وهدف التنظيم ، تدل على وحدة المكون والمنظّم :

﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ، ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ .[1]﴾ .

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ، وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ.[2]﴾ .

فاتقوا الله -عباد الله- واعرفوا للمنعم حقه ، ولا تجحدوا بنعمائه ، ولا تكذّبوا بآلائه .

ألا وان من أشد جحود المنعم وكفرانه ، ان يستعان بنعمته على عصيانه، فاحذروا من ذلك أشد الحذر ، واقتبسوا من مواعظه في كتابه أبلغ العِبر .

أطيعوا الله وخذوا أمانكم منه ، واحذروا لذاذات وشهوات دانية زائلة تبعدكم عنه ، ألا وإن الشهوات حبائل عدوكم التي بثها لاصطيادكم ، وقواه التي أعدها لإفسادكم ، فتخلّصوا من حبائله ودخائله تكفوا جميع الشرور ، والجؤوا إلى الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ .

اللهم يا من لا تراه العيون، ولا تحيط به الظنون ، ولا يصفه الواصفون ، يا من يعلم مثاقيل الجبال ، ومكاييل البحار ، وورق

---

١ - الملك : ٣ - ٤ .

٢ - سبأ : ٢٢ .

الأشجار ، ورمل القفار، ويا من لا تواري منه سماء سماءً ، ولا أرض أرضاً ، ولا جبل ما في أصله ، ولا بحر ما في قعره ، نسألك أن تصلي على محمّد وآل محمّد ، وأن تجعل خير أمورنا أواخرها ، وخير أعمالنا خواتيمها ، وخير أيامنا يوم نلقاك .

واجعلنا -اللهم- ممن سمع آياتك فاعتبر ، ووعى مواعظك فازدجر ، إنك على كل شيء قدير .

﴿بسم الله الرحمن الرحيم . وَالْعَصْرِ . إِنَّ الأِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ .﴾ .



الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

عجيبة إيجاد النار

الحمد لله المتعالي عن شَبَه المشبهين ، وشُبَه المشبّهين ، وأمثلة الواصفين وصفات المخلوقين ، ليس كمثله شيء ، ولا يدانيه في الكمال حي ، شابه بين الأشياء فعرّفنا بذلك ان لا شبه له ، ومايز ما بينها بالحدود ، فعلّمنا ان لا حدّ له ، وباين ما بينها بالخواص والطباع فدلّنا على ان لا طبيعة له ، وفطرها على التغيّر والتحول والزيادة والنقصان ، فعلمنا انه الحق الثابت الذي لا تناله الغير، ولا تسمو إليه العبر ، ولا يجرى عليه زمان ، ولا زيادة ولا نقصان ، المتنزه عن الأبعاد والآماد ، وعن أوصاف العباد ، وعن اتخاذ صاحبة وأولاد .

وأشهد ان لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، عالم كل سريرة ، ومحصي كل صغيرة وكبيرة ، وأشهد ان محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، بعثه في الأميين ورفع درجته في المقربين ، واختاره وآله على علم على العالمين ، صلى الله عليه وعليهم أجمعين ، صلوات تبلّغهم أشرف محل المكرمين .

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ . أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾ ؟.

والنار أحدى العجائب التي عرفها الإنسان وألفها ، وأفادته في شتى ميادين الحضارة لما اكتشفها ، ولولا النار لما تقدم في حضارته خطوة ، ولما ارتقى في حياته درجة .

اكتشف النار فاكتشف بها النور الذي يستضيء به من الظلام ، والوسيلة الناجحة التي ينضج بها الطعام ، والحرارة التي يصطلي بها من برد الليالي والأيام ، وتقدم الإنسان في شتى ميادين الحياة ، والنار تمده بالمنافع ، وتذلل له الصعاب ، وتبلغ به الأسباب .

فهل فكّر في هذه العجيبة ، وفي مصدرها وموردها ، ومُنشئها ، وموجدها ؟ .

كيف يقتدح من الشجر الأخضر شرارها ؟ ، ثم كيف يستعر في هذا الشجر الأخضر أوارها ؟ .

إن انقداح النار من الشجر يعني أن النار فيه مخزونه ، وان استعارها فيه يعني أنها عليه غير مأمونة، فكيف يكون ذلك بغير قدرة قدير، وحكمة خبير؟.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ .

وقد كان العرب يحكّون فرع شجرة بفرع شجرة أخرى فيقتدحون منه النار ، وقد قالوا في أمثالهم : (في كل شجرة نار ، واستنجد المرخ والعقار) ، والمرخ والعقار نوعان من الشجر الذي يقتدح منه النار ، وهذه الطريقة لا تزال مستعملة في بعض الشعوب البدائية .

«أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ؟، أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ؟».

من الذي أنشأ الشجرة ، واختزن فيها هذه الطاقة الخطرة ؟ .

ومن الذي أنشأ الشجر الأخضر الذي منه توقدون، وبوقوده تنتفعون؟.

فوجود النار نعمة كبيرة ، تفتقر إلى موجد رحيم ، ووقود النار نعمة أخرى ، تفتقر إلى صانع حكيم ، وكلاهما ليس من صنيع أيديكم .

﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِّلْمُقْوِينَ .﴾

تذكرة يتذكر بها العاصي نار الآخرة فيرتدع ، ومتاعاً يستمتع به المقوي أي المسافر فينتفع .

والنار لا تنحصر منفعتها بالمقوين والمسافرين ، فهي عامة المنافع للناس أجمعين ، ولكن المقوين في تلك الأزمان : النازلين بالقواء (وهي الأرض القفر) يكونون أحوج الناس إلى النار ، للانتفاع بوجودها ، والاستدفاء بوقودها .

هذه بعض الأدلة على وجود الله وحكمته ، وهذه بعض الآثار الناطقة برحمته ، الدالة على عظمته ، ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ .

نزهه أن يكون له شريك ، أو يكون معه مليك ، وبرّئه عما لا يليق بكبريائه ، ولا يجدر بعظمته ، فهو العظيم الذي لا تتناهى عظمته إلى حد ، الكبير الذي لا يحيط بكبريائه وصف ، الأعلى الذي لا يقترن بعلوّه مدىً ولا أمد .

عباد الله ؛ اعرفوا ربكم ، فان من عرف الله خافه ، واتقوه ، فان من اتقى الله عمل لنيل رضاه .

التقوى ؛ التقوى -أيّها المؤمنون-؛ فبتقوى الله تستكملون درجات إيمانكم ، وترتفعون إلى أشرف المنازل في جنانكم ، خافوا الله وارجوه ، فبخوف الله ورجائه يتم لكم صلاحكم ، ويضمن في الدنيا والآخرة نجاحكم .

اللهم زدنا فيك معرفة ، وزدنا في معرفتك يقيناً ، وزدنا في يقيننا إيماناً ، وزدنا في إيماننا إخلاصاً ، ووفقنا أن نعمل فيما علّمتنا ، وننزجر عما نهيتنا ، ونبلغ إلى الغاية التي أردت لنا ، فانه لا حول ولا قوة لنا إلا بك، ولا ثبات إلا بعصمتك ، ولا عصمة إلا برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد ، وشرف بنيانه ، وعظّم برهانه ، وارفع درجته ، وأعظم بهجته ، وأعطه الفضل والفضيلة ، والمنزلة والوسيلة ، وآته الدرجة العظمى التي يفضل بها جميع النبيين ، وابعثه المقام المحمود الذي يغبطه به جميع المخلوقين ، وصل عليه وعلى آله صلاة ترفعهم بها إلى أعلى عليين .

اللهم صلّ وسلّم على عبدك المرتقي إلى ارفع درجات الطاعة ، ورسولك المرتجى للشفاعة ، بعيثك إلى البرية أجمعين ، سيدنا محمّد بن عبد الله خاتم النبيين ﷺ .

اللهم صلّ وسلّم على أمين الله في بلاده ، وحبله الموصول بينه وبين عباده ، زين الصديقين ، وصابر الممتحنين ، سيدنا علي أمير المؤمنين ﷺ .

اللهم صلّ وسلّم على رضية الله التي اجتباها ، وآتاها من الشرف ما آتاها ، بضعة سيّد الأنبياء ، وأم الحجج الأمناء ، سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام .

اللهم صلّ وسلّم على دليلي المغفرة ، وأميني الله على الكتب المطهّرة ، إمامي أهل الخافقين ، ورائدي الخير الأعلى في النشأتين ، سيدنا أبي محمّد الحسن ، وسيدنا أبي عبد الله الحسين عليهما السلام .

اللهم صلّ وسلّم على باب الرحمة ، ومصباح الحكمة ، نور

العارفين ، ووارث الأنبياء المنتجبين ، سيدنا علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على وديعة الرسالة ، ومعدن الشرف والجلالة ، مجمع المفاخر ، في الموارد والمصادر ، سيدنا محمّد بن علي الباقر عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على عبدك الذي وليته عهد الإمامة ، وألبسته حلل الحباء والكرامة ، وائتمنته على الحقائق ، وارتضيته إماما للخلائق، سيدنا جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الموفي بعهد الله وذمته ، والمؤتمن على علم الكتاب وحكمته ، المحبو بالمكارم ، والمطهر من المآثم ، سيدنا موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على وليك الدائب في طاعتك ، وقيّمك الذاب عن شريعتك ، إمام الهدى ، وباب الرضى ، سيدنا علي بن موسى الرضا عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على رضيك من الأنام ، ونورك الذي تجلو به سدف الظلام ، سيّد العباد ، وقائدهم إلى منهج السداد ، سيدنا محمّد بن علي الجواد عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على المطهرين من الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والمقيمين على أسرار الحكمة ما خفي منها وما علن ، السيدين الزكيين ، والنورين الجليين ، سيدنا علي بن محمّد ، وسيدنا الحسن بن علي العسكريين عليهما السلام .

اللهم صلّ وسلّم على وليك وباب رحمتك، ودليل حكمك وحكمتك ، وعبدك المعظم لحرمتك ، معلن أحكام القرآن ، والمرتجى

لإزالة الجور والعدوان ، سيدنا أبي القاسم صاحب العصر والزمان عليه السلام .

اللهم أيده بجندك الغالب ، وادفع عنه بسهمك الصائب ، وألبسه درعك الحصينه ، واجعله في عصمتك الأمينة .

اللهم مُنّ على عبادك به بالأمن الذي لا خوف بعده ، والسعادة التي لا شقاء فيها ، والهدى الذي لا ضلال معه ، والعز الذي لا ذلّ وراءه .

اللهم ووفقنا لمشايعته ، وقونا على أداء حقه ، واحشرنا في أعوانه ، انك سميع الدعاء .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، وتجاوز -برحمتك- عن سالفهم ، وبارك في خالفهم ، وثبّت أقدامهم على الحق عند اضطراب الأهواء ، واجمع كلمتهم على نصرتك عند اختلاف الآراء ، وأظهر قولتهم في اتباع منهجك على الخلق أجمعين ، وافتح لهم فتحك القريب يا أرحم الراحمين .

بسم الله الرحمن الرحيم ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ .



٢٥

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

٨ – في سورة الواقعة

الحمد لله الذي جعل الدين نزعة طبيعيّة تتجه إليه الأشياء بفطرتها، وتعنو له بجبلّتها ، فكلها تسلم لخالقها مضطرة ، وتلبّي بخضوعها له هتاف الفطرة ، وتستجيب بإسلامها له لدعوة القدرة ، لا فرق بين حيّها وجامدها ، ومتحركها وراكدها ، فكلها مسلم موقن ، ومصدق مذعن ، وكلها معترف بأن إسلامه لخالقه مصدر كل خير يرتجيه ، وسبيل كل كمال يبتغيه :

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ .[١]﴾ .

وأشهد ان لا إله إلا الله وحده ؛ وحده ، أطبقت الأشياء على توحيده فلم تختلف ، وأعلنت على ذلك دلائله لمن لم يعترف ، وأشهد

---

١ – الحج : ١٨ .

ان محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، خير من اختار من نبي ، وسيد من ارتضى من رسول ، صلى الله عليه وآله سدنة علمه ووحيه وخزنة أمره ونهيه .

﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ، إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ، لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ، تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ .﴾ .

ما أعظمه قسماً واثقاً ! ، وما أجلّه نبأً صادقاً ! ، وما أرفعه أسلوباً عظيماً ! ، وما أروعه بياناً حكيماً ! .

إنها لفتة توقظ القلب الغافل ، وتنبه الّلب الخامل ، وتوجّه الفكر الجاهل .

«لا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ» .

ما هذه النجوم التي يذكرها ربّ النجوم ؟ ، وما مواقعها ؟ ، وما عظم هذه المواقع الذي يطريه صانعها ؟ ، ثم ما هذا القرآن الذي يلوح الله بالقسم عليه ثم لا يقسم ، لأن شأنه أجل وأعظم ؟ .

إن منزل القرآن هو خالق النجوم في مواقعها ، وممسكها بنظام الجاذبية في مواضعها ، ومقدر حركتها في مغاربها ومطالعها ، فلا تتقارب ولا تصطدم ، ولا تتعارض ولا تزدحم ، أقام كلاً منها في فلكه، وضبطه في مسلكه ، وملأ فضاءه بحبكه .

إن خالق النجوم العظيمة من هذه العناصر المبثوثة في أنحاء الجو ، وأجواز السماء ، ومنشئها على أعظم تصوير ، وأحكم تدبير ، فلا خلل في تركيبها ولا فطور ، ولا اختلاف في نظامها ولا فتور ، هو الذي انزل القرآن العظيم من هذه الحروف التي ينطق بها الإنسان ، ويتحرك بها

كل لسان، فأعجز به كل مفكر، واخرس كل ناطق ، وأشعر المخلوقين بعظمة الخالق : ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا .[1]﴾ .

فلا اختلاف في حكمته، ولا ضعف في حجته ، ولا تعارض في أحكامه، ولا حد لإعجازه : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ؟ ، وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا .[2]﴾ .

إن خالق النجوم ، ومحدّد مواقعها العظيمة ، هو منزل القرآن ، وموحي آياته الحكيمة ، كلاهما صنيع يد واحدة ، وكلاهما مظهر لقدرة واحدة .

وإن التفكر في مواقع النجوم بذاتها يوحي للإنسان بعظمتها ، وان التدبر في آيات الكتاب العزيز بنفسها يدله على حكمتها ، كلاهما لا يفتقر إلى دليل يدل عليه ، ولا يحتاج إلى شاهد يرشد إليه .

«فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ» .

إن عظمه لا يحتاج إلى أكثر من علم يحيط ببعض عجائبه ، ومن ذهن واع يتوجه إلى التفكير فيه .

قد أدرك الأولون -الذين خاطبهم القرآن- من مواقع النجوم ظواهر معدودة ، وبعض نظم محدودة .. أدركوها بالأعين المجردة ، والتجارب المحدّدة ، والأقوال المسموعة المردّدة ، وكانت هذه المدركات

---

١ - الإسراء : ٨٨ .

٢ - النساء : ٨٢ .

-على بساطتها- تكفي للدلالة على عظم مواقع النجوم .

وقد دهش بعض البسطاء من الناس بعظمة النجوم فعبَدها ، ولو كان رشيداً لعبد من أوجدها .

وامتدّ الزمان ، وامتدّت معه معارف الإنسان ، وتنوّعت مراصده وأدواته ، ومجاهره وآلاته ، يكتشف بها كل يوم من مواقع النجوم كشفاً عظيماً ، ويستبين من مجراتها ومداراتها أمراً جسيماً ، وتؤلف الكتب الكثيرة ، وتوجه المراصد الكبيرة ، تبحث عن عظمة مواقع النجوم ، ثم هو لا يزال واقفاً على الأبواب، لم يسر قدماً واحدة فيما وراء الحجاب.

لقد كشف في هذا الفضاء -الذي لم يعرف له حد-، نجوماً هائلة لا يحيط بها عدّ .

لقد كشف أن المجرة تحتوي على ألف مليون نجم ، مختلفة الإشعاع والحجم ، وإن شمسنا هذه من أصغر نجوم المجرة جرماً ، ومن أقلها إشعاعا وحجماً ، على ان الشمس أكبر من هذه الأرض ألف ألف مرة، ولكنها صغيرة في جنب بعض نجوم المجرة .

وكشف في هذا الفضاء مائة ألف ألف من المجرات السائرة ، كل واحدة تحوي مثل ما تحويه مجرّتنا من النجوم الدائرة ، وهو يتطلع إلى المزيد ، وهيهات ان يبلغ الغاية القصوى مما يريد ، وكل هذه النجوم والمجرات في حركة لا تقف ، وفي أنظمة رتيبة لا تختلف ، ولو اقترب نجم من نجم ، ولو دنت مجرة من مجرة لوقع التصادم الهائل ، ولتحقق الفناء الشامل .

«فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ» .

لا أقسم بها فإن شأن القرآن أثبت من أن يحتاج إلى قَسَم ، مهما

بلغ من الخطر والعِظَم .

«إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ، لا يَمَسُّهُ إِلاّ الْمُطَهَّرُونَ» .

هذه الحقيقة التي لا تفتقر إلى إثبات ، وتكتفي بنورها عن الحجج والبينات .

إن إعجاز القرآن يدل على أنه من الله ، وإذا كان من الله فكل ما يقوله عنه حق لا ريب فيه .

«إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ» ، في أسمى درجات الكرم ، وفي أعلى مراقي الكرامة .

ومن مظاهر كرمه أنه يبلغ الخير الكثير ، وينيل الأجر الوفير ، وأنه يهب الحياة التي ما بعدها موت ، والنور الذي ليس معه ظلمة ، والهدى الذي ليس وراءه ضلال ، والشفاء الذي ليس معه مرض .

ومن مجالي كرامته : أنه الكتاب العزيز الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ .[1]﴾ .

«فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ» ، مصون أن تناله أيدٍ أثيمة ، أو تعبث به أنفس لئيمة .

فهو في السماء في لوح محفوظ ، لا يناله إلا الملائكة المقربون ، وفي الأرض في مصحف مصون «لا يَمَسُّهُ إِلاّ الْمُطَهَّرُونَ» ، فلا يمسّه جنب ولا حائض ، ولا محدث ولو بالحدث الأصغر .

«تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» ، تنزيل من خالق هذه النفوس ومدبرها،

---

١ - فصلت : ٤٢ .

العليم بأدوائها ، الخبير بموجبات شفائها .

فاعتصموا -رحمكم الله- بهذا الحبل الوثيق ، الذي لا يضل من به اعتصم، والتزموا هذا السبب الذي لا يشقى من به التزم ، واتبعوا هذا النور المشرق والدليل الهادي ، كتاب الله الذي انزله لهدايتكم ، ووحي الله الذي أوحاه لدلالتكم .

أحلّوا حلاله ، وحرّموا حرامه ، واتبعوا مناهجه وأحكامه ، واتقوا الله فهو ولي أمركم ، والعليم بسركم وجهركم .

أخلصوا له أعمالكم ونياتكم ، وامحضوه دينكم وقرباتكم .

اتقوا الله ، فإنكم محاسبون على كل عمل ، مجزيّون بكل صلاح أو زلل .

أوفوا لله بما أخذ عليكم من عهد ، يوف لكم بما ضمن من وعد .

أعاننا الله -وإياكم- على ما يريد ، ووفقنا ان نكون له من أخلص العبيد ، وكفانا برحمته هول يوم الوعيد .

اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد ، وأحضرنا ذكرك عند كل غفلة ، وشكرك عند كل نعمة ، والصبر عند كل بلاء ، وارزقنا قلوباً وجلة من خشيتك ، خاشعة لذكرك ، منيبة إليك ، إنك على كل شيء قدير .

﴿بسم الله الرحمن الرحيم . قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ .﴾ .



الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

عظمة القرآن وإعجازه

الحمد لله الذي خلق خلقه ليرفعهم إلى مراقي السعادة ، بما يؤدون له من واجب العبادة ، وضمن لهم رزقهم ، كما أنشأ بقدرته خلقهم ، فقال -تبارك اسمه-: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ . إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ .[1]﴾ .

أراهم بظاهر قدرته أن كل شيء مسلم له ، فدلّهم بهذا على ان الإسلام سبيلهم الذي به يسعدون ، ومنهجهم الذي به يرتقون :

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ .[2]﴾ .

وكرّمهم بفضله فجعل لهم الخيرة من أمرهم ، في إيمانهم وكفرهم ، ولو شاء لاضطرهم إلى الإيمان به اضطراراً ، واقتسرهم على طاعته اقتساراً :﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا . .[3]﴾ .

---

١ – الذاريات : ٥٦ – ٥٨ .

٢ – آل عمران : ٨٣ .

٣ – الكهف : ٢٩ .

وأشهد ان لا آله إلا الله وحده لا شريك له ، لا تدحض حجته ، ولا تخفى محجته ، وأشهد ان محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، شفع القرآن بالبرهان ، وشد الفكرة بالفطرة ، ووصل الحكمة بالرحمة ، صلى الله عليه وآله عظماء البشر ، ومعاجز القضاء والقدر .

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ .(١)﴾ .

هكذا يتحدّى الله العرب وهم أمراء اللّسان ، ومن ورائهم كل ناطق وكل إنسان ، أن يأتوا بسورة من مثل القرآن -ان كانوا في ريب منه-، فلم يفعلوا ولن يستطيعوا أن يفعلوا ، وإن رفدهم جميع العالمين ، وظاهرهم عليه جميع المخلوقين .

وعجزوا ان يردّوا القول بالقول ، ويقرعوا الحجة بالحجة ، فلجؤوا إلى اتهامات العاجزين ، واصرارات الجاهلين :

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْماً وَزُوراً . وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً . قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً .(٢)﴾ .

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ .﴾ .

---

١ - البقرة : ٢٣ - ٢٤ .

٢ - الفرقان : ٤ - ٦ .

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ . .(١)﴾ ولا بقول كاهن ولا ساحر ..

قرآن كريم ، يجلو القلوب من صداها ، ويبصر النفوس من عماها، ويصدر العقول الظامئة بريها ، ويبين رشدها من غيّها ، هدىً ونور ، وشفاء لما في الصدور .

«إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ . فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ» ، منزه عما تنسبونه من إفك ، وما تتقولونه من افتراء .

«لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» ، ولا يتنزل بوحيه إلا الملائكة المقربون ، ثم لا يمسه من الناس إلا الذين تطهّروا لمسّه ، وتوقروا لدرسه ، «تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ».

﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ، وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ . ﴾ .

أفبكتاب الله تشككون ؟! ، وبعظمة دين الله وجلال حكمته تمترون؟!، إلا تبصرون النور الهادي والجلال البادي؟! ، أبما يحدثكم به القرآن من بعث الأجساد وحشر العباد ترتابون ؟! ، ألا تستمعون الحجج ، فتعرفون الفلج ؟!.

«أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ، وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ» ، وحظكم من الأخذ بهدى القرآن الكريم ، والنور العظيم «أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ» ، فلا تقبلون هدىً ، ولا تخشون ردى ، ولا تصيبون رشداً ، ولا تبلغون قصداً ؟! .

إنه لحظ بائس ، ونصيب يائس ، وما ظنكم بمن يستبدل بالنور ظلمة ، وبالرحمة نقمة ؟ :

---

١ - الحاقة : ٤١ .

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ.[1]﴾ .

أيّها المؤمنون ، هكذا يوضح الله دلائله ، ويقيم حججه ، لينتفع بها من ينتفع ، ويتبع الحق من يتبع ، فطوبى للمتدبرين لكتاب الله ، المتأدبين بآداب الله ، الذين عرفوا حرمة الكتاب ، واتبعوا نهجه ، وتداووا بطبّه من أمراضهم وسلكوا سبيله إلى غاياتهم وأغراضهم .

اتقوا الله -أيّها المؤمنون-، وكونوا من أهل القرآن ، ومن حملة دعوته، ومن أتباعه السائرين على طريقته ، ومن أنصاره المبلغين لحجته.

اتقوا الله ؛ فان دعوة الله أمانة الله في رقابكم ، لا خلاص لكم إلا بالوفاء بها ، ولا نجاة إلا بأدائها .

أعاننا الله وإياكم على ما حمّلنا ، ووفقنا لبلوغ ما أهلنا ، وحقق لنا الغاية التي أعدّ لنا .

اللهم إننا عبيدك الفقراء إليك ، الملتجئون إلى حصنك ، لا قوة لنا إلا بك ، ولا عزيمة لنا إلا بتسديدك ، ولا نجاة لنا إلا بهدايتك ، فخذ -اللهم- بأيدينا إلى ما ترضى ، وقنا شرور أنفسنا قبل الشرور ، واحفظنا من أهواء قلوبنا قبل الأهواء ، واجعلنا في وديعتك التي لا تضيّع ، وفي ذمامك الذي لا يخفر ، مما نخاف ونحذر .



---

١ - البقرة : ١٧٥ .

قبسات

من سورة النبأ

٢٦

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – في سورة النبأ

الحمد لله جاعل سر الحياة ، ومقدر أطواره في الحيوان والنبات ، ومسلسل أنواعه ، ومحدد غرائزه وطباعه ، ومطوره بحكمته وإبداعه ، ومنشئ وحداته ، وموجّه قواه وطاقاته ، ومحيّر العقول في كشف مبهمه، واستيضاح معجمه .

هيّأ الأرض لاحتضان هذا السر ، وسخر الكون لقضاء هذا الأمر ، ومهد لوجوده ألوف الموافقات ، ووفر لنموه وتسلسل بقائه ألوف الإعدادات، فلو قصرت درجات الحرارة عن تقديرها أو زادت لاستحال وجود الحياة ، ولو خفّت قوة الجذب عن تحديدها أو اشتدت لامتنع وجود حيوان أو نبات ، ولو اختلفت قوانين الحركة ، أو قوانين الضغط ، أو قوانين الأشعة ، أو قوانين الجو في تسييرها وتدبيرها ، ولو تغيرت أبعاد الكواكب السائرة ، والأفلاك الدائرة ، لما قام في هذه الأرض حي ، ولما نما في صعيدها شيء .

أنشأه بقدرته ولم يكن ، وأظهر بمشيئته بعد أن لم يبن ، ثم أودعه لتسلسل أنواعه في خلايا الأجنة ، وأعد لتكونها سبيلاً بعد سبيل ، وسنة بعد سنة ، وخلق الأزواج ، وسلسل المنهاج .

﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَأُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ . ﴾ .

وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، مفضّل الإنسان على مخلوقاته ومكرّمه ، ومختصّه بصنوف المعرفة وملهمه ، وأشهد ان محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، أرسله ليتم للإنسان سعادته ، ويدرك باتباعه غايته ، صلى الله عليه وآله صلاة تنطوي في حدودها كل صلاة ، وتبلغ بهم أشرف المقامات .

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ . عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ . الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ . كَلَّا سَيَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ . ﴾ .

أيّها المؤمنون ؛ سورة النبأ المباركة من أحفل السور المكّية العظيمة بعقيدة المبدأ والمعاد ، وإثباتها وبيانها ، والإفاضة في عرض برهانها ، وربط هذا الكون الكبير بخالقه ومدبّره ، وحث الإنسان المفكر أن يقتبس من دلائل هذا التدبير علماً ، ويصحح منه عقيدة وفهماً ، وأن يوقن -حق اليقين- ان رب المبدأ هو رب المعاد ، وان إله التكليف هو إله الإيجاد ، خلق الإنسان وفقاً لحكمة ، فلا بد وان يشرع له ديناً ليتم به عليه النعمة .

وقد ورد التحريض على قراءة السورة الكريمة ، لينال في تلاوتها أجراً كبيراً وثواباً ، ويفيد من التدبر في آياتها معرفة وآداباً .

فعن النبي ﷺ قال : (ومن قرأ سورة «عَمَّ يَتَسَاءلُونَ» سقاه الله برد الشراب يوم القيامة) .

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : (من قرأ «عَمَّ يَتَسَاءلُونَ» لم تخرج

سنته -إذا كان يدمنها في كل يوم- حتى يزور بيت الله الحرام) .

وقد بدئت السورة الكريمة باستفهام ملؤه تعجيب ، وملؤه استنكار وتضخيم .

«عَمَّ يَتَسَاءلُونَ ، عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ» ؟ .

عم يتساءل هؤلاء الجاحدون المنكرون ؟ ، عم يتساءلون فيما بينهم؟ ، وفيم يختلفون ؟ ، وبأي أمر يتردّدون ؟ .

أهكذا تستقبل الحقائق الهائلة ؟ ، أبهذا تدرأ الأخطار الماثلة ؟ .

يتساءلون ، ويختلفون ، ويشككون ، ويترددون ، يتساءلون ببرود ، ويتناقشون في تفكه ، كأن الحقيقة لا تهمّهم بشيء ، وكأن الأمر لا يستوجب العناية .

«عَمَّ يَتَسَاءلُونَ . عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ . الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ» ؟ .

لقد دعاهم الرسول ﷺ إلى توحيد الله ، ونبذ الأنداد عنه ، وتنزيهه عن الشركاء والوسطاء ، والتزام مناهج الإيمان ، واتباع هدى القرآن ، وحذرهم يوم بعثهم ، يوم يعرضون فيه على ربهم ، وأنذرهم بطشته ، وخوّفهم نقمته ، أفهذا النبأ لا يستوجب الاهتمام ولا يستحق ؟ .

كلا ؛ كلا ؛ إن النبأ أعظم من ان يتساءل عنه ، وان الحقيقة أضخم من أن يمترى فيها .

«كَلا سَيَعْلَمُونَ» يوم تتجلى الحقائق ، ويستبين عظم النبأ الصادق .

«ثُمَّ كَلا سَيَعْلَمُونَ» ، تهديد إثر تهديد ، ووعيد بعد وعيد .

وقد قيل -في تفسير النبأ العظيم-: إنه القرآن الكريم ، وقيل : إنها عقيدة البعث في يوم الدين ، وقيام الناس بين يدي رب العالمين .

والذي يظهر -من مجموع السورة الكريمة، ومن اجتماع الأدلة القويمة-، أن النبأ العظيم هو مجموع حقائق الإسلام .

ومن أجل ذلك ، كان مظهره الكامل علي (عليه أفضل الصلوات والسلام) ، وقد قال له الرسول ﷺ -كما في بعض الأخبار-:

(أنت الطريق إلى الله ، وأنت النبأ العظيم ، وأنت الصراط المستقيم) .

وقال عليه السلام في خطبة الوسيلة : (إني النبأ العظيم ، وعن قليل ستعلمون ما توعدون) .

النبأ العظيم : هو مجموعة عقائد الإسلام الراسخة ، وقواعده الشامخة ، ومناهجه التي تضمن للعالمين الخير الأعلى ، وتؤهّلهم للحياة الفضلى ، وإطلاق النبأ العظيم على علي عليه السلام من حيث أنه المثل الكامل للإسلام، وولايته القاعدة الكبرى التي يتوقف عليها بقاء النظام.

هكذا تبدأ هذه الآيات بالاستنكار ، وتنتهي بالتهديد .

ثم يتوجه السياق إلى حبك الآيات على إثبات ما يتساءلون ، وحشد الدلائل على النبأ الذي هم فيه مختلفون .

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا . وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا . وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا . وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا . وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا . وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا . وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا . وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا . وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاء ثَجَّاجًا . لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا . وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا .﴾ .

ألا يعون ؟ ، ألا يفكّرون ؟ ، ألا يتدبّرون ؟ .

لقد خلقت الحياة ونشأت ونمت ، ولكن كيف خلقت ؟ ، وكيف

نشأت ؟ ، وكيف نمت ؟ ، ومن خلقها وأنشأها وأنماها ؟ .

وكيف تخلق الحياة والإنسان ؟ ، وكيف تنشأ وتنمو إذا لم تجعل الأرض مهاداً ، والجبال أوتاداً ، وإذا لم يخلقوا أزواجا ، وإذا لم تتم النعم العظيمة الأخرى التي تمهّد للحياة ، ولنشأتها ونموها ؟ .

ألا يدلّهم هذا على ان في الكون يداً واحدة مدبّرة ، تمهد لبعضه ببعض، وتسيّره بحكمة واحدة ، وقوة واحدة إلى غاية واحدة ، ألا يفقهون ذلك ، فيوحدوا ربهم ، ويتراجعوا عن غيّهم .

عباد الله ؛ أقيموا عقائدكم على التفكير الواعي ، وثبتوا إيمانكم على التدبر الحكيم .

و﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ .﴾[1] .

جعلنا الله وإياكم من حملة كتاب الله الذين يتدبرون أسراره ، ويتّبعون أنواره ، ووفقنا لأن نتخذه منهجاً لديننا ، ودليلاً ليقيننا ، انه ارحم الراحمين .

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ . وَطُورِ سِينِينَ . وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ . لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ . ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ . إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ . فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ . أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ .﴾ .

---

١ - الحديد : ٢٨ .

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مقدر الأشياء ، وممضيها كما يشاء ، لا معقّب لحكمه ، ولا رادّ لقوله ، انتقضت إلا بالاعتراف به قوانين التعليل ، وعُقمت إلا بأمره قواعد التركيب والتحليل ، جل أن ينال من قدسه جهل الجاهلين، وعلا أن يحيط بكبريائه علم العالمين ، وقد تطاول بعض المتطفلين ، فرام ان يجحد مدبّره، فقال بقدم المادة وأزليتها ، وقال باستغناء معاليلها بعلّيتها ، وقال بتوالد الحياة توالداً ذاتياً ، وقال بتسلسل الأنواع تسلسلاً تصاعدياً ، وقال بفلسفة النشوء والاتقاء ، وقال : إن الأصلح هو الذي له البقاء .

ودار حوله نفسه والتوى ، وصد عن فطرته وانزوى ، فنهدت إليه المادة بذاتها تكذب قوله ، وبرز إليه قانون العلّية يثبت جهله .

إن المادة لا تستحق من نفسها الوجود فكيف تستحق الأزلية ؟ ، وان الحياة لا تتكون إلا بعلّتها فكيف تكون لها الولادة الذاتية ؟ ، وتعالى إله الكون عن رجم الظنون ، وعما يقول الآفكون .

وأشهد أن لا آله إلا الله وحده لا شريك له ، خاب من أشرك به ، وضل من أنكره ، وعمي من صدّ عن آياته ، وخسر من كذّب برسله ، وأشهد أن محمّداً ﷺ عبده ورسوله الذي شرح صدره ، وأعلى قدره ، ورفع ذكره ، صلى الله عليه وآله وسلّم ، وشرّف وعظّم ، وبارك وتكرّم .

«أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهادًا ، وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ، وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا» .

ألا يتفكر المتسائلون عن النبأ العظيم ، المختلفون فيه ، المشكّكون في صدقه ؟ .

ألا يتفكرون فيما حولهم من آية ؟ ، ألا يتدبرون ما فيها من حكمة وهداية ؟ ، ألا يبصرون أن كل ما في هذا الملك له قانون يسيّره ؟ ، فكيف لا يكون لهذا الإنسان دين يدبّره ؟ .

ألا يبصرون أن كل ما في هذا الملك خاضع لربه ، ومذعن لإرادته، فكيف يريدون لهذا الإنسان ان لا يعترف بعبادته ؟ .

لقد شهد بصدق الإسلام العظيم كل شيء يحتويه هذا الملكوت ، وأسلم وجهه مع محمد للحي الذي لا يموت ، فلمَ يختلفون ؟ ، ولمَ يتساءلون .

«أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا» : موطّأةً ممهدة ، مسهّلة مذلّلة ، نظرت القدرة العظيمة ذائبها فاشتدت ، ودحت قشرتها فامتدّت ، وأطفأت لهيبها وليّنت صليبها ، وفتّتت صخورها و......[كذا فراغ في الاصل] بحورها ، ووازنت حركاتها ، وضاعفت بركاتها ، وهيأت عناصرها وتربتها وجوها لقبول الحياة ، وفجرتها بالعيون والمياه ، وأخرجت ماءها ومرعاها ، ووجهتها للغاية التي أرادها الله وقضاها .

ألا يفكر الإنسان الغافل أي اثر للحياة يبقى على هذه الأرض لو اختلّت نسبة واحدة من هذه النسب ؟ .

ثم ألا تقضي هذه الإعدادات العظيمة عليه بالعجب ؟، ألا يوقن أن سر التكوين أعمق مما يرى ، وان غاية وجوده أكبر من ان يتغافل عنها مقصّراً ؟ .

عباد الله ؛ إنها مناهج للحياة لابد من معرفتها ، ولابد من قبولها ، ولابد من تطبيقها ، وليس بعد التقصير في شيء من ذلك إلا البوار الشديد ، والهلاك المبيد .

اتقوا الله -أيّها المؤمنون-، فان كل آن يمّر على ابن آدم هو مسؤول عن تطبيق مناهج الله فيه ، على نفسه وذويه ، في كل ما يأخذ ويذر ، وفي كل ما يقول ويعمل .

اتقوا الله ولا تخادعوا عن أنفسكم ، ولا تغالبوا على أمركم ، إنها نجاتكم -أيّها الطيبون-، وما بعد النجاة إلا الدمار ، وإنها منازلكم وما بعد الجنة إلا النار ، وإنها زمركم وما بعد الطاهرين من محمّد وأبنائه إلا الشقيون الخبيثون من أعدائه ، فانظروا لأنفسكم في أي الزمرتين تحشركم أعمالكم ، والى أي الفريقين تجعلون مآلكم .

انه العمل -أيّها الأحباء-؛ انه العمل ، به لا بسواه يتحقق الأمل ، وإنها التقوى ؛ إنها التقوى ، بها لا بغيرها تدرك الغاية القصوى ، ومن الخطل بالإنسان أن يكون احد رجلين : محب شديد الحب وهو يسعى جاهداً لفراق حبيبه ، وعدو بيّن العداوة وهو يعمل لإرضاء عدوه ، ويقتدي به .

انه العمل ، وانه الإتباع ، وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . [1]﴾ .

اللهم بعونك تتحقق الآمال ، وبتوفيقك تصلح السرائر والأعمال ، وأنت الذي فتحت باب الرجاء للسؤال ، اللهم فأصلح منا ما يضرنا فساده ، وبلّغنا ما يضرّنا فوته ، ويسّر لنا ما يصعب علينا بلوغه ، وأعنا على ما يجب علينا تداركه ، انك على كل شيء قدير .

---

١ - آل عمران : ٣١ .

اللهم رب محمّد الذي هديت به الأمم ، وأتممت به النعم ، وأنرت به الظُلَم ، حقق اللهم له في أمته رجاه ، ووفقهم لنيل رضاك ورضاه ، واجزه عنا الجزاء الأوفى ، وبلّغه من رضوانك المقام الأسنى .

اللهم أعل درجته ، واظهر حجته ، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته ، اللهم وكما جاهد الأقربين والأبعدين في إعلاء كلماتك ، فصل عليه وعلى آله الطاهرين بأفضل صلواتك .

اللهم صلّ وسلّم على المنتجب من أكرم سلالة ، والمصطفى لأعظم رسالة ، صاحب الشفاعة العظمى ، والصاعد إلى ابعد مرتقى ، إذ أوحى إليه ربه ما أوحى ، سيدنا أبي القاسم محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله .

اللهم صلّ وسلّم على أول الناس إسلاماً ، وأشدهم في سبيل الله خصاماً، وأوفاهم في المقامات ذماماً ، المؤتمن على الدين ، والحجة على الخلق أجمعين ، أبي الحسن علي أمير المؤمنين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على أم أبيها ، وشفيعة العصاة من محبيها ، الصديقة العليمة ، والصابرة على المصائب الأليمة ، والدة الأئمة المرضيين ، أم الحسنين فاطمة سيدة نساء العالمين عليها السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الكلمة الحسنى التي يفوز من تقبّلها ، والعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، سبط الرسول المؤتمن ، والجنة الواقية من صروف الزمن، سيّد شباب أهل الجنة أبي محمّد الحسن عليه السلام.

اللهم صلّ وسلّم على الصابر على شديد البلاء ، والوسيلة المقبولة لإجابة الدعاء ، من لاذ فطرس بمهده ، وتسلسلت الإمامة في ولده ، قتيل الظماء ، وغسيل الدماء ، أبي عبد الله الحسين سيّد الشهداء عليه السلام.

اللهم صلّ وسلّم على أمان الله للعالمين ، وصراطه الذي أقامه

لنجاتهم أجمعين ، مقصد العافين لإدراك المراد ، وأبي الأوصياء الأمجاد ، أبي محمّد علي بن الحسين السجاد عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على المعصوم بنص الكتاب ، والمفروضة ولايته في جميع الرقاب ، باقر علم الدين ، والعالم بتأويل الكتاب المستبين ، المرتقي إلى ذروة المفاخر ، أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على القيم على حجج الحق وبنيانه ، والأمين على محكمات الكتاب ومتشابهاته ، ملجأ الخائفين إذا التحمت المضائق، وتبرّأ منهم القريب الملاصق، أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على المحبو بالمكانة العلية ، والمرجو لحل كل قضية، الذي لم تمنعه القيود الثقيلة عن أداء سجدته الطويلة ، المعصوم من المآثم ، أبي إبراهيم موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على رضي الأوصاف والسمات ، والغياث المرجو للملمّات ، ضامن النجاة لزائريه ، وكافل الشفاعة لمتّبعيه ، خليفة الله الذي ارتضى ، وائتمنه على مكنون القضاء ، أبي الحسن الثاني علي بن موسى الرضا عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على المنصوص عليه لمقام الإمامة ، والمعيّن من الله -سبحانه- لتلك الزعامة ، أمين الله على حدوده ، وقيّمه على بينات توحيده، ذخيرة العباد لأهوال المعاد ، أبي جعفر محمّد الجواد عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على وارث المجد العلوي ، ومستودع السر النبوي، من كفيته حيل الأعداء ، وأريتهم عجائب الآيات إذ توسّلوا به في الدعاء ، ذي المنن والأيادي ، على الموالي والمعادي ، أبي الحسن علي الهادي عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على وسيلة النادم إلى ربه ، للفكاك من أسار ذنبه، والمولى الذي لا نجاة إلا بحبه ، المؤدي الكريم ، والناصح العليم ، ذي الحسب العلي ، والخلق الرضي ، أبي محمّد الحسن بن علي عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على مظهر رحمتك ، ولسان عدلك وحكمتك ، اللواء المنشور ، للحق المشهور ، والولي المنصور ، للدم المهدور ، عبدك الذي ائتمنته على الغيوب ، وبرأته من الأدناس والعيوب ، وأظهرت به السر المحجوب ، الفرج الذي بشّرت به الأديان ، والعدل الذي يحطم الجور والطغيان ، الحجة المهدي صاحب العصر والزمان عليه السلام .

اللهم ارو به الصدور الظامئة ، واجل به القلوب الصادئة ، وأزل به الأحقاد ، وزكّ به نفوس العباد ، وطهّر به أرضك من الفساد .

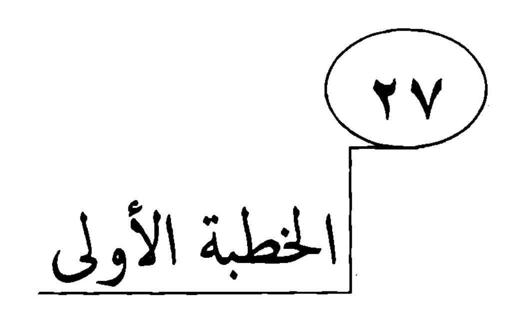
اللهم اجعله في كنفك الذي لا يرام ، وانصره بنصرك الذي لا يخذل ، وأيده بجندك الغالب ، وألبسه درعك الحصينة ، وأردفه بملائكتك المقربين .

اللهم وامنن علينا بمشايعته ، والثبات على طاعته ، واجعلنا في حزبه ، ومن خيار صحبه ، والمبتغين رضاك بمناصحته في سلمه وفي حربه .

اللهم واغفر لعبادك المؤمنين والمؤمنات ، واحرسهم من الطوارق ، وثبتهم عند المزالق .

وتجاوز بفضلك عن ميّتهم وحيّهم ، ووسع على فقيرهم ، وبارك لغنيّهم، انك مجيب الدعاء .

بسم الله الرحمن الرحيم ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ .﴾ .



بسم الله الرحمن الرحيم

٢ – في سورة النبأ

الحمد لله الذي تشابهت مظاهر قدرته ، وتناسقت بدائع حكمته ، وتساندت قوانين تدبيره ، وتراشدت سنن تقديره ، فقوانين الفلك تمد قوانين الأرض وتستمد منها ، ونظم الطاقة تشد نظم المادة وتشتّد عنها، وفيزياء الحياة تعتضد بكيميائها ، وجوامد المادة تشتبك مع أحيائها ، وقوانين حركتها تنسجم مع قوانين أضوائها ، وترابطت بأمره سنن الملكوت بعضها ببعض ، وتناسبت أفعالها ونسبها في السماوات والأرض ، فلا فتور ، ولا فطور ، ولا حسر ، ولا حصر ، ولا تزيّد ولا قصر ، بل اعتدال حكيم ، وتناسب قويم ، دبّرته رحمة رؤوف رحيم .

فوا عجبا كيف يعصى الإله	أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة	وفي كل تسكينة شاهد
وفي كل شيء له آية	تدل على انه واحد

وأشهد ان لا آله إلا الله وحده لا شريك له ، له صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي ، وسرّي وعلانيتي ، وأعوذ بكبريائه من ان اجعل له كفواً أحداً ، أو انسب له صاحبة أو ولداً ، أو أضيف إليه معيناً أو

عضداً، وأشـهد أنّ محمّـداً ﷺ عبـده ورسـوله ، حمّلـه أثقـل الأعبـاء ، واختصه بأعظم الأنباء ، وتوّجه إماما للأنبياء ، وابتعثـه ليصـل الأرض بالسماء ، صلى الله عليه وآله سادات الأوصياء .

أيّها المؤمنون ؛ ميزة القرآن العظيم أنه الكتـاب الـذي انـزل لهدايـة العصور، والطب الشافي لأمراض جميع الصـدور ، وانـه البرهـان الـذي يهتدي به الناس على اختلاف منـازلهم في العلـم ، وتباعـد مـراتبهم في الإدراك والفهم ، فينال كل فرد مـن النـاس مـن هـدى القـرآن بمقـدار معرفته ، ويدرك من معاني آياته بحسب درجته ، ثم هو يتوجـه بـالجميع إلى غايته ، ويفي لهم جميعاً بكامل هدايته .

وهذه بعض نـواحي الإعجـاز في الكتـاب الكـريم ، وهـي بعـض مؤهلات الخلود للإسلام العظيم ، فلا يقصـر بهـؤلاء ولا بهـؤلاء عـن الغاية ، ولا ينقص أحداً نصيبه من الهداية .

لا تقعد بالبدوي البسيط بدائيتـه ان يأخـذ حظـه مـن رشـده ، ولا تنحرف بالفيلسوف المعقد فلسفته ان يصيب نصيبه من رفده ، ولا تنشر بالعالم المتبحر معرفته وعلمه ان يفيد هداه من عنده .

وكذلك ذكرت سورة النبأ المباركة ثبتـاً لكـثير مـن آيـات الكـون ، وأشارت إلى عدد ضخم من عجائبه ، وقبس الناس من هداها على قدر معارفهم ، وأصابوا من رشدها على حسـب مـداركهم ، وتقـدم العلـم الكوني في يد الإنسان ، واتسعت آفاقـه ، فلـم تـزدد آيـات الكتـاب إلا هدىً ، ولم تزدد إلا نوراً ، ولم يزدد العلماء منها إلا بصيرة .

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً . وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾ ؟ .

دحا بقوته الأرض ووطّدها ، وذلل مناكبها ومهّدها ، واعدّ كل مـا

فيها لمنافع الإنسان وسعادته ، وسخّرها وطوّع قوانينها لإرادته ، وألهمه كيف ينتفع بالأشياء ويستثمرها ، وعرّفه كيف يستخدم قوانين الطبيعة ويسخّرها ، ووتدها بالجبال الراسية ، والصخور القاسية ، ليمنعها من الاضطراب ، ويؤمنها من الانقلاب ، ليوازن في الثقل بين أجزائها فلا تميد ، ويعادل ما بين أطرافها في النسبة فلا تضطرب في حركتها ولا تحيد، فإن جوف الأرض مكتنز بالمواد الجائشة ، وممتلىء بالحركات الطائشة ، فلو لم تعادل منخفضات البحار بشامخات الجبال لمادت الأرض وعظم اضطرابها ، وتزلزلت وأوشك انقلابها ، على ان حركة الأرض المتواصلة يتوقف انتظامها على هذه المعادلة .

﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ وهذا هو السر المكنون ، والعلم المخزون.

أيّها المؤمنون ؛ يقول بعض الماديين : التقت بعض المواد ببعض بطريق المصادفة ، على نسب معيّنة ، فتكونت الخلية الأولى للحياة ، ثم تولّدت .

ويقول آخرون : وفدت الخلية الأولى من بعض الكواكب على سبيل الاتفاق ، فاستقرت على هذه الأرض ثم تعقدت .

ولا نقول لهم: إن هذه المصادفة أمر لا يقرّه العقل ، ولا يعترف به العلم .

ولا نقول لهم: إن التولد الذاتي للحياة إنما نشأ القول به من الوهم.

ولكن الفكر الواعي يقول لهم : ان هذه الخلية المزعومة إنما هي خلية بسيطة واحدة ، فكيف تلد جنسين مختلفين ذكراً وأنثى ، يتحدان في الشكل، ويفترقان للنسل ؟ .

مَن الذي أوجد للإنسان الأول الإنسانة الأولى ، ثم فرّعهما وسلسل بعدهما نوعهما ؟ ، ومن الذي خلق لكل ذكر أنثاه ، ولكل أنثى ذكرها ، وجمعهما بالحكمة ، وألّف ما بينهما بالمودة والرحمة ؟ .

ومن الذي ألهم نطفة الذكر بعد أن تلتقي ببويضة الأنثى ان تكوّن جنيناً ذكراً ، أو جنيناً أنثى ؟ ..

من الذي هداها ان تختار احد السبيلين ؟ ، ومن الذي يسّر لها سبيلها إلى إحدى الغايتين ؟ ، ومن الذي ألهمها ما لا يزال الإنسان يجهل أكثره من أسرار التكوين ، وتطورات الجنين ؟ .

من الذي صنع كل أولئك غير ربها ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى . وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى .﴾ .

والذي ﴿خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى . مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى .﴾ .

﴿والذي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .﴾ .

عباد الله على مثل هذه الحجج الراسية ، تؤسس العقيدة الواعية ، وعلى هذا الأس القويم ، يقام صرح الإيمان العظيم ، وبالتزام هذه المناهج ، يرتفع الإنسان إلى قمم الفضائل ، ويبوّأ أشرف المنازل .

تنبهوا ففي الحوادث ما ينبهكم ، وتوجهوا ففي مواعظ الله ما يوجهكم ، واتقوا الله فلا نجاة لكم إلا بتقواه ، وخافوه فلا أمان لكم إلا بخوفه، واعملوا صالحاً فلا جدوى للإيمان إلا بالعمل .

﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .﴾ .

وإن ابلغ المواعظ وأشفاها للصدور ، وأوفاها بالأمور ، قول الله العظيم في كتابه الكريم :

﴿بسم الله الرحمن الرحيم . وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا . فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا . فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا . فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا . فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا . إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ . وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ . وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ . أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ . وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ . إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ .﴾ .



الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الزوجية والسبات من حاجات الإنسان

الحمد لله الذي مكّن للإنسان أن يريه آياته في الخلق ، حتى يتبيّن له انه الحق ، وعد وعده إياه في كتابه ، أن يمكنه له من أسبابه ، ويوقفه على أبوابه، فأراه من بدائع القدرة في نفسه وفي الآفاق ما يعجز الحساب، ويدهش الألباب ، وبصّره بعض ما فيها من عجائب التكوين، وكشف له عن بعض ما تحويه من الأسرار والقوانين .

وقد أثبت له العلم الكوني بجميع فروعه وشعبه واختصاصاته واتجاهاته أن كبير الموجودات ليس أدل على القدرة من صغيرها ، وأن إنشاء المنشآت ليس أقوى برهاناً على الحكمة من إبقائها وتدبيرها ، حكمة ناطقة ، ودلالة صادقة ، تنير السبيل لمن رام الهدى ، وتقيم الحجة على من صدف واعتدى .

وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، انتهت إليه الأسباب فهو مسبّبها ، وانقادت لأمره المقادير فهو مصرّفها ومقلّبها ، ذل من يبتغي العزّة من سواه ، وهلك من طلب النجاة إلا بتقواه ، وأشهد ان محمّداً ﷺ عبده المصطفى ، ورسوله المصفّى ، ودليله إلى التي هي أزكى، صلى الله عليه وعلى آله أبواب الهدى .

«وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً» ، أنشأ بقدرته الذكر الأول من كل نوع ، وأتم خلقه ، ثم برأ له أنثى من جنسه ، وزوجاً من نفسه ، تتحد معه في

الصورة ، وتختلف عنه في ركائز الأنوثة والذكورة ، وركّب فيهما غريزة التجاذب الجنسي ، ليتسلسل النسل ، وتستقيم الحياة ، وأعدّ كلاً منهما لوظيفته ، ومكّن حبّ ذلك في طبيعته ، ثم سلسل النسل ، ووزّع الحمل، ووجّه النطفة التي تمنى ، فجعل منها -على سابق علمه ، ونافذ تقديره- ذكراً أو أنثى :

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . [1]﴾ .

«لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا» ، لتجدوا لديها السكون النفسي والراحة الطبيعية ، فيخف على كل من الزوجين حمل الأعباء ، وأقام صلتكم بهن على المودة والرحمة ، لتغرس هذه البذور الطيّبة في طبائع الأبناء .

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً . وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً . وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً .﴾ .

وفطر الله هذا الكائن كاداً كادحاً عاملاً ناصباً ، يكدح لحياته ، ويكدح لضروراته ، ويكدح لمعاشه ، ويكدح في جميع أعماله وحراكه ، ويكدح حتى في تحصيل علومه وكيفيات إدراكه ، فهو مفتقر إلى الراحة من هذا العناء الدائم ، وقواه مفتقرة إلى التجديد من جرّاء هذا الجهد الملازم ، ومن حكمة الله ان جعل له النوم سباتاً ، يقطعه عن حراكه وإدراكه ، ويجدد له قواه وأعصابه .

والسبات : هو قطع العمل ، والنوم ضرورة لكل حي ، لا بقاء له

١- (الروم : ٢٠-٢١) .

بدونها إذا كان متّزن الطبيعة ، وهو كذلك سر لم يفقه الإنسان حقيقته ، ولم يعرف كنهه ولا طريقته .

كيف تغلب القوى ، وكيف تقهر ؟ ، وكيف تذلّ الإرادة ، وكيف تجبر ؟ .

وما هي القوة التي تخاذلت لها الأطراف ، واستسلمت لها الجوارح والأعطاف ؟ ، إنه سر يعلمه مقدّره ، وقانون وضعه مدبّره .

وقسمت القدرة الحكيمة هذا الزمان بحسب حاجة الإنسان فجعلت الليل للنائم الساكن لباساً يستره ، وجعلت النهار للعامل الكادح معاشاً ينشره ، وواءم –سبحانه– بين حركات الكون والكائن ، ووفى بحكمته حاجة المتحرك والساكن .

أيّها المؤمنون ؛ هذه بعض نعم الله على هذا المخلوق ، فهل يقوم بشكرها ؟ ، وإذا هو لم يشكرها ، فهل يمنعه الخجل عن كفرها ؟ .

عباد الله ؛ اتقوا الله ؛ ولا تقابلوا نعمه بالعصيان ، ولا تجازوا آلاءه بالكفران ، لقد مدّ يده نحوكم بالرحمة ، فهداكم إذ ضلّت الناس عنه سبيلاً ، وبصّركم إذ تنكبت من كتابه دليلاً ، وما أولاكم منه هذه العناية ليضلّكم فلا تبعدنّكم الأعمال عنه فتستوجبوا مقته ، وتستحقّوا أخذه ، اتقوا الله واحذروا مساخطه ، فانه لن يغضب على عبده ما لم يضق به حلمه ، ولا يحل به نقمته حتى تضيق عنه رحمته .

اللهم إننا عبيدك الفقراء إليك ، الملتجئون إلى حصنك ، لا قوة لنا إلا بك ، ولا عزيمة لنا إلا بتسديدك ، ولا نجاة لنا إلا بهدايتك ، فخذ بأيدينا إلى ما ترضى ، وقنا شرور أنفسنا قبل الشرور ، واحفظنا من أهواء قلوبنا قبل الأهواء ، واجعلنا في وديعتك التي لا تضيع ، وفي

ذمامك الذي لا يخفر مما نخاف ونحذر .

اللهم وبلّغ نبينا محمّداً وآله الميامين أفضل التحيات بما بلّغوا من وحيك، وصدعوا بأمرك ونهيك ، وارفعهم إلى اشرف المقامات ، ولقّهم أعظم الكرامات ، وصل عليهم بأفضل الصلوات .

اللهم صلّ وسلّم على نورك الذي جلوت به الظلمات ، وبرهانك الذي ختمت به الكلمات ، حبيبك من العالمين ، وصفيك من البرية أجمعين ، محمّد بن عبد الله خاتم النبيين ﷺ .

اللهم صلّ وسلّم على وليه على عهده ، وخير الأمة من بعده ، قبلة العارفين ، وعلم المهتدين ، وثاني الخمسة الميامين ، الذين افتخر بهم الروح الأمين ، وباهل الله بهم المباهلين ، أبي الحسنين علي أمير المؤمنين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على المطهرة من الرجس ، المفضلة من الجن والإنس ، المتردّدة بين محال القدس ، الصديقة العالمة ، وكريمة المبدأ والخاتمة ، بضعة خير النبيين ، فاطمة سيدة نساء العالمين عليها السلام .

اللهم صلّ وسلّم على رضيعي معارف الرسالة ، وربيبي حجور الهداية والدلالة ، الآيتين المحكمتين ، والحجتين النيرتين ، والريحانتين الفواحتين ، سيدنا أبي محمّد الحسن ، وسيدنا أبي عبد الله الحسين عليهما السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الولي الذي شهد بفضله معادوه ، وأقرّ بمناقبه جاحدوه ، مولى الأنام والمتهجد في جنح الظلام ، سيّد الزهّاد ، وحجة الله على العباد ، أبي محمّد علي بن الحسين السجاد عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على سبيل الهدى فلا يضل سالكه ، ومنهج

الرشد فلا تخفى مداركه ، المثل السائر ، في الفضائل والمآثر ، أبي جعفر الأول محمّد بن علي الباقر عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على محيي معالم الدين ، وقامع شبه الملحدين ، خازن العلوم ، وحجة الحي القيوم ، الناطق إذا خرست الشقاشق ، والشافع إذا استعلنت الحقائق ، أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على فخر العجم والعرب ، وأفضل من تعبد واقترب ، ذخيرة النادم ، لإقالته من موبقات المآثم ، أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على وليك وخليفتك ، وعبدك الذي نصبته إماما لخليقتك ، مأمن الخائفين من الردى ، وقائد العارفين إلى الهدى ، أبي الحسن الثاني علي بن موسى الرضا عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على عصمة من اعتصم ، إذا ناب الخطب وادلهم، ومفزع الأمم ، إذا خافت زلة القدم ، طاهر الميلاد ، وزكي الآباء والأجداد ، أبي جعفر محمّد بن علي الجواد عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على عبديك ووليبك المعصومين من لغو المقال ، ومدانس الأفعال ، والمحبوين بأكرم الخلال ، في كل مجال ، وارثي المجد النبوي، والشرف الحيدري ، أبي الحسن علي بن محمّد الهادي ، وأبي محمّد الحسن العسكري عليهما السلام .

اللهم صلّ وسلّم على وارث علوم النبيين ، وحافظ أسرار رب العالمين ، وبقية الله من الصفوة المنتجبين ، نور الله الذي لا تخفى شواهده ، وباب الله الذي لا يخيب قاصده ، كلمة الرحمان ، وأمانة

لأهل الإيمان ، سيدنا أبي القاسم صاحب العصر والزمان عليه السلام .

اللهم حقق لنبيك ما وعدته من النصر ، وعجل لوليك ما أعددته له من الأمر ، اللهم أقر بظهوره عيون المؤمنين ، وأزل بسيفه كيد المعتدين ، اللهم انشر به السلام ، وأعز به الإسلام ، وأنر به الظلام ، وأحي به دوارس الأحكام .

اللهم وأسعدنا بدولته ، واجعلنا من أهل دعوته ، وثبت قلوبنا على معرفته ، وانصرنا على القوم الظالمين بعزته ، اللهم حقق بحرمته رجاءنا ، واستجب به دعاءنا ، وأصلح به ديننا ودنيانا ، وأسعد به آخرتنا وأولانا .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، وارفع لنا ولهم الدرجات ، واكفنا وإياهم جميع المهمات ، ووفقنا معهم للباقيات الصالحات ، انك جامع الأصوات مجيب الدعوات .

بسم الله الرحمن الرحيم ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ .



٢٨

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

٣ – في سورة النبأ

الحمد لله الذي بسط دلائله ملء الآفاق ليتبينها كل ناظر ، وليقيم الحجة على كل باد وحاضر ، ونوَّعَها ليهدي بها مختلف البصائر .

كيف يجحده الفكر وهو بعض آياته ؟ ، وكيف يجهله وهو مدبره في جميع خطواته وخطراته ؟ ، وكيف يضل عنه وهو هاديه في حالك ظلماته ؟ .

قدّر للإنسان سمعه وبصره ، فهل عرف ما في سمعه وبصره من السر العجيب ؟ ، وما تشتمل عليه عينه وأذنه من دقيق التركيب وبديع الترتيب ؟ ، انه لو أدرك هذا السر وحده من أجهزته الكثيرة لوقف باهتاً ، ولركع لمدبّره قانتاً .

هل علم أن كل واحدة من عينيه تتكون من طبقات متراصفة ، وعدسات متآلفة ، صلبه وقرنية ، ومشيمة وشبكية ، وان الشبكية وحدها –وهي آخر العدسات– تتكون من تسع طبقات ، وان آخر طبقاتها الداخلية تتألف –على ما يقول العلم الكوني الجديد– من ثلاثة ملايين مخروط ، وثلاثين مليون عود ، وقد رصفتها الحكمة ترصيفاً ، والّفتها لأداء مهمتها تأليفاً ؟ .

وهل علم أن في العين الواحدة مائة وثلاثين مليوناً من الأعصاب التي تستقبل الضوء، تجمعه في بؤبؤ العين جمعاً، ثم تسيّره بما في آخر العين من الأسلاك، إلى جهاز الإدراك، وهذا عدى المياه التي أودعت ما بين العدسات لتنكسر عليه الصور، ويستقيم البصر، والأجفان الموكلة بحراسة العين، وقنوات الدمع الذي يطهّرها، والأعصاب الكثيرة والأوعية المختلفة التي تدبرها، وما سوى ذلك من مدهشات الحكمة، وآثار الرحمة ؟ .

واشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، واشهد أن محمّداً عبده ورسوله صلى الله عليه واله المطهرين المنتجبين .

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا . وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا .﴾ .

سبع سماوات قد احكم بناؤها، وأتقن إنشاؤها، لا ينال من قوتها تعاقب الدهور، ولا يبدل من حكمتها تقلّب الأمور، ولا تضعف ما في أفلاكها ونجومها من حركة دائبة، ولا يهن ما وقّت لها من نظم راتبة .

يرفع الإنسان الواعي طرفه المجرد، فيرى أنوارها المتلألئة، ملء آفاقها المترامية، ويبصر حركاتها الموقوتة، وقوانينها المحدودة، ويعرف صلتها بحياته وآثارها في معاشه، وفي ما حوله من الأشياء والأحياء، فيوقن -حق اليقين- أن لجميع هذه الكائنات قانوناً واحداً يحكمها، ومدبّراً فرداً ينظمها، ويحيط بجميع نواحيها ويعلمها .

ويوجه العالم مناظيره، ويسدّد مجاهره ومراصده، فيبصر ألوفا من الآفاق وراء الآفاق، وألوفا من الأكوان خلف الأكوان، وألوفا من العوالم بعد العوالم .

ويرى كل شيء في هذه الآفاق والأكوان والعوالم يسير بحركة واحدة ، وبقانون واحد ، وبحكمة واحدة .

ثم ضخّم مناظيره ، وضاعف مراصده ، فأبصر أضعاف ما أبصر ، وأثبتت له المشاهدة صدق ما قدّر ، وهو لا يزال يسير ليرى ، ثم هو يعلم -حق العلم- أن هذه العوالم كلها تتحد مع هذا الكون وهذا الخلق بالحكمة ، وتتعاضد لإتمام النعمة .

«وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا» ، هذه الشمس المنيرة التي تشرق بالضوء ، وتشعّ بالحرارة ، وتمد بالطاقات ، وتبعث الحياة ، وتعطي الحركات ، وتضيء الظلمات ، وتصدّر إلى الأرض ما تفتقر إليه في بقائها ، وفي نمو أشيائها ، وتسلسل أحيائها .

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا . لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ .

ورفعت القدرة العليمة من غازات هذه الأرض وذائبها، ومصعدات مائها الذي يجري في مناكبها ، وجمعتها مُزُناً وسُحباً ، وحملتها على متون الرياح جبالاً وكُثُباً ، ودفعت بها إلى أعالي الجو ، والّفت منها العناصر المتفرقة ، وأثقلتها بالمياه المتدفقة -(والمعصرات : هي السحائب إذا حان وقت إمطارها)-، ثم أمرتها فانهمرت ماءً ثجّاجاً ، انصب على تربة الأرض فأحيا مائتها ، ونضر نابتها ، وأخرجت ثمراً شهياً ، وحباً زكياً ، ونباتاً طرياً ، وجنات وارفة الظلال، ملتفّة الأغصان .

ألم ننعم على ابن ادم هذه النعم الكبرى ؟ ، ألم نوفّر له أسباب الحياة ، ونقدر مناهجها ، ونعدّ جميع ضماناتها ؟ .

فما باله ينسى ربه الذي واتر عليه كل هذه النعم ؟ ، ويتساءل

معرضاً عن الدين الذي انزل إليه .. عن النبأ العظيم الذي يريد ليسعده به في هذه الحياة ، ويتم به عليه النعمة بعد الممات ؟ .

وهل وجد في تدبير هذا الرب العظيم إلا ما يسعد ؟ ، وهل يملك أن يخرج عن قبضته إذا هو لم يَنقَد ؟ ، ماذا يرقب ؟ ، وفي أي واد يسلك ؟ ، وهيهات المنجا .

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا . يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا . وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا . وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا .﴾

يَوْمُ الْفَصْلِ ، وما أدراك ما يوم الفصل ؟ ، انه يوم الفصل وكفى ، فالكلمة نفسها تحيط بمعناها .

يَوْمُ الْفَصْلِ بين الناس ، فلا ظلم ولا مظلوم ، ولا غلبة ولا مغلوب ، ولا عدوان ولا عادٍ .

ويوم الفصل بين الحق والباطل ، فلا لبس في حق ، ولا ستار على باطل ، ولا حجاب على عمل ، ولا غشاء على نية ، ولا غطاء على قلب ، فكل عمل باد ، وكل عامل مَجزيّ وموفى جزاءه .

«إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا» ، حداً مضروباً ، وموعداً مكتوباً ، ينتهي إليه الناس ليروا أعمالهم ، ويبصروا ما لهم ، كتبته يد القدرة التي أنشأت الكون ، وجعلت لكل شيء فيه أمدا ، وأناطت كل موجود بغاية ، ووضعت لكل غاية موعداً .

«يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا» .

الصّور ؛ وما هي الصّور ؟ ، وكيف ينفخ في الصور ؟ .

أمور استأثر بها الغيب المكنون ، وأمر أن يؤمن بها المؤمنون ،

والقرآن الكريم يذكر أن للصور نفختين ، فقد قال في سورة الزمر :

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ .﴾ .

نفخة واحدة يصعق لها من في السماوات ومن في الأرض ، ثم نفخة واحدة أخرى تسمعهم وهم أموات ، وتنشرهم وهم رفات ، يا لَلهول الهائل، والخطب النازل .

ثم ما مع هذه الصيحة المفزعة ، والزجرة المهلعة ، انقلاب نظام الكون عاليه وسافله ، وانفراط عقدة خرابه وآهله .

«وَفُتِحَتِ السَّمَاء فَكَانَتْ أَبْوَابًا . وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا» .

فالعدة ؛ العدة -عباد الله- لهذا اليوم العظيم ، واليقظة ؛ اليقظة من هذا السبات المقيم ، اتقوا الله واحذروه ، اعملوا لمرضاته يبلغكم رضاكم ، وادّرعوا تقواه يؤتكم تقواكم ، اشكروا نعمته يزدكم بفضله ، وخافوا عذابه يؤمنكم بطَوله ، فقد بين لكم عظاته في نواصع آياته .

﴿بسم الله الرحمن الرحيم . الْقَارِعَةُ . مَا الْقَارِعَةُ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ . يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ . وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ . فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ . وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ . نَارٌ حَامِيَةٌ .﴾ .



الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

يوم الفصل وما بعده

الحمد لله الذي لا تنتهي نفحات جوده ، ولا تّمحي سبحات وجوده ، أنشأ الإنسان على ما شاء من أبدع صور الامكان ، وكم جعل في تكوينه من آية بينة ؟ ، وكم ضمن في تركيبه من حكمة متقنة ؟ .

فهل عرف الإنسان من عجائب صنعه ، ما أودعته القدرة في حاسة سمعه ؟ .

هل فكر في وضع إذنه الخارجية ، كيف أعدت لاستقبال تموجات الصوت باهتزازات الهواء ، ونقلها بأمانة ودقة إلى الأذن الوسطى ؟ .

هل فكّر في آليته الذي افتنّت فيه القدرة ، فوضعت فيه ما يحيّر الفكرة؟.

جهاز صغير بمنتهى الصغر ، قالوا انه مجهري لا يدرك بالبصر ، يحتوي على أربعة آلاف قوس لولبية صغيرة، وعلى ما يناهزها أو يزيد عليها من أقنية نصف مستديرة ، قد نظمت الألوف منها وصففت ، ووصلت بعصب السمع ورصفت .

هل علم أن في أذنه -وراء ذلك- مائة ألف خلية سمعية ، وما لم يحصه العلم من أهداب دقيقة عصبيه ؟ .

هل علم كيف يستقبل الصوت ؟ ، وكيف يدخل ؟ ، وكيف يمر إلى أعصاب السمع ؟ ، وكيف ينقل ؟ .

وهل أيقن أن اليد التي خلقت الهواء وسخرته لنقل الأصوات ، هي التي خلقت الأذن وأعدّتها لإدراك المسموعات ؟ .

وتعالى خالق الإنسان أن يحدّد قدرته بيان ، أو يفي بثنائه لسان .

واشهد أن لا اله إلا الله وحده ، لا شريك له في جبروته ، ولا ظهير معه في تدبير ملكوته ، واشهد أن محمّدا ﷺ عبده ورسوله صلى الله عليه وآله السادة الميامين .

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا . يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا . وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا . وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا .﴾ .

أفي هذا اليوم يرتابون ، وعنه يتساءلون ؟ .

إنه لأمر شديد الغرابة ، أن ينذر الإنسان بخطر داهم ، فلا يوجل ولا يحذر ، ولا تستبين عليه رهبة ، ولا يتخذ له أهبة .

قفوا عند حدودكم -أيها المتسائلون- عن النبأ العظيم ، المتجاهلون للخطب الجسيم ..

قفوا عند حدودكم ، فكل شيء مما حولكم يعرّفكم أنه إنما خلق لحكمة، وأنه متوجه إلى غاية ، والإنسان هو المخلوق الأسمى في هذه الأرض، فلا يمكن أن يكون مخلوقاً عبثاً ، أو أنه متروك سدى .

ارتدعوا فقد أفصح النذير ، وأوشك أن يعلن النفير ، «يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً» : زمراً ، زمراً ، ناكسين من الذل ، مهطعين من الهول .

ماذا عرى السماء الشديدة البناء ، تشققت فكانت أبواباً ، وماذا دهى الجبال الراسية نسفت فكانت سراباً .

وفي سورة القارعة : ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ .﴾ .

وماذا وراء هذه الأهوال التي دكدكت الجبال ؟ ، وماذا ينتظر المتجاهلون المتسائلون ؟ .

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا . لِلطَّاغِينَ مَآبًا . لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا .﴾ .

ذلك هو الميقات ، وهذه هي المرصاد ، فهل بعد ذلك موقع لغفلة أو تسامح عن الاستعداد للرحلة ؟ ، هكذا يؤدّب الله عباده ، ويوقظهم ليثوبوا إلى رشدهم ، ويرجعوا عن غرورهم ، ويفكّروا في مصيرهم .

وبهذه الطرائق يستصلح فاسدهم ، وينبّه غافلهم ، من قبل أن يفوت الأوان ، ويبوء بالخسران .

ومنهج القرآن الفريد -في غرس بذرة الإيمان في نفس الإنسان-: أن ينبّه منه قوة الفكر ، ويحرك غريزة الاستطلاع ، ويثير شعور الخوف ، ويلهب مختلف المشاعر ، ثم يلقي إليه الآية الكونية التي ترشده إلى الإيمان ، أو الإرشاد القرآني الذي يصله بالله ، ليقبل على الإيمان بالله وهو يقظان السر والعلانية ، ويكون مؤمن العقل والنفس والفكر والعاطفة .

هذه هي الأجواء الرفيعة التي يريدها القرآن لكم -أيّها المؤمنون- ، وهذه هي الآفاق المنيرة التي يريد أن يسمو إليها إيمانكم ، وان يقيم عليها إسلامكم، فارتفعوا إلى ما رفعكم الله إليه ، وارتقوا إلى المنازل الكريمة التي وجدكم لها أهلا ، ودعاكم إليها تكرماً وفضلاً ، وأطيعوا الله واتقوه ، واتقوا ناراً أعدّها لمن عصاه ، واحذروا عقاباً ارصده لمن تنكب عن هداه .

اللهم لك الحمد كفاء نعمك ، ومداد كلماتك ، وعداد مخلوقاتك ، ولك الحمد حمداً يتسامى عن الحدود ، ويبقى مع الخلود ، ولك الحمد كما حمدك المطهّرون من أنبيائك ، والمنتجبون من أوليائك ، والمقربون من ملائكتك ، والمخلصون من خيرتك .

اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد ، واهدنا لنتبع حدودك التي أقمت، ومنهاجك الذي رسمت ، وأوزعنا أن نشكر نعماءك التي أنعمت ، وقنا كل فتنة تضلّنا ، وكل هوىً يزيغ بنا ، وكل ضلالة تردينا .

اللهم وصل على نبيك وصفيك ، أحب خلقك إليك وأكرمهم لديك ، وأولاهم بك ، وأطوعهم لك ، وأعظمهم منك منزلة ، وأرفعهم عندك مكاناً ، وعلى عترته الهداة المهديّين ، الذين فرضت طاعتهم ، وأوجبت مودتهم ، وأجزهم بما بلغونا من وحيك ، وأدّوا إلينا من أماناتك ، ما أنت أهله من التبجيل والتكريم ، وخصّهم منك بأفضل الصلاة والتسليم .

اللهم صلّ وسلّم على رائد الإنسانية إلى الخير والصلاح ، وقائد العالمين إلى البر والفلاح ، الذي أكملت له غرّ الفضائل ، وجمعت فيه زكيات الشمائل، الصفوة من العالمين أبي القاسم محمّد خاتم النبيين ﷺ .

اللهم صلّ وسلّم على هادي الأنام ، وعز الإسلام ، ومحطم الأصنام ، ساعد الرسول في جميع المواقف ، وفاديه بنفسه من جميع المخاوف ، يعسوب الدين ، وعلم المهتدين ، أبي الحسنين علي أمير المؤمنين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على المعصومة بنص القرآن ، والمودعة سر الإيمان ، حبيبة الله وسيدة امائه ، وكريمة الرسول ووارثة عليائه ، الصديقة العالمة ، أم الأئمة الطاهرين سيدتنا فاطمة عليها السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الصديق الميمون ، والوصي المأمون ، والذي من بكاه لم تعم عينه يوم تعمى العيون ، خزانة العلم المكنون ، وأمين السر المصون ، التقي الزكي ، والمهذّب الوفي ، أبي محمّد الحسن بن علي عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على ولي الله وحجته ، وريحانة الرسول ومهجته، الوديعة النبوية ، والمقتول بترات الجاهلية ، غذي ألبان الرسالة، وربيّ أحضان الشرف والجلالة ، قتيل الاعتداء ، وعلم الاهتداء ، أبي عبد الله الحسين سيد الشهداء عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على المؤيد من الله بروحه ، والدائب في تقديسه وتسبيحه ، عليّ الفخار ، وسيد المستغفرين بالأسحار ، إمام الصابرين ، وأمان الخائفين ، أبي محمّد علي زين العابدين عليه السلام.

اللهم صلّ وسلّم على المبلّغ عن الله ما استودعه ، والكافل بالنجاة لمن اتّبعه ، موضع سر الله وحجته ، وشاهده في بريته ، صاحب النهى والسوابق ، أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على نور الله في ظلمات الأرض ، وأمينه على السنة والفرض ، أولى الناس بالله ورسوله ، وأعلمهم بحقائق تنزيله ، وأسفار توراته وإنجيله ، خير من أنجبته الكرائم ، وقامت عنه الزكيات من الفواطم ، أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على المستسلم لرضاك ، والمخلص في تقواك ، احد الكنوز الخفية التي أبديتها ، والأشباح المنيرة التي اصطفيتها ، الفائز بدرجة الرضا ، أبي الحسن الثاني علي بن موسى الرضا عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على معدن الكرامة ، والغصن الباسق من شجرة

الإمامة، دليل أحديتك وصفوتك من بريتك ، خير من خطب باسمه على الأعواد ، أبي جعفر الثاني محمّد بن علي الجواد عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على العلمين الخافقين ، المرفوعين لأهل الخافقين مَظهري رحمة الله الشاملة ، ومُظهري حكمة الله الكاملة ، الوصيين الوفيين ، أبي الحسن علي ، وأبي محمّد الحسن العسكريين عليهما السلام .

اللهم صلّ وسلّم على عبدك الذي اصطفيته بعلمك ، وارتضيته لحكمك، والذي عصمته من الذنوب ، وبرّأته من العيوب ، وأطلعته على الغيوب ، الفتح القريب الذي وعدته ، والنصر العزيز الذي أعددته ، صاحب الأيادي والمنن ، والقائم على الفروض والسنن ، سيدنا أبي القاسم محمّد بن الحسن عليه السلام .

اللهم انشر به ألوية الحق ، وأذهب به أضغان الخلق ، وأقم به شريعتك كما أنزلتها ، وأنفذ به أحكامك كما جعلتها .

اللهم أرنا وليك ظاهر المقالة ، واضح الدلالة ، هادياً من الضلالة، شافيا من الجهالة ، وثبت اللهم قواعده ، وابرز مشاهده ، واجعلنا ممن تقرّ عينه برؤيته ، وأقمنا بخدمته ، وتوفنا على ملته ، واحشرنا في زمرته.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، واعف عن سالفهم ، وبارك في خالفهم، وانظر إليهم نظرة رحيمة تعصمهم من الموبقات ، وتنقذهم من الهلكات ، وتقيهم نكبات الدهور ، ومساوئ الأمور ، وتردّ عنهم أيدي الظالمين ، وسطوة الغاشمين ، انك ارحم الراحمين .

بسم الله الرحمن الرحيم ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ .﴾ .

٢٩

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

٤ – في سورة النبأ

الحمد لله الذي لا يبلغ نعته إلا بنفي الحد عنه في كماله ، ولا يستطاع وصفه إلا بتنزيهه عن الضدّ في جلاله ، رأت العقول أنوار رحمته فهديت ، وعرفته بآثار قدرته فشفيت ، ثم طمحت أن تستبين مصدر النور فزاغت وعميت ، وطلبت أن تستكنه حقيقة الذات فضلّت وشقيت .

ألِفت العقول أن تعرف الأشياء بحدودها ، فقصرت عن موضع تمّحي فيه الحدود ، واعتادت أن تميّز الكائنات بجهاتها وآفاقها ، فصغرت عن قدس تفنى فيه الجهات ، وتضمحل الآفاق ، ودرجت أن تعلم الموجودات بمقايساتها وتجريدها فكبت عن مرتقىً يتبلّد فيه القياس ويخرس التجريد .

هذه وسائل العقول المحدودة فكيف تصل إلى ذات السر ، وولي الأمر ؟ .

أما الحسّ ؛ فانه اقصر واصغر ، وأما التجربة ؛ فإنها أقل جدوىً وأندر، وأما نور النور وقدس القدس فانه أعظم واكبر ، وأعلى قدراً واظهر .

واشهد أن لا اله لا الله وحده لا شريك له ، الأحد لا تشبهه الآحاد ، ولا تمكن معه الأعداد ، الفرد لا بالحواجز التي تتكون منها الأفراد ، واشهد أن محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، حمّله أكبر الودائع ، وأرسله بأعظم الشرائع ، صلى الله عليه واله الشموع السواطع .

أيّها المؤمنون ، ذكرت سورة النبأ طائفتين من الناس ، اختلفوا في أعمالهم ، واختلفوا في سلوكهم ، فاختلفوا كذلك في عواقبهم ، فاستوجب كل من الطائفتين النهاية التي سعى إليها .

فريق أنكر ربه وطغى على أمره ، فاستوجب منه النقمة ، وفريق عرفه واتقاه فاستحق منه الرحمة ، وحدّدت للفريقين غاياتهم ، وفصّلت درجاتهم .

وهذا هو دأب القرآن في أكثر المواضع التي يذكر فيها القيامة ، فهو يذكر أهل الشقاوة ، والجحيم المعدّ لهم ، وأهل السعادة ، والنعيم الذي يستقبلهم ، ويقرن هذا الوصف بهذا الوصف ، وهذه العاقبة بهذه العاقبة ، لينتبه العاقل فلا يؤخذ على غرّة ، ويفيق الغافل فيضع حداً للسكرة .

والحديث من أول السورة الكريمة عن المتسائلين المرتابين ، المكذبين بحقائق الدين ، ومقتضى الحكمة في السياق أن يبدأ بوصف حالهم ، والشقاء الذي ينتظرهم في مآلهم :

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا . لِلطَّاغِينَ مَآبًا . لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا . لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا . إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا . جَزَاءً وِفَاقًا .﴾ .

هذه هي عقبى الفريق الأول، وهذه هي مغبة عمله ، ونهاية خطله.

جهنم قد أرصدت لهم إرصاداً ، واعدّت إعدادا ، فهي سجنهم ومآبهم ، ومرجعهم ومثابهم ، ومن حميمها وغسّاقها بردهم وشرابهم .

«لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا» .

أحقابا ، ليت شعري كم الأحقاب التي يلبثون؟ ، وهل تدركهم الرحمة بعدها فيصدرون ؟ ، أم تستمر عليهم غضبته الله فيخلدون ؟ .

«لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا» ، فهي حر دائم ، وعطش قائم .

﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً .﴾ .

هذا هو الحميم ، فما الغسّاق ؟ ، هو : ما يغسق ويسيل من صديد أهل النار .

«جَزَاء وِفَاقًا» ، فما تجاوز العدل الإلهي ، وما ظلم ، وما أسرف فيما حكم .

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَاباً ، وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً .﴾ .

بارزوا الله في العقيدة ، وأصرّوا على تكذيب رسله وآياته في الدعوة ، وبالغوا في مخالفة منهجه في الشريعة ، وأسرفوا على أنفسهم في الخطايا .

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً .﴾ ، فكل عمل مكتوب ، وكل جزاء مرصود ، وكل حركة اوسكون مدوّن .

﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً .﴾ ، وانه لتأنيب اشدّ من سفع

النار، واستحقاق البوار ، فهو يقطع الأمل ، ويضاعف العلل .

وقد ورد أن هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل النار .

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا . حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا . وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا . وَكَأْسًا دِهَاقًا . لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا . جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا . ﴾ .

وهذه هي نهاية الفريق الثاني ، وهذا هو نتاج غرسه ، وثمار جهده، جنان أزلفت إزلافاً ، وحور أنشئت إنشاء ، وفواكه أعدّت ، وكؤوس أترعت ، ونعيم لا يخالطه كدر ، وفوز لا يشوبه ضجر ، وحياة رفيعة بجميع معاني الرّفعة ، سامية بكل مفاهيم السمو ، فلا «يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا».

ارتفعت الحياة وطهرت النفوس ، وعلت المقاييس ، فلا موجب لهذه الدنايا ، ولا مكان لهذه الخطايا ، استوجبوا هذا المفاز بتقواهم ، وبما أخلصوا لله في سرّهم ونجواهم .

إنهم اتقوا الله فوحّدوه لـمّا عرفوه ، ومحضوه الإخلاص لمّا عبدوه، وتنزّهوا عن المآثم التي نزّههم عنها ، واجتنبوا المساخط التي حذرهم منها ، فاستحقّوا برضوانه هذه المنزلة ، والحياة المفضلة .

﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ ، جزاءً مضاعفاً ، وعطاءً مرادفاً ، وحباءً وتكريماً ، ورضواناً وتعظيماً .

تلك هي عقبى الطاغين ، وهذه عقبى المتقين ، تذكرهما السورة المباركة مجتمعتين ، ليختار العاقل لنفسه ما يشاء ، وليجدّ في العمل ليستوفي الجزاء ، إنّ السبيل جَدَد ، والخيرة واضحة ، والعاقبة مرصودة، والاختيار كامل ، والمجال فسيح ، ونتيجة الخيرة :

إما تقوى ، و«إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا . حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا . وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا . وَكَأْسًا دِهَاقًا . لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا» .

وإما طغيان ، و«إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا . لِلْطَّاغِينَ مَآبًا ، لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا . لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا . إِلا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا».

عباد الله ؛ اختاروا لأنفسكم أجدر الأمرين بكم ، وأحرى العاقبتين بسعيكم ، واضمنهما بسعادتكم ، واوفقهما بالنظرة الثاقبة ، في حميد العاقبة .

تقوى الله ؛ تقوى الله ؛ فهي العدة المضمونة ، والسبيل المأمونة ، ثقوا بضمان الله لكم ، وافزعوا إلى عونه ، والجؤا إلى ركنه .

إنكم مسؤولون -أيّها المؤمنون- فتفكروا في عظم المسؤولية ، وجدّوا في الخلاص منها ، مسؤولون عن أمانة ائتمنكم إياها ، ومسؤولون عن الوفاء بشريعة عرفكم نهجها ومغزاها ، مسؤولون عن شريعة الله التي اختارها لكم ، ومسؤولون عن الدعوة إلى الله التي حمّلها رقابكم ، فلا بد من العمل ، ولا معذرة في كسل .

لا معذرة لنا في شيء من ذلك -أيّها المؤمنون-، فقد أقام علينا حججه، وعرّفنا منهجه .

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ . وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ .﴾ .



الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

لا مراجعة مع الله

الحمد لله ثناءً عليه ، وانقطاعاً إليه ، وإيماناً بوعده ، وإيقاناً برفده ، واستجابة لأمره ، واطمئناناً بذكره ، وارتفاعاً إلى المنزلة التي ارتضاها لي، ووفاءً بالحق الذي فرضه على أمثالي ، واستصلاحاً لما ركبته من سيّئ أعمالي، وحطة لأثقال أنقضت ظهري ، وتقصير أسرفت به في أمري ، وتقويماً لما اعوجّ أو اضطرب من غرائز نفسي ، وعوامل سعادتي وبؤسي .

الحمد لله حمداً أبلغ به كل أمنية ، وأحترز به حصناً من كل بليّة ، وأرتقي به سلّماً إلى كل منزلة رضية ، وأعتصم به قوة تثبت قدمي ، وتزكي شيمي، واهتدي به نوراً في الليالي الحوالك ، إلى أرشد المسالك.

واشهد أن لا اله إلا الله وحده ؛ وحده ؛ تقدس عن الصور ؛ فكيف يتصوره عقل ، وكيف يدركه بصر ؟ ، واشهد أن محمّداً ﷺ عبده ورسوله، صدّق به أنبياءه ، وشرّف بذكره أرضه وسماءه ، صلى الله عليه وآله السادة المطهرين .

ذكرت السورة العظيمة مفاز المتقين في القيامة ، وما اعدّ الله لهم من الكرامة ، « جَزَاء مِّن رَّبِّكَ عَطَاء حِسَاباً» .

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام : (حتى إذا كان يوم القيامة حسب لهم حسناتهم ، ثم أعطاهم بكل واحدة عشر أمثالها إلى سبع مأة ضعف،

قال الله (تعالى) : «جَزَاء مِّن رَّبِّكَ عَطَاء حِسَاباً» .

وقال : ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا﴾ .

﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا . يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ .

خرست الشقاشق ، وختمت الخلائق ، وخرس لسان كل ناطق ، ونشرت الدواوين لإعلان الحقائق ، وربّ العزة متجلٍ بعزّته ، ورقاب الخلق خاضعة لعظمته ، وألسنهم محتبسه من هيبته ، والملك والروح قائمة بين يديه صفاً ، ناكسة من رهبته طرفاً ، لا يملك احد منه خطاباً .

«لا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا» ، وهو يقضي ويحكم، ويثيب ويرحم ، ويسوق كل عامل إلى مثواه ، ويجزيه بما كسبت يداه فله الملك وحده ، وله الأمر وحده ، لا قول لمخلوق معه ، ولا شفاعة إلا بإذنه .

﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآباً .﴾ .

« ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ» أيها المرتابون المتشككون ، الحق الذي لا ريب فيه ، ولا معذرة لأحد في التغافل عنه ، وعدم الاستعداد له .

«فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآباً» ، فالخيرة لا تزال بيد العبد ما دامت له (...) [كذا فراغ في الأصل] في الحياة ، وستنقطع الخيرة ، ويختم الكتاب ، وتحق الكلمة يوم يستوفي آخر قسط له من الحياة .

ليعمل ، فإنه واجد جزاءه ، وليحذر فإنه إنما يثبت بعمله سعادته أو شقاءه .

ثم يلتفت السياق إلى الغافلين المتسائلين عن النبأ العظيم ، الكافرين به ..

يلتفت ليلقي إليهم آخر الإنذارات في السورة ، وأشدها عنفاً :

﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً .﴾ .

«إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً» .

نعم ، وما أقرب القيامة ! ، وما أدنى أهوالها إذا كان الموت أول مراحلها ! .

«يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ» ، فالأعمال مثبتة ، والصحف منشرة ، والشهداء محضرة .

ويقول الكافر بربه ، المنكر لنعمه الجاحد بآياته .. يقول –حين يشاهد أهوال اليوم ورواجفه وزلازله–، يقول : «يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً» .

وما أبعدها أمنية ! ، وما أعسره مطلباً ! .

إنها أمنية البائس اليائس ، الذي اكفهرت في عينيه الحياة ، وتعذرت عليه النجاة .

يا ليته كان ترابا ، فلا ينظر العظائم التي ينظرها ، ولا يبلغ النهاية التي ينتظرها .

فاتقوا الله –أيها المؤمنون–، واستعدوا لليوم الذي أمركم للاستعداد له ، واتخذوا الى ربكم مآبا ، فقد فتح لكم إلى رحمته أبوابا ، ووصل لكم برضوانه أسبابا .

خافوا المرصاد الذي خوفكم إياه ، واسعوا للمفاز الذي رغبكم

فيه، وخذوا من رشد قرآنكم ما ينير لكم السبيل ، ويبلغكم المقصد .

اللهم إنا نسألك توفيق أهل الهدى ، وأعمال أهل التقوى ، ومناصحة أهل التوبة ، وعزم أهل الصبر ، وحذر أهل الخشية ، وطلب أهل الرغبة ، ونية أهل الورع ، وخوف أهل الجزع ، حتى نخافك – اللهم– مخافة تحجزنا عن معاصيك ، وحتى نعمل بطاعتك عملاً نستحق به كرامتك ، وحتى ننصاحك في التوبة خوفاً لك ، وحتى نخلص لك في النصيحة حبا لك ، وحتى نتوكل عليك في الأمور حسن ظن بك ، يا أرحم الراحمين .

اللهم وبلغ عنا روح نبيك المصطفى ، وآله أئمة الهدى ، من الصلوات الزاكيات ما تحب وترضى ، وأعطهم الوسيلة العظمى ، وأكرمهم بالشفاعة الكبرى ، وصل عليهم صلاة لا أمد لها ولا منتهى .

اللهم صل وسلم على ذي الخلق العظيم ، والمؤيد بالقرآن الكريم ، المغموس في بحر الفضيلة ، والمخصوص بالمنزلة الجليلة حبيب الله الذي اصطفاه ، وشرفه على البرية واجتباه ، سيدنا أبي القاسم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله .

اللهم صل وسلم على حجة الخصام ، وباب المقام ، ودليل دار السلام، رضي الولاية الكبرى ، وأخي الرسول في الأولى والأخرى ، النور الذي تجلى به الغياهب ، والسبب الذي تدرك به المآرب ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

اللهم صل وسلم على بضعة الرسول وسليلته ، وشريكة الوصي وحليلته، ميمونة النقيبة ، والمطهرة من كل ريبة ، الجوهرة القدسية ، أم الحسن والحسين فاطمة التقية عليها السلام .

اللهم صل وسلم على غوثي الأمة من الخطوب المدلهمة ، وبابي

الرحمة لتفريج كل غمّة ، النورين الساطعين ، فلا تنكرهما عين ، سيدنا أبي محمد الحسن عليه السلام ، وسيدنا أبي عبد الله الحسين عليه السلام .

اللهم صل وسلم على الشجرة الطيبة ، والغمامة الصيبة ، وأبي الذرية المنتجبة ، الدليل على الله في نطقه وصمته ، والممثل لدين الله في فعله وسمته ، كريم الأجداد ، والعدة المدّخرة ليوم المعاد ، أبي محمد علي بن الحسين السجاد عليه السلام .

اللهم صل وسلم على المحجة العظمى للسالكين ، والعروة الوثقى للمستمسكين ، الآية البينة التي يهتدي بها أولو البصائر ، والموعظة الحسنة التي تجلى بها الضمائر ، أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على رائد الفرقة الناجية ، ومفزعها إذا غشيت الغاشية، الباب الذي فتحه الخالق لإسعاد الخلائق ، والكتاب الذي انزله لإيضاح الحقائق ، أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الوسيلة التي تدرك بها الحوائج ، والمنهج القيم إذا ضلّت المناهج ، النور المشرق على العوالم ، والسحاب المغدق بالمكارم ، أبي إبراهيم موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الحرز الواقي من النوب ، والولي الراقي إلى أسمى الرتب ، والسبب المؤمل لإنجاح الإرب ، وتفريج الكُرَب ، عبد الله الذي ارتضى ، واستودعه علم ما يأتي وعلم ما مضى ، أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على وارث مقامات النبي وفخاره ، ومستودع علوم الوصي وأنواره ، وخازن بينات الكتاب وأسراره ، طاهر الأبراد ، والمنزّه عن الزلات في الإصدار والإيراد ، أبي جعفر محمّد بن علي الجواد عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على غوثي الأنام من طوارق الأيام ، والمؤتمنين على حقائق الإسلام ، المبلغين عن الله ، والمخلصين في توحيد الله ، الوصيين بالنص الجلي ، أبي الحسن علي بن محمّد عليه السلام ، وأبي محمّد الحسن بن علي عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على وعد الله لعباده بالفرَج ، وسيفه الذي أعدّه لتقويم العوج ، أمان الخائفين من أهل الدنيا ، وقائد المؤمنين إلى الذروة العليا ، أمين الرحمان ، على أسرار القران ، وخليفته على الأنس والجان، أبي القاسم المهدي المنتظر صاحب العصر والزمان عليه السلام .

اللهم بلغ وليك أمنيته ، وأجب دعوته ، وأظهر دولته ، واستخلص به حقوق أوليائك ، وانتقم به من أعدائك ، اللهم املأ به الأرض عدلاً وإحسانا، ووسع على العباد بظهوره فضلاً وامتناناً ، واعد الحق إلى مكانه عزيزاً حميداً ، وارجع الدين على يديه غضاً جديداً .

اللهم واجعلنا من المنتظرين لأمره ، والدعاة إلى نصره ، وأسعدنا بالنظر إلى محياه الكريم ، والخضوع له بالإطاعة والتسليم ، ووفقنا لأن نكون من أهل الزلفة لديه ، والجهاد في سبيلك بين يديه .

اللهم واغفر للمؤمنين والمؤمنات ، وبلّغهم في الدنيا والآخرة أقصى الأمنيات ، واسكنهم الدرجات العاليات ، واكفنا وإياهم شر الظالمين ، من جميع العالمين ، انك أرحم الراحمين .

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ .﴾ .

قبسات

من سورة المطففين

٣٠

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – في سورة المطففين

الحمد لله الواحد فلا ثاني له في وجوب الوجود ، الفرد فلا مثيل له في قدم الآلاء والجود ، الأحد فلا أجزاء له ولا أبعاض ، ولا جواهر في آنيته ولا أعراض ، الوتر فلا اتحاد له مع شيء ولا حلول ، ولا ابتداء لنوره ولا أفول ، ولا نقص ولا زيادة ولا استكمال ، ولا استفادة ولا مولودية ولا ولادة ، أحاط بالأشياء قبل تكوينها ، وعلم صوالحها وغايتها قبل تبيينها ، ووقتها في سابق علمه لحينها .

وأشهد ان لا آله إلا الله وحده لا شريك له ، ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ، يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ .[1]﴾ .

وأشهد ان محمّداً ﷺ عبده ورسوله ختم به أنبياءه ، وفضّله على

---

١ – الأعراف : ٥٤ .

رسله ، وجعله مهيمناً عليهم ، ومصدقاً لما انزل إليهم ، صلى الله عليه وآله الصفوة التي اجتباها الله واختارها ، وابتدأ من نور عظمته أنوارها ، وعقد بحبه وابتغاء مرضاته إعلانها وإسرارها .

أيّها المؤمنون ؛ أنزل الله –سبحانه- سورة المطففين في أول قدوم الرسول ﷺ إلى المدينة -كما ورد عن الإمام أبي جعفر عليه السلام-، أو في آخر بقائه بمكة -كما في أحاديث أخرى- .

والسورة تحتوي دروساً عظيمة في النظام الاقتصادي والاجتماعي في الإسلام ، وتعالج جوانب في العقيدة ، وتضع تصميمات في التربية ، وتشير إلى توجيهات في الأخلاق ، وعلى المسلم ان يتدبر في آياتها ، ويقبس من هداياتها.

وقد ورد الحث على تلاوتها ، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال : (من كانت قراءته في الفريضة ويل للمطفّفين أعطاه الله الأمن يوم القيامة من النار ، ولم تره ولم يرها ، ولا يمر على جسر جهنم ، ولا يحاسب يوم القيامة) [1] .

والسورة تبدأ بإنذار المطففين الإنذار الرهيب .. بإنذارهم الهلاك والدمار ، والعاقبة الخاسرة التي ما بعدها من خسار .

﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ . أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . ﴾ .

---

١ – ثواب الأعمال – الشيخ الصدوق (قده) – ص : ١٢٢ .

الويل هو الهلاك الماحق ، بالعذاب الساحق ، وورد في معناه : أنه بئر في جهنم ، أعده الله لتعذيب أقوام من المتمردين .

والمطففون فئة من الناس سوّلت لها أطماعها ان تعبث بعدل الله ، فتهضم حقوق الناس ، وتبخسهم أشياءهم ، فاستوجبت حلول النقمة من إله الرحمة .

«وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ» ، حكم لا هوادة فيه ، وتقرير لا قضاوة بعده ، والتلاعب بموازين العدل والظلم لحقوق العباد من أشد الأمور التي يحاربها حكم الله العادل ، وقضاؤه الفاصل ، وهي جريمة متشعّبة الآثار، كثيرة الجرائر ، عظيمة التبعات ، وهي ليست مخالفة واحدة ، لقانون واحد من قوانين الإسلام ، ولكنها محاربة لأكثر قوانينه ، وهي ليست جرأة على حقوق الناس وحدهم ، ولكنها جرأة على حرمات الله ومجاوزة لحدوده .

وآثارها وتبعاتها لا تختص بالآخرين من الأفراد ، ولكنها هزّة أثيمة للمجتمع المسلم ، ولوثة شديدة للخلق المسلم ، وإهدار لشخصية فاعل الجريمة ، وتحطيم لإنسانيته ، كما هي لوثة في إيمانه وإسلامه .

«وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ» .

يأخذون لأنفسهم وافيا حين يأخذون ، ويدفعون للناس ناقصا حين يدفعون ، يجورون عن القصد ، ويتعدون عن الحد ، وما ينقصون من مروءاتهم ودينهم أكثر مما يخسرون في موازينهم .

ألا يرعوي أهل تلك الهمم الساقطة ، والغايات الهابطة ، فيرتفعوا عن هذه الدنايا ، ويرتدعوا عن هذه الخطايا ، «أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ . لِيَوْمٍ عَظِيمٍ» .

ألا يظنون ذلك ظناً ان لم يكونوا يوقنون به يقيناً فيدفعهم ظن الحساب الى التورع عن الارتكاب ، «أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ . لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» .

وكفى باليوم عظماً أن يكون القيام فيه لرب العالمين ، رب الناس أجمعين ، رب الآخذ والمعطي ، والدائن والمدين ، والظالم والمظلوم .

رب العدل ، ورافع قواعده وبنيانه ، وواضع الميزان ، ومحرم خسرانه .

رب العالمين ، الذي لا تخفى عليه خطرة في نفس إنسان ، ولا ذرة تنقص من ميزان .

عباد الله ؛ ان هذه الفئة استحقت الويل من الله ، وهي تأخذ وافياً وتدفع ناقصاً ، فماذا تستوجب إذا جارت أكثر من ذلك فأخذت زائداً ودفعت خاسراً .

عباد الله ؛ ان الإسلام دين العدل الأعلى ، ومنهج الطهارة الكبرى، وهو لا يرتضي لمجتمعه ، ولا لفرد من أبنائه ، ان يرتكب سوأة تخالف العدل، أو تلوث طهارة النفس ، وهو يحاسب عليها اشد الحساب ، ويتوعّد على ارتكابها بأليم العذاب .

ومن عجيب أمر بعض الناس أنه يتوخى من دين الله ان.يحلل له بعض الأموال ، ويأذن له في بعض الخيانات ، كأنه لا يقتنع إلا ان يشاركه دين الله في الجريمة ، والهبوط إلى المهاوي الأثيمة ، يفكرون هذا التفكير السقيم ، ويحسبونه هيناً ، وهو عند الله عظيم .

فالورع ؛ الورع -أيّها المؤمنون-؛ والتقوى ؛ التقوى ؛ طهّروا نفوسكم بطهور الإسلام ، وزكوها بالتزام مناهجه ، قفوا حيث أوقفكم الله ، ولا

تتعدّوا ولا تسرفوا ، ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ . .[١]﴾ .

احترزوا من مظالم العباد ، فإن الحيف على العباد من الذنوب التي لا تغفر ، وتوفية المكاييل والموازين من الحقوق التي لا تهدر :

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ .[٢]﴾ .

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ .[٣]﴾ .

أقالنا الله وإياكم من كل عثرة ، وسددنا في كل خطوة ، وزكّى نفوسنا وأعمالنا ، وبلغنا الغاية التي يرضاها لنا ، وطهرنا بطهور الإيمان، وثبتنا على مناهج القرآن .

﴿بسم الله الرحمن الرحيم . ٱلْقَارِعَةُ . مَا ٱلْقَارِعَةُ . وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ . يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ . وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ . فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ . وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ . وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ . نَارٌ حَامِيَةٌۢ .[٤]﴾ .



---

١ - الطلاق : ١ .

٢ - الرحمن : ٩ .

٣ - المائدة : ٨ .

٤ - القارعة : ١ - ١١ .

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

أهوال البعث والنشور

الحمد لله الدال ببديع فعاله ، على عظيم جلاله ، المظهر لمكنون حكمته، بلطيف صنعته ، خلق السماء فبناها ، و﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ، وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا .[1]﴾ .

كافأ أجرامها بنظام التجاذب فاستقامت ، وعادل أفلاكها في قوانين الحركة فاستدامت ، ووازن ما بينها في الأبعاد والآماد فما رامت ، وزيّنها بكواكبه للناظرين ، وروّعها بعجائبه للمتفكرين ، وملأها بآياته للعالمين .

وأشهد ان لا آله إلا الله وحده لا شريك له ، وحدّته الأشياء بانقيادها، وسبّحته بألسن استعدادها ، وعبدته اعترافاً بنعمة إيجادها ، وأشهد ان محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، أكرم عبيده عليه ، وأعظم رسله عنده ، وأدلهم على طاعته ، وأجلهم مقاماً ، وأرفعهم أعلاماً ، وأشدهم ثباتاً في جهاده ، وأحرصهم على إنقاذ عباده ، صلى الله عليه وآله خلفاء الله ، وحملة فرقانه ، ومصابيح جنانه .

«أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ . لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» .

---

١ - النازعات : ٢٩ — ٢٨ .

إن ظن البعث ، وعظم اليوم ، والقيام فيه لرب العالمين .. إنّ كلاً من هذه الشدائد الثلاث تحتم على العاقل أن يفتكر ، ويرتدع عن غيه ويزدجر .

وعن الصادق عليه السلام : (مثل الناس يوم القيامة إذا قاموا لرب العالمين مثل السهم في القراب ، ليس له من الأرض إلا موضع قدمه ، كالسهم في الكنانة، لا يقدر ان يزول ها هنا ، ولا ها هنا) [(١)] .

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ . كِتَابٌ مَرْقُومٌ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ .﴾ .

كلا ؛ كلا ؛ ارتدعوا -أيّها المجترؤن-، ازدجروا -أيّها المستهزؤن-، أفيقوا -أيّها الغافلون المنغمرون-، ان عقاب الله لا يقابل بهزء ، وان نقمة الله لا تقاوم بجرأة .

ان الأمر ليس عبثاً من العبث ، وان الحديث ليس أسطورة من الأساطير ، ان هناك كتباً مرقومة تثبت الأعمال ، وموعداً يجمع الناس فيه للسؤال .

«إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ» ، والسياق الكريم يلتفت من المطفّفين إلى مطلق الفجّار ، والى كل مكذّب بيوم الدين ومكابر ، لا يظن انه مبعوث ليوم عظيم .

ان كتابهم الذي يحتوي ثبت أعمالهم «لَفِي سِجِّينٍ» ، أو ان ما كتب الله لهم من العذاب والعقاب لفي سجين ، «وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ» ؟ .

---

١ – الكافي – الشيخ الكليني (قده) – ج : ٨ – ص : ١٤٣ .

وادٍ من أودية الهول الهائل ، وموضع من مواضع الهوان السافل ، وسجن من سجون الخزي الشامل ، والعذاب المتواصل ، واكتفت الآية الكريمة عن التفصيل بهذا التهويل .

«كِتَابٌ مَّرْقُومٌ» ، وثبت معلوم ، وقضاء محتوم ، قد اسودّت صحائفه ، ونشرت فضائحه ، واستغنى في إثبات ما فيه عن الإشهاد ، وأعلنت سوءاته على رؤوس الأشهاد .

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ . الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ ، سَيَرَونَ العاقبة السوآى التي تنتظرهم ، والمغبة الوخيمة التي تحذرهم ، سيرون الحقيقة المذهلة يوم نشر الكتاب ، ويوقنون بالويل حين يساقون للحساب .

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ .﴾ .

ان عقيدة البعث كثيرة النذر ، عظيمة الخطر ، رهيبة الأثر ، وحججها الجلية تحتم على العاقل السميع المبصر ان يعي ، وتطلب منه ان يوقن ، وان يتبصّر ويتدبّر ، ولكن الانغماس في الإثم ، والاعتياد على سجية الاعتداء والظلم ، تسولان للمرء ان يكذّب بهذه العقيدة ، ويكذّب بنذرها وآياتها ، فيميت ضميره فلا يحذر ، ويعمي بصيرته فلا تُبصر ، وينطلق مع هواه بلا رادع ولا وازع .

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ . إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ .﴾ .

فاليقظة ، اليقظة -عباد الله-؛ إنها آيات يبينها الله لكم لتسعدوا باستماعها ، وتفوزوا باتّباعها ، وإنها أقباس من كتابه ينير بها بصائركم، ويحيي بروحها ضمائركم :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ .[1]﴾ .

اللهم بعونك تدرك المطالب ، وبتوفيقك تنال الرغائب ، وبلطفك يستدرك الذاهب ، اللهم فاجعلنا ممن أنرت بصيرته ، وأصلحت سريرته ، فخضع لك بعمله ، وتجاوزت عن خطئه وزلَله .

اللهم إنا نعوذ بك من دنياً تمنع خير الآخرة ، ومن عاجل يمنع خير الأجل ، ومن حياة تمنع خير الممات ، ومن أمل يمنع خير العمل ، فأعنا على ما استعنّا بك عليه، وأعذنا مما استعذنا بك منه ، يا أكرم الأكرمين.

اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد عبدك ورسولك ونبيك ، واجزه بكل خير أبلاه ، ومن كل شر خلاّه ، ويسرٍ آتاه ، وضعيف قوّاه ، ويتيم آواه ، ومسكين رحمه ، وجاهل علمه ، ودَين بصّره ، وحق نصره ، الجزاء الأوفى ، والرفيق الأعلى ، الشفاعة الجائزة ، والمنزل الرفيع ، في الجنة عندك يا رب العالمين ، وصل عليه وعلى آله المطهرين ، صلاة تبقى إلى يوم الدين .

اللهم صلّ وسلّم على عبدك الذي استخلصته في القدم ، وشرفته على الأمم ، الذي قرنت ذكره بذكرك ، وأقمته مهيمناً على نهيك وأمرك ، أول النبيين في الميثاق ، وسيدهم على الإطلاق ، خير من عاهد فوفى ، وأفضل من قدر فعفى ، سيدنا أبي القاسم محمّد المصطفى ﷺ .

اللهم صلّ وسلّم على الثابت حين زلت الأقدام ، والراسخ حيث

---

١ - الحشر : ١٨ - ١٩ .

ضلت الأحلام ، مولى الأنام ، ومكسّر الأصنام ، أول من صدق وصلى، وفاز في كل مكرمة بالقدح المعلى ، سيّد الصديقين ، وولي الصالحين ، أبي الحسن علي أمير المؤمنين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على المطهرة البتول ، وفلذة كبد الرسول ، بضعته التي يؤذيه ما يؤذيها ، وحبيبته التي يرضيه ما يرضيها ، الصديقة الكبرى، أم الحسنين فاطمة الزهراء عليها السلام .

اللهم صلّ وسلّم على اصدق العالمين لهجة ، وأنصعهم حجة ، مَظهر الحلم والجود ، وطويل الركوع والسجود ، أكرم الناس نسباً ، وأعلاهم رتباً، أبي محمّد الحسن المجتبى عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على متمم دعوة القرآن ، وهازم البقية من عبدة الأوثان ، معز الحق بجهاده يوم كربلا ، وموطّد أركان الإسلام بما تحمّله من البلاء، ريحانة النبي ، وقدوة كل حرٍ أبي ، أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام.

اللهم صلّ وسلّم على عبدك الذي ابليته فوجدته صابراً ، وأوليته فألفيته شاكراً ، خير الزاهدين ، ومنهل الواردين ، في أمور الدنيا والدين، أبي محمّد علي زين العابدين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على قسطاس العدل في البرية ، وميزان الحق في كل قضية ، غوث اللهيف ، وعون الضعيف ، معقل الأمان من الزمن الغادر ، أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على وسيلة المضطر لإجابة دعوته ، وذريعة التائب لإقالة عثرته ، النعمة الكاملة ، والرحمة الشاملة ، مأمن الخائف من الطوارق ، أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على العبد الأواه ، الذي اخصه الله واصطفاه ، المنفرد إلى ربه إذا نامت العيون ، والمستأثر بحبه إذا غفل المقصرون ، سيّد الأعاظم ، من الأعارب والأعاجم ، أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على حجة الله المؤكدة ، ودعامة الحق الموطدة ، ضامن الجنان لزائري قبره ، وفلك النجاة لعارفي قدره ، ووسيلة الفوز لمثلي أمره ، نور الهدى ، وباب الرضا ، أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الشمس الكاشفة لظلم الدياجي ، والدليل الذي ينجو باتّباعه الناجي ، رافع شبه الإلحاد ، والذي لا تقبل إلا بولايته عبادة العباد ، أبي جعفر محمّد بن علي الجواد عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على عليي المراتب ، وحسني المواهب ، وعظيمي المناقب ، العليين الزكيين ، والهاديين المهديين ، أبي الحسن علي ، وأبي محمّد الحسن العسكريين عليهما السلام .

اللهم صلّ وسلّم على صاحب الفتح المبين ، وعديل الكتاب المستبين ، المعد لإدراك الترات ، وشفاء الصدور الوغرات ، الطبيب الذي لا شفاء إلا بطبه ، والولي الذي لا نجاة إلا بحبّه ، أمينك على الفروض والسنن ، وقيّمك على الشرائع ما ظهر منها وما بطن ، سيدنا أبي القاسم محمّد بن الحسن عليه السلام .

اللهم حقق لوليك ما وعدته ، وأظهر به الحق الذي أقمته ، وأرنا بوجه النور الذي سترته ، اللهم كن له ولياً وحافظاً ، وقائداً وناصراً ، وكالئاً وساتراً ، حتى تسكنه أرضك طوعاً ، وتمتعه فيها طويلاً ، اللهم

ثبتنا على هداه ، ووفقنا لإدراك رضاه ، ومنّ علينا بنصره ، والمسارعة إلى امتثال أمره .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، واشرح بالتقوى صدورهم ، وأصلح بفضلك أمورهم ، ولقهم ما يأملون ، واكفهم ما يحذرون ، اللهم اجمع كلمة أحبائهم ، وكن لهم في سرائهم وضرائهم إنك على كل شيء قدير .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .



٣١

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

٢ – في سورة المطففين

الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه ، ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ . ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ .[1]﴾ .

من نطفة قدّر من بسائط الأرض أمشاجها ، وعدّل بدقيق حكمته مزاجها ، ووجه إلى الغاية الكبرى أفرادها وأزواجها ، وألّف خلاياها في مناهج تذهل العقول ، واستودع آحادها سر الحياة المجهول ، وضمنها جوهر العقل المجبول .

وقرن –وله المشيئة– بين خلية أنثى منها وخلية ذكر ، ووحّد ما بين جزيئاتهما على قدر ، وانشطرت بأمره ناسلاتهما ، واتحدت بقوته منفعلاتهما وفاعلاتهما ، وأودع الخلية الموحدة برحمته في قرار مكين ، وعصمها من الطوارئ في حصن حصين ، ووجّه إليها الطاقات التي تنميها ، ووفر لها المواد التي تغذّيها ، وهيأ لها السوائل المختلفة التي تحفظها ، ووكل بها العين الرحيمة التي ترعاها وتلحظها ، وطورها وصورها وخلق لها أعضاءها ، وحدد منها أجزاءها ، ثم نفخ فيها من

---

١ – السجدة : ٧ – ٨ .

روحه فنشطت حركاتها ، واكتملت مدركاتها ، وانشأ –بقدرته– من النطفة المهينة بشراً سوياً ، تاماً قوياً ، مدركاً ذكياً .

وأشهد ان لا اله إلا الله وحده ، لا يشارك في حكمة ، ولا يضارع في رحمة ، وأشهد ان محمّداً ﷺ عبده الذي انزل عليه الفرقان ليكون للعالمين نذيراً ، ورسوله الذي طهره وآله من الرجس تطهيراً ، صلى الله عليه وعليهم ما أشرق نورهم في العالمين ، وما نطق بفضلهم الكتاب المبين .

أيّها المؤمنون ؛ تصف سورة المطفّفين المباركة حال فريقين من الناس ، حال الفجار المكذّبين ، وحال الأبرار المقرّبين ، وتذكر كتاب الفجار وما أعد لهم من ويل عظيم ، وكتاب الأبرار وما أزلف لهم من نعيم مقيم .

تذكر الفريقين وتصف حالهما ، وتحدد مصيرهما وما لهما ، لعل السامع يدّكر ويتعظ ، ويرتدع عن غيّه ويحتفظ .

«وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ، الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ» .

وعلى أي أساس يقوم التكذيب بهذه العقيدة ، بعد ان وضحت دلائلها وشواهدها ، وظهرت بيناتها وفوائدها ؟ .

ولماذا يكذّب بها المكذّبون ؟، ألا يحذرون إن لم يكونوا يعتقدون ؟ .

كلا ؛ كلا ؛ فقد برح الخفاء ، وانكشف الغطاء ، ولكن من تبع الهوى يريد إلقاء الحبل على الغارب ، فهو يكذب بيوم الدين كيلا يكون له عن إرادته حاجب :

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ، إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ .﴾ .

لقد انغمس في الإثم حتى قاده إلى التكبر على الرحمان ، والى الجرأة العظيمة على قدس القرآن .

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ .﴾ .

لقد كثرت الذنوب ، حتى طمست على القلوب ، فلا نور في بصيرة ، ولا خشية في نفس ، ولا توبيخ من ضمير ، ولا حذر من سوء مصير .

وفي الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام : (ما من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نكته بيضاء ، فإذا أذنب ذنباً خرج في تلك النكتة نكتة سوداء ، فان تاب ذهب ذلك السواد ، وان تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض ، فإذا غطي البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبدا ، وهو قول الله (عز وجل) : ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ .

وقد قال العلماء -في معنى ذلك-: إن قلب المؤمن كالمرآة الصافية تنعكس فيها أنوار العقيدة ، فتضيء منها جوانب النفس بالصفات الحميدة ، والأعمال السديدة ، فإذا هو اقترف ذنباً وقع على المرآة بعض الرين ، فإذا تتابعت منه الذنوب تراكم الرين على قلبه ، فإذا هو انغمس في اتباع هواه صار الرين طبعاً ، وأصبحت المرآة مظلمة ، وعاد القلب محجوباً لا يوفق إلى خير ، ولا يهتدي إلى حق ، ولا يشرق بنور .

وإذا ضرب الرين حجاباً على قلبه كان ذلك حجاباً له من رحمة ربه ، ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ .﴾ .

لمحرومون من ثواب الله وكرامته ، وهذه هي العقوبة الأولى لهم

على ارتكابهم ، أن توصد في وجوههم أبواب رحمة الله ، وهي التي وسعت كل شيء .

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ .﴾. وهذه هي العقوبة الثانية لهم بما عتوا عن أمر ربهم ، وانغمسوا في عصيانه.

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ .﴾ .

وبجانب هؤلاء الأشقياء الذين طردوا عن رحمة الله لشقائهم ، وذاقوا وبال تكذيبهم واستهزائهم ، قوم سعداء قد أظلتهم الرحمة ، وغمرتهم النعمة ، وقرر حسن ختامهم حسن ابتدائهم ، وكفل بفوزهم عظم ابتلائهم .

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ . كِتَابٌ مَّرْقُومٌ . يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ .﴾ .

«إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ» ، والأبرار هم المطيعون لله ، الحريصون على عبادته ، المبتغون رضاه ، الملتزمون تقواه .

إن كتابهم الذي يحتوي ثبت أعمالهم ، وتدوين خلالهم ، أو إن ما كتب الله لهم من الثواب الجزيل على عملهم الجميل ..

إن كتابهم لفي عليين ، «وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ» ؟ .

أرقى مراتب الشرف الأعلى ، وارفع مقامات الكرامة العليا ، كتاب مرقوم ، تنشر صحائفه إعلاءاً لأمره ، ويشهده المقربون إيذانا بفخره ، والمقربون هم الذين أحلهم الله من كرامته في أسمى المنازل .

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ .﴾ .

هذه العاقبة الحميدة التي نالوها بسعيهم ، والأجر الكريم الذي استوجبوه ببرّهم .

«إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ» ، وفي هذا الإجمال ما يغني عن التفصيل ، لفي نعيم شامل مقيم، فلا نقص ، ولا غضاضة ، ولا حزن ، ولا نكد .

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ ، فكل ما يرونه يسرّهم ، وكل ما يتناوله نظرهم فهو مما يزيد في بهجتهم ، ويزيد في كرامتهم .

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ .﴾ ، فقد اكتملت لهم السعادة وتضاعفت عليهم النعمة .

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ . خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ . وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ . عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ .﴾ .

والرحيق المختوم : نوع شراب أهل الجنة ، تذكر السورة الكريمة ان ختامه مسك ، وأن مزاجه من تسنيم ، وهو ضرب مما أعده الله لهم فيها من التكريم ، أم تسنيم فهو أشرف شراب أهل الجنة ، والآيات الكريمة تذكر أنها شراب الخاصة المقربين . «عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ» .

هذه هي عاقبة الأبرار -أيّها المؤمنون-، وتلك هي نهاية الفجار ، فاعملوا فإنكم ملاقو نتاج عملكم ، واسعوا فإنكم مدركو عاقبة سعيكم .

اتقوا الله ؛ فإنها المضمار الذي فاز به الأبرار ، وتنافسوا في الخير فان من عرف الله جدير بان يرغب فيما عنده ، وان ينافس فيما لديه ، وفقنا الله -وإياكم- للتنافس في هذه الغايات ، والارتقاء إلى هذه

الدرجات، انه أكرم من سئل ، وأعظم من أمّل ، وهدانا إلى إتباع منهجه العظيم ، وكتابه الكريم .

﴿بسم الله الرحمن الرحيم . إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا . وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا . وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا . يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا . بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا . يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ . فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ . ﴾.



الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

انتقام الله للمؤمنين

الحمد لله الذي أبان للإنسان عن عظيم قدرته بما عرّفه من عجائب تكوينه ونشأته ، كوّنه ولَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُورا ، وخلقه من نطفة أمشاج فجعله سميعاً بصيراً ، فاعجب لها خليه ملقحة موحدة ، تعين لها الحكمة المبدعة سبيلاً ممهدة، إلى غاية محددة ، فتكدح في طريقها عاملة ، منفعلة فاعلة ، فتنشطر انشطاراً ، وتتخذ أدواراً ، فتصبح الخلية خليتين، وتعود الثنتان أربعاً ، وتكثر الانقسامات وتتضاعف ، وتتوالد الخلايا وتتآلف ، وتجعلها القدرة العظيمة أصنافاً ، وتعهد إلى كل صنف منها بعمل ، وتوجهه أن لا يقع في خطأ أو زلل .

فما يختص بإنشاء السمع غير ما يختص بإنشاء البصر ، وما يعمل في تكوين اللحم غير ما يعمل في تكوين العصب والبشر ، وهكذا في كل جهاز من أجهزته ، وكل نسيج من أنسجته ، وتمد القدرة العليمة كل جزء منه بما يحتاج ، وتعدّه لأداء قسطه من المنهاج :

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ، فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ، ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ[٢]﴾ .

---

٢ - المؤمنون : ١٢ - ١٤ .

وأشهد ان لا آله إلا الله وحده لا شريك له كما وحد ذاته ، وأنزهه كما نزه نفسه ، وأثني عليه بما وصف به قدسه ، وأشهد ان محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، أتم به النور ، وشفى ببعثته الصدور ، صلى الله عليه وآله مظاهر حكمة الله المتقنة ، وخزائن آياته البينة .

عباد الله ؛ وصف السياق في السورة الكريمة حال المجرمين وسماهم فجاراً، وبين ان كتابهم «لَفِي سِجِّين» ، ووصف حال المطيعين وسماهم أبراراً، وأوضح ان كتابهم «لَفِي عِلِّيِّينَ» .

وأوصل هؤلاء وهؤلاء إلى غايتهم ، وأوقف الناس على نهايتهم ليذّكّر بذلك مدّكر ، ويعتبر معتبر ، لعل الاقتران بين الوصفين يبعث الخوف والرجاء في القلوب ، فتجلى من رين الذنوب ، وتحيا بعد موت، وتقبل بعد إدبار ، وتشرق بعد إظلام .

ويلتفت القرآن بعد ذلك لفتة حكمية يأسر بها قلوباً مؤمنة كليمة ، ويسلّي نفوساً طيبة كظيمة .

فقد كان المؤمنون في بدء الدعوة يجدون من الفجار أذى كثيراً ، ويقاسون من جهلهم وغرورهم عناء كبيراً ، وكان المجرمون يسرفون في الوقيعة بهم ، والسخرية منهم ومن إيمانهم ، يؤمون عليهم بالأكف ، ويغمزونهم بالأعين ، ويلوكونهم بالألسن ، ان لم يستطيعوا ان يتناولوهم بالأيدي .

وكان المؤمنون يألمون من هذا التعدي ، وكان من الحكمة ان يمسح القرآن على هذه القلوب الصديعة ، المؤمنة بالله وبرسوله ليأسو جراحها، وليعرّفها ان كل ما يصيبها من أذىً فهو بعين الله ، سيرون منه وفاءه ، وسيجد الباغون جزاءه .

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ . وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ

يَتَغَامَزُونَ . ﴾ ، يصنعون كذلك سخرية بالمؤمنين ، وإهانة لهم ، وحطاً من كرامتهم ، ﴿وإذا انقلبوا إلى أهلهم﴾ بعد ان ينالوا ذلك من المؤمنين ﴿انقلبوا فكهين﴾ مرحين بما صنعوا ، ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ . وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ .

وما ينفعهم هم ، وما يضرهم ان كانوا ضالين أو مهتدين ؟ ، وما معرفتهم بموازين الضلال والهدى ليحكموا على غيرهم بما يحكمون ؟ .

ولكن النفوس الصغيرة الحقيرة تولع بأذى الناس ، والعبث بهم ، تحسب ان ذلك يرفع من ضعتها ، أو يكمل من نقصها ، لقد كان هذا دأب الذين أجرموا مع الذين آمنوا في أول دعوة الإسلام ، وهو كذلك دأب الذين أجرموا مع المؤمنين في كل زمان ، وفي كل مكان .

وما كان الله ليدع هذا الهزء بالمؤمنين دون جزاء ، وما كان ليذر تحملهم الأذى في سبيله دون وفاء .

فاليوم وقد استعلنت الحقائق ، واستبانت المصادق ، ولقي كل من الفجار والأبرار جزاء عمله ..

﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ . عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ . ﴾ .

ينظرون ما هم فيه من فوز ونعمة ، وما فيه الكفار من هول ونقمة، ينظرون لا ليشمتوا ، فالمؤمن ارفع من هذه الوضاعة ، ولكن لتتضاعف عليهم النعمة بالنظر إلى ضدها ، وليبصروا صدق ما كانوا يسمعون .

﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ . ﴾ .

فاتقوا الله -أيّها المؤمنون-، ولا يغركم ما انتم راحلون عنه عما انتم قادمون عليه، ولا يصرفكم هوى الأنفس وأمانيها عن رضى ربكم.

﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ .﴾

اللهم يا من إليه يلجأ العباد في المهمات ، واليه يفزع الخلق في الملمات، يا عالم الجهر والخفيات ، أنت الله لا اله إلا أنت ، نمُتّ إليك بلا إله إلا أنت ، فبلا إله إلا أنت اجعلنا في هذا اليوم ممن نظرت إليه فرحمته ، وسمعت دعاءه فأجبته ، وعلمت استقالته فأقلته ، وتجاوزت عن سالف خطيئته وعظيم جريرته ، فقد استجرنا بك من ذنوبنا ، ولجأنا إليك في ستر عيوبنا، اللهم فجد علينا بكرمك ، واحطط خطايانا بحلمك.

اللهم رب النبيين والأبرار ، ورب الصديقين والأخيار ، صلّ على صفوتك، وخير خيرتك ، والنور الذي أظهرته لهدى بريتك ، الصادق الأمين ، والرسول المبين ، اللهم اجعل في السابقين غايته ، وفي المنتجبين كرامته ، وفي العالين ذكره ، وأسكنه وآله الطاهرين أعلى الغرف ، بحيث لا تفوقها درجة، ولا تفضلها منزلة .

اللهم أكرم زلفتهم ، وأجزل عطيتهم ، واظهر أمرهم، وأتم نورهم، وآتهم أوفر العطيات في جناتك ، وصل عليهم بأفضل صلواتك .

اللهم صلّ وسلّم على معلم الحكمة والكتاب ، وقائد الخلق إلى الصواب ، رسولك الأعظم ، وداعيتك الى التي هي أقوم ، بعيثك إلى الخلق أجمعين ، أبي القاسم محمّد خاتم النبيين صلى الله عليه وآله .

اللهم صلّ وسلّم على ساقي الحوض ، وأمين الله في الأرض ، وصي الرسول ، وحسامه الذي لم يعرف الفلول ، سيّد المسلمين ، والذي أكمل الله بولايته الدين ، أبي الحسنين علي أمير المؤمنين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على مستودعة الأسرار ، وخزانة الأنوار ، شفيعة يوم الجزاء ، ووالدة الأئمة الأمناء ، أم الحسن والحسين ، سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام .

اللهم صلّ وسلّم على قلم الحكمة ، والقائم بسد الثلمة ، المنتجب للإمامة ، والمتسربل بالكرامة ، رابع أهل العباء ، وثاني الأئمة النجباء ، أبي محمّد الحسن بن علي المجتبى عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على رافع لواء الإسلام بقتله ، وفاديه بنفسه وبنيه وأهله، قدوة أهل الإباء ، وريحانة أصحاب العباء ، أبي عبد الله الحسين سيّد الشهداء عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على شاهدك على خلقك ، وعبدك القائم بحقك، مولى المؤمنين ، وغوث المكروبين ، وملجأ المضطّرين ، أبي محمّد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على قيّمك على مناهج الدين ، ولسانك الناطق في العالمين ، معدن الفضائل والمآثر ، ومجمع المناقب والمفاخر ، أبي جعفر الأول محمّد بن علي الباقر عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الخيرة من الخيرة ، وربيب الكرام البررة ، مصباح المشكاة ، ومنقذ العصاة من الدركات ، ووليك الذي فرضت إمامته على كل ابيض واسود ، أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على وصي الأبرار ، وإمام الأخيار ، صاحب المقامات الجليلة ، وحليف السجدة الطويلة ، باب المكارم ، وسيد الأعاظم ، سيدنا أبي إبراهيم موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على عديل الكتاب ، والناطق بفصل الخطاب ،

فخر العرب والعجم ، وسيد من قام على قدم ، مولى الورى ، وإمام من وطئ الثرى ، أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على مستودع العلوم النبوية ، وخازن الأسرار العلوية، سيّد العبّاد ، وسند الملهوفين يوم ينادي المناد ، أبي جعفر الثاني محمّد بن علي الجواد عليه السلام .

اللهم صلّ وسلّم على بابي رحمتك ، وخازني حكمتك ، ركني الهدى ، وكهفي الورى ، التقيين النقيين ، والكوكبين الدريين ، أبي الحسن علي بن محمّد ، وأبي محمّد الحسن العسكريين عليهما السلام .

اللهم صلّ وسلّم على الباب الذي يتوجه إليه الأولياء ، والسبب المتصل بين الأرض والسماء ، الطالب بالدماء النبوية المهدورة ، والثائر بالحقوق العلوية المغدورة ، والمنتصر للشريعة الإلهية المهجورة ، مجدد السنن ، وقامع الفتن ، أبي القاسم محمّد بن الحسن عليه السلام .

اللهم أزح بظهوره العلل ، وأكحل بطلعته المُقَل ، واغسل به الأدران ، من قلوب أهل الإيمان ، اللهم أظهر به الحق الذي ستره الظالمون ، واجبر به القلوب التي كسرها الجبارون ، وأقم به الحدود التي أضاعها المعتدون ، اللهم اجعلنا ممن نهج هداه ، وابتغى رضى الله برضاه ، ونصح لله في نصرته ، واقتدى بنير سيرته ، اللهم واقض به حاجاتنا ، واستجب به دعواتنا .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، واعمر بالإيمان قلوبهم ، واشرح بالتقوى صدورهم ، ولا تجعل لمبتغي السوء عليهم سبيلاً ، وآمنهم من الفتنة ، ونجّهم من المحنة ، انك على كل شيء قدير .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ .

الفهرست

القسم الاول / في رحاب العقيدة

القسم الثاني / في رحاب القرآن





ذلك النور الذي يبتسم لي من وراء الأفق هو نور ربهم، وداعي هذه النسمة التي
تعبرت بوجوههم، وامتزجت بأنفاسهم، فشد ما جثت فيها بين النفس وعبير المسك
أصحيح أن الصحراء التي جمعتنا في الحب أعواماً، وألّفتنا على الهوى قلوباً،
قد ضاقت عنا أبداً.
أيا حبيباً لقد طالت أيام البعد فهل تنتهي، واستبدت فرقة الشوق فهل تنقضي
هذا ... فيا حبيبي قل أنا كل آمالي فهل ينقضي البقاء ...

محمد أمين زين الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي طلبت العقول أن تبلغ كنهه فاستحال عليها مطلبها، وراحت أن تصف عظمته، فاظلم عليها مذهبها، طلبت ذلك بوسائلها المحدودة فخابت، ثم اعترفت بالعجز عن ادراكه فهديت وأصابت، خشعت الأفكار والحلوم وعييت الأفهام والعلوم وانقطعت الحدود والرسوم وعجز المنطوق والمفهوم عن ادراك حقيقة الحي القيوم، وكيف يحاط ولا تناهي ولا حدود، وكيف يوصف ولا جهة ولا شهود، وكيف ينكر وبنور وجهه أشرق الوجود، وكيف يخفى والشمس بعض أنواره، وهذا الملكوت العظيم بعض آثاره، وكيف يجهل والعقل المفكر بعض آياته والبرهان المنير بعض بيناته والعلوم على اختلافها بعض شواهده وجميع المركبات والبسائط من عوائده

محمد أمين زين الدين



للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
هاتف: ٠٣/٩٤٦١٦١ - ٠٣/١١٥٤٢٥ - تلفاكس: ٠١/٤٧١٥١٠
http://www.Dar-Alamira.com
e-mail:info@dar-alamira.com



مؤسسة الشيخ زين الدين
للمعارف الإسلامية
النجف الأشرف - شارع السور - هاتف: ٠٠٩٦٤٧٨٠٦١٨٦٥٠٣
www.zaineldeen.com.net.org